الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري- قسنطينة1-

كليّة الآداب واللّغات **رقم التّسجيل:.....**

قسم الآداب واللّغة العربيّة **الرقم التسلسلي:.....**

شعر السرايا جمع و دراسة في الموضوعات و التشكيل الجمالي

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه(ل.م.د L.M.D)

تخصّص: أدب قديم

إعداد الطالب: **إشراف الأستاذ الدّكتور**

عبد الغاني بارش **عمار ويس**

شعبة: الأدب العربي **تخصّص أدب قديم**

السّادة أعضاء لجنة المناقشة

أ.د حسن كاتب	**جامعة منتوري–قسنطينة1–**	**رئيسا**
أ.د عمار ويس	**جامعة منتوري–قسنطينة1–**	**مشرفا ومقرّرا**
أ.د دياب قديد	**جامعة منتوري–قسنطينة1–**	**عضوا مناقشا**
أ.د فاتح حمبلي	**جامعة محمد العربي بن مهيدي –أم البواقي–**	**عضوا مناقشا**
أ.د لقمان شاكر	**جامعة محمد العربي بن مهيدي –أم البواقي–**	**عضوا مناقشا**
د حميد قبايلي	**جامعة عباس لغرور –خنشلة–**	**عضوا مناقشا**

السّنة الجامعيّة:2019/2018م الموافق لـ: 1440/1439هـ

إهداء

إهـــداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما، و جعل حياتهما في طاعته.

إلى من ساندني و آزرني في دربي، إلى زوجتي الحبيبة المخلصة.

إلى الأبناء الأعزاء دعاء، إسراء، رضوان، محمد بهاء الدين.

إلى إخوتي و أخواتي، و إلى روح أختي الطاهرة جميلة.

إلى الأصدقاء المخلصين الأوفياء.

إلى الأستاذ القدير أيوب أبو الندى و الأخ الفاضل حسين مليلي رفيقي في هذه الرسالة.

إلى كل من وقف معي و شجعني و لو بالكلمة.

أهدي هذا البحث

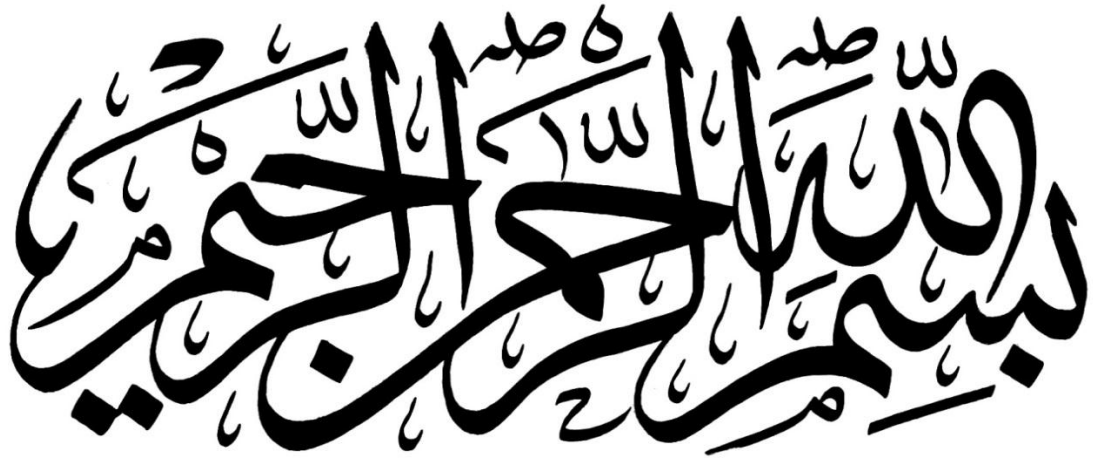
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا

وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿39﴾

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا

اللَّهُ وَلَوْلَا دِفَـٰعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ

وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا

وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿40﴾

صدق الله العظيم

الحج الآية 39-40

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين

لكل أمة سجلها الذهبي الذي تعتز و تفتخر به على مر الزمن؛ فهو عبارة عن مرآة صادقة تحكي مآثر هذه الأمة و فضائلها التي تسعى بل تعيش من أجلها، و هذا السجل يعد موروثا ثقافيا يمثل شعلة منيرة للأجيال القادمة تقتبس منه نورا و علما يضيء لها طريق المستقبل.

عندما نبحث في تاريخنا و موروثنا الأدبي العريق، و المتنوع، فإننا نجد أن الشعر ممثل لنسبة عالية من المدونة الإبداعية؛ فالشعر هو تاريخ الأمة، يترجم ثقافتها و عاداتها و تقاليدها الفنية، و هو يصور –من نحو آخر– حياتها اجتماعيا، و ثقافيا، و حضاريا، مما يعينها على التمسك بمبادئها و فضائلها النبيلة، و يدعم نسيجها الإنساني و الاجتماعي و الحضاري بالشمائل الكريمة، و الأخلاق الجميلة كالمحبة، و الخيرية، و صنائع المعروف، والتمسك بالحق، و الاعتزاز بالوطن إلخ...، وهذا ما يسجله الشعر على امتداد الآجال، و تعدد الأزمان، والأمصار، و يرسخه في الوجدان الإنساني لكل مجتمع و أمة، كما هو الحال في مجتمعنا و أمتنا العربية الإسلامية.

إذا كان الأدب تعبيرا عن الحياة و كشفا لها و تأثرا و تأثيرا بواقعها المتغير و المضطرب –في بعض الأحايين– فإن الشاعر في هذه الحالة إنسان دائم الانفعال و التوتر، يحاول باستمرار أن يتجدد و يستكشف، ويتطور وصولا إلى الرؤية الصحيحة، و هذا ما جسده شعراء السرايا بانفعالاتهم و معاناتهم الشخصية، فعبروا عن تلك التجربة بإحساس نبيل صادق يعكس ظلال هذه النفسية المؤمنة التي عاشت من أجل رفع راية الإسلام.

إن موضوع شعر السرايا في عهد النبوة كان من المحاور الكبرى في الشعر إبان صدر الإسلام، يأتي ملازما لشعر الغزوات، و يكتسب أهميته من طابع المرحلة التي قيل فيها، و هي مرحلة تغير جذري انقلبت فيها الموازين، خصوصا بعد مجيء الإسلام بتعاليمه التي أحدثت خلخلة في قيم المجتمع آنذاك.

واكب شعر السرايا هذه المرحلة، و سجل خصوصيتها بكل صدق، بل و دقة و تفصيل، كما عبرت عن ذلك بعض القصائد التي رجّعت أصداء تلك الأزمنة الاستثنائية من تاريخ الإسلام المجيد.

لقد ترجم شعر السرايا الأحداث، فعبر عن المشاهد التاريخية المتشعبة الملامح، و صور المعارك و الصولات والجولات المختلفة، و سجل التدافع الحضاري بين قوى متعارضة و متناقضة الرؤى، و بتعبير مجمل نقول: لقد سجل بصدق مجموع أو معظم ما دار من وقائع و أحداث بين معسكري الحق و الباطل، و هذه واحدة من وظائف الشعر أو الشاعر، في كل زمن و في كل عصر و مصر أن ينهض –و كذلك الأدب و الفن عموما– بوظيفة التسجيل و التدوين ليبقى أثرا خالدا تتناقل معانيه و أفكاره الأجيال، و تتداوله في معارض الفخر والجلال و بطولات الأجداد، وبناء على ما تقدم اخترت أن يكون موضوع بحثي: "**شعر السرايا: جمع و دراسة في الموضوعات و التشكيل الجمالي**".

دواعي اختيار الموضوع:

و على نحو مجمل يمكن القول إنه دفعني إلى اختيار هذا الموضوع جملة من الأسباب و هي:

- تحقيق رغبة شخصية، تتمثل في الاهتمام بالتراث الشعري في صدر الإسلام.
- الإسهام في جمع ما قيل من شعر السرايا في هذه الفترة، و محاولة التمييز بين الغث و السمين منه، وتقييمه فنيا و اجتماعيا.
- الاستفادة من أدوات الدرس و التحليل الأدبي الحديث و المعاصر في مقاربة نصوص قديمة.
- إجلاء و بيان القيم الإنسانية الخالدة في النصوص الأدبية و إن تباعدت الأزمنة؛ إذ بيننا و بين زمن (شعر السرايا) قرون بعيدة.
- ربط الماضي بالحاضر فيما يتصل بمدونة العرب الكبرى (الشعر)، و بيان أن التيار لم ينقطع أبدا بين ماضي الأدب العربي و حاضره، بل كان هناك دائما جسر فني رائق و متين؛ ممثلا في توارث القيم الأدبية و الفنية، من جيل إلى جيل... حتى عصرنا الراهن، رغم الاضطرابات، و اختلاف الأحوال، و تباعد الأمصار، و هو ما

يؤكد أن وشائج الترابط و التواصل بين أجزاء هذه الأمة لم تزل قائمة دائمة إلى يوم الدين، و أن الفضل الأكبر في ذلك، بعد فضل الله، يعود إلى اللغة العربية المجيدة، الوعاء الحضاري المتين الذي حفظ كل هذا التراث النبيل، ومنعه من الذوبان و التلاشي، كما تلاشت و ذابت الكثير من معالم تراثات الأمم الأخرى.

- استكشاف الموضوعات الأكثر حضورا في تلك الفترة، و إماطة اللثام عن شعر مخصوص لكونه كان ترجيعا لأفكار و قيم محددة لها ارتباط بالحرب، و الصراع بين معسكرين متناقضين.

الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة:

جدير بالذكر أن أنوه ببعض الدراسات الأكاديمية السابقة التي لها علاقة بالموضوع، و قد حاولت الإفادة منها بوصفها نصوصا أسهمت في إضاءة جوانب مهمة من الدراسة، كما كانت رافدا مهما لي في البحث، منها:

- شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة و الخلفاء الراشدين، جمع و تحقيق، عبد الله الحامد، إشراف الأستاذ عبد الرحمان رأفت الباشا، بحث مقدم لنيل الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية بالرياض، 1971م، و لقد تم طباعته سنة 1981م تحت اسم: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، تناول فيها الباحث: مصادر الشعر الإسلامي وقضاياه: قلة الشعر، ضعفه، ضياعه، وقام بدراسة لغة و أسلوب هذا الشعر، بالإضافة إلى أغراضه، وتطرق إلى شعر الحرب، و الأناشيد الحماسية، وأشار إلى شعر حروب الردة، وتناول كذلك بعض شعراء صدر الإسلام وقصائدهم، وهي رسالة مضيئة لجوانب مهمة من هذا البحث.

- الصحابة الشعراء: لمحمد الرواندي، دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف الأستاذة عائشة عبد الرحمان، دار الحديث الحسنية بالرباط، 1975م. حيث جاء بحثه منصبا على دور الشعر كأداة من أدوات المسلمين في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تطرق إلى موضوع الصحابي، و الشعر وموقف الإسلام منه، و المستوى الفني للشعراء الصحابة، ولم يتطرق إلى الحرب الكلامية التي دارت بين المسلمين وقريش.

- شعر المعارك من البعثة النبوية إلى نهاية الخلافة الراشدة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب القديم، لمحمد حجازي، إشراف عبد الله شيخ بيوض، جامعة باتنة معهد اللغة والأدب العربي، 1990.وقد تناول فيها

الحروب وبواعثها في الجاهلية، وكيف انتقل الدافع إليها من السطو والنهب و الثأر إلى الجهاد في سبيل الله لتأمين الدعوة لكي لا يقف في وجهها أحد، كما تطرق إلى شعر المعارك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف واكب الشعر أهم مسارات الدعوة الإسلامية، من أجل إبراز قوة المجاهدين من جهة، والحق الذين يدافعون عنه من جهة أخرى، وتطرق كذلك إلى شعر المعارك في عهد الخلفاء الراشدين وكيف اختلفت الدواعي إليها، وصولا إلى موقف الإسلام من الشعر، وأهم الخصائص الفنية والمعنوية لهذا الشعر.

– شعر غزوات النبي صلى الله عليه و سلم: جمع و دراسة في الرؤية و الأداة، حميد قبايلي، دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم، إشراف حسن كاتب، جامعة قسنطينة 1، قسم الآداب واللغة العربية،2014، وتناول فيها جملة من المفاهيم الدينية والمعرفية كما تطرق إلى بناء قصيدة الغزوات، والحديث عن بعض الظواهر اللغوية في شعر الغزوات، وكان التركيز على ألفاظ الحرب وظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم، وتطرق البحث إلى الصورة الشعرية في شعر الغزوات، وركز على التصوير البياني من استعارة وتشبيه وكناية، وتناول في الأخير موسيقى شعر الغزوات من خلال بعض الظواهر الموسيقية البارزة كالبحر والقافية في شعر الغزوات، بالإضافة إلى الموسيقى الداخلية: التصريع ، والجناس، وبعض الضرورات الشعرية ولقد استفدت من هذا البحث منهجيا ومعرفيا مما فتح لي الولوج إلى البحث بيسر و سهولة ، ولكن بطريقة مغايرة في الدراسة والتحليل.

اشكالية البحث:

لعل من المفيد في هذا المجال التأكيد على أهمية جمع و تصنيف ذلك التراث المضيء من الأدب و الشعر الذي يندرج تحت هذا الباب أو المقام؛ مقام شعر السرايا و الغزو، و الدفاع عن قيم الإسلام، و التمكين له؛ ذلك أن القيام بهذا العمل وحده، جمع القصائد و المقطوعات الشعرية الخاصة بشعر السرايا قمين بتجنيب جزء من موروثنا الأدبي الضياع و التلف، و انتشاله من دائرة الإهمال، و توثيقه، و تبويبه وفق الموضوعات والقضايا التي دار حولها، يعد أمرا شديد الأهمية في مجال العناية بالموروث، و دراسته. فإذا أضفنا إلى ذلك الدراسة الموضوعية أو

المضمونية ثم الفنية نكون قد قمنا بجزء غير يسير من الواجب الأدبي، و الجمالي تجاه التراث الأدبي العربي الإسلامي، في فترة من الفترات الاستثنائية المميزة في تاريخ الأدب العربي.

لماذا موضوعات و مضامين شعر السرايا؟

بعد عملية استقرائية لشعر هذه الفترة تبين لي أن موضوع شعر السرايا لم يجمع في حدود علمي، و لم تخصص له مدونة تسجل كل ما ورد فيه أو عنه، فضلا عن دراسته و تصنيفه و تحليل مضامينه، ففكرت في جمعه ثم دراسة بعض أغراضه مثل: المدح و الهجاء و الرثاء و النقائض و أغراض أخرى فرضها الدين الجديد.

و حيث إن ذلك قد لا يكفي لدراسة مدونة شعرية خاصة، رأيت أن من المفيد الإلمام بدراسة جوانب التشكيل الجمالي لهذه المدونة لتتضح الصورة بشكل كاف تقريبا.

و لماذا التشكيل الجمالي؟

إن دراسة جماليات الشعر تمثل بعمق تلك الأحكام القيمية التي تنبع عن أصالة التجربة الشعرية، و قدرة الشاعر على تشكيلها على نحو يحقق للمتلقي الخبر و المتعة في آن واحد، و إذا كان للفنون كلها أدوات تتحقق من خلالها، فإن الشعر من الفنون القولية التي تتميز بأدواتها، و مختلف تشكيلاتها الفنية و الجمالية.

و الحديث عن التشكيل الجمالي في الشعر يسوقنا حتما إلى الحديث عن التصوير فيه، و الذي يعد من جوهر الشعر، إذ من دونه لا يكون الشعر شعرا، و ذلك من خلال الإشارة إلى الصور الشعرية المختلفة من: كناية و استعارة و تشبيه.

تعد اللغة أساس التشكيل الجمالي في الشعر، إذ توصف بأنها من أعظم أدواته في تعامله مع عالمه الإبداعي و الفني، كما لا يخفى على الدارس ما للجانب الإيقاعي من تأثير في نفسية المبدع و المتلقي، وهو واحد من الجوانب الجمالية التي ينبغي ألا يتجاوزها الدارس في أي دراسة فنية لموضوعات الشعر المختلفة.

وانتهت الأطروحة بخاتمة كانت نهاية رحلة شاقة وممتعة ضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أردفتها بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها خلا ل البحث و الدراسة .

منهج البحث:

أما عن منهج الدراسة فإني آثرت المنهج التكاملي في دراسة مفردات البحث، حيث وظفت المنهج التاريخي في جمع الأشعار، و عرض الأحداث التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي في عرض بعض الظواهر التي كانت ترافق الشعراء، كما اعتمدت على المنهج التحليلي الموضوعي في استقصاء جماليات الصورة و ألوانها، حيث كان لاستخدام هذا المنهج دور بارز في هذه الدراسة، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي في رصد بعض الظواهر اللغوية المتعلقة بموسيقى شعر السرايا.

الصعوبات التي واجهتني:

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء إعدادي لهذا البحث، فقد تمثلت في:

– صعوبة عملية جمع أشعار السرايا المتناثرة في كتب المغازي و السير و التاريخ، و مما زادها صعوبة عدم وضوح مصطلح السرايا، لأنه في بعض المصادر سموا بعض السرايا غزوة كما في مؤتة حيث قالوا غزوة مؤتة، و كما في سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطي في (الخصائص) بغزوة الرجيع.

خطة البحث:

لقد تم تقسيم البحث على ثلاثة فصول على النحو التالي:

– مقدمة.

– الفصل الأول: تحت عنوان: "**المهاد التاريخي و مدونة شعر السرايا**"، و جاء في مبحثين:

– المبحث الأول: المهاد التاريخي: تناولت فيه الوضع الديني، و الاجتماعي، و السياسي، و الاقتصادي، والأدبي قبل البعثة النبوية الشريفة.

– المبحث الثاني: مدونة شعر السرايا: جمعت فيه ما قيل من أشعار في السرايا النبوية وفق الترتيب الموجود في كتاب ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

– **الفصل الثاني**: و الموسوم بـ:"**الجانب الموضوعاتي في شعر السرايا**"، و تناولته في مبحثين:

– **المبحث الأول: شعر السرايا و علاقته بالحرب**: و تطرقت فيه إلى 1-الشعر و موقف الاسلام منه، 2-تعريف السرايا و أهدافها، 3-مواكبة الشعر للحرب التي دارت رحاها بين أهل الإسلام و أهل الكفر.

– **المبحث الثاني: أغراض شعر السرايا**: و تناولت فيه مضامين و موضوعات شعر السرايا، التي تناولها الشعراء في تلك الفترة، حيث جاءت أغراض الشعر موزعة على المحاور و الموضوعات التالية: 1-المدح، 2-الرثاء، 3-الهجاء، 4-النقائض، 5-أغراض أخرى.

– **الفصل الثالث: و**تناولت فيه: **التشكيل الجمالي في شعر السرايا**، ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث:

– **المبحث الأول: المعجم الدلالي في شعر السرايا**: و قمت فيه بـ: 1-دراسة ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم، و كيف كان القرآن الكريم رافدا مهما لدى شعراء المسلمين، 2-ألفاظ الحرب من خلال أشعار السرايا.

– **المبحث الثاني**: و تناولت فيه **الصورة البيانية في شعر السرايا**: و مهدت لذلك بتعريف الصورة عند العرب القدامى ثم العرب المحدثين، و انتهاء عند الغربيين ، ثم قمت بدراسة أنواع الصور البيانية على النحو الآتي: 1-الصورة التشبيهية، 2-الصورة الاستعارية، 3-الصورة الكنائية.

– **المبحث الثالث**: وقد تعرضت فيه إلى دراسة **موسيقى شعر السرايا**، 1-الموسيقى الداخلية و تناولت فيها: التصريع، الجناس، الطباق، و الضرورة الشعرية، 2-الموسيقى الخارجية، و درست فيها البحر و القافية.

– **خاتمة**: و انتهت الأطروحة بخاتمة كانت نهاية رحلة شاقة و ممتعة ضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أردفتها بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها خلال البحث و الدراسة.

– **قائمة المصادر و المراجع**.

في الأخير، فقد تم بعون الله و فضله انجاز هذا البحث، فله الحمد و الشكر أولا و آخرا و بعد:

لا أزعم أنني أحطت بالموضوع من كل زواياه، فهو جهد المقل، و من هو في بداية الطريق، فإن أصبت فمن الله وحده، و إن أخطأت فمن نفسي و الشيطان.

و واجب الاعتراف بالفضل يملي علي أن أتوجه بشكري الكبير الممزوج بخالص الحب لأستاذي الأستاذ/الدكتور عمار ويس، لما شملني به من توجيه و نصح و رعاية و اهتمام، فجزاه الله عنا خير الجزاء، كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير لأعضاء لجنة المناقشة الموقرين؛ لتحملهم عناء قراءة الرسالة و تصحيح أخطائها، و إبداء تصويباتهم و ملاحظاتهم القيمة التي سيكون لها الدور الأكبر في إخراج هذا العمل في أحسن حلة، و في الختام أسأل الله تعالى حسن القبول و خير الجزاء، و الله تعالى هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

الفصل الأول: المهاد التاريخي

و مدونة شعر السرايا

المبحث الأول: المهاد التاريخي

- الوضع الديني
- الوضع الاجتماعي
- الوضع السياسي
- الوضع الاقتصادي
- الوضع الأدبي

المبحث الأول: المهاد التاريخي

تمهيد:

عاشت الجزيرة العربية قبل الإسلام مرحلة من أسوء مراحل حياتها، و ظهر أثر ذلك على جميع المجالات – دينيا و أخلاقيا و سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا–، مما جعلها تعيش فوضى عارمة في كافة أمورها، و أصبح الشرك و الجهل، و الفساد الأخلاقي من أبرز ملامح هذه الفترة من عمرها، و لقد صور النبي صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة الحرجة من حياة البشرية بقوله: "**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**"[1]. و هذا لا ينفي أن هناك صفات حميدة يمتاز بها العرب في الجاهلية من كرم و شجاعة و نجدة و صدق في الحديث، و سنلقي نظرة موجزة على أوضاع العرب قبل الإسلام.

الوضع الديني:

كانت شبه الجزيرة العربية مهدا لكثير من الأنبياء منهم سيدنا هود الذي أرسل إلى قوم عاد، و سيدنا صالح الذي أرسل إلى قوم ثمود، و سيدنا شعيب الذي أرسل إلى قوم مدين، و سيدنا اسماعيل الذي نشأ في مكة.

فعرف أهل مكة و ما حولها التوحيد، و الإيمان بالله، و لكن مع مرور الوقت دخلت عبادة الأصنام إليها و أول من أدخلها "عمرو بن لحي"[2]، حيث روى ابن اسحاق عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التميمي: أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :لأكثم بن الجون الخزاعي: "يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به و لا بك منه"، فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: "لا، إنك مؤمن و هو كافر، إنه

1– رواه مسلم، الصحيح ،كتاب الجنة وصفة نعيمها و أهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه برقم 2865، ص1173.

2– عمرو بن لحي: عمرو بن لحي بن قمعة بن لياس الخزاعي ، إلا أن بعض أهل النسب ذكر : أن عمرو بن لحي كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن آمت من قمعة ، ولحي صغير . ولحي هو : ربيعة ، فتبناه حارثة ، وانتسب إليه. فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا : إلى حارثة بالتبني و إلى قمعة بالولادة ، انظر السهيلي : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام 1/ 100.

كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان و بحر البحيرة[1] و سيب السائبة[2]، و وصل الوصيلة[3]، و حمى الحامي[4]"[5].

يقول ابن الكلبي: "و كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الأوثان، و سيب السائبة، و وصل الوصيلة وبحر البحيرة و حمى الحامية عمرو بن ربيعة... ثم إنه مرض مرضا شديدا، فقيل له: إن بالبلقاء من حمة إن أتيتها برأت، فأتاها فاستحم بها فبرأ، و وجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا نستقي بها المطر و نستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا و قيل أعطوه هبلا فقدم بها مكة فنصبها حول الكعبة"[6].

و هكذا مع مرور الوقت دخلت عبادة الأصنام إلى الجزيرة العربية و شاع في أهلها الشرك، و اتخذت كل قبيلة صنما مثل اللات[7]، و العزى[8]، و مناة[9]، و هبل[10]، و دافع ذلك كله الجهل، و التأثر بمن كان حولهم من أشتات القبائل و الأمم، غير أنه بقيت فيهم بقية من الناس –و إن كانت تقل مع الزمن– ظلت متمسكة بعقيدة التوحيد، سائرة على نهج الحنفية، تصدق بالبعث، و النشور، و توقن بأن الله يثيب المطيع، و يعاقب العاصي وتكره الذي استحدثه العرب من عبادة الأوثان و ضلالات، و لقد اشتهرت من هذه البقية كثيرون كقس بن ساعدة الأيادي، و رئاب الشي و بحيرة الراهب[11].

1- البحيرة: كانت الناقة إذا انتجت خمسة أبطن عمدوا للخامس ما لم يكن ذكرا فشقوا أذنها فلا يعرض لها أحد.

2- السائبة: كان الرجل يسب الشيء من ماله، إما بهيمة أو إنسانا فتكون حراما أبدا، و منافعها للرجال دون النساء.

3- الوصيلة: إذا ولدت الشاة سبعة أبطن عرضوا للسابع فإن كان ذكرا ذبح، و إن كانت أنثى تركت في الشاء، و إن كان كانت ذكرا و أنثى وصلت أخاها فحرما جميعا، فكانت منافعها و لبن الأنثى للرجال دون النساء.

4- الحامي: كان الفحل إذا أدرك فصار ولده جدا، قالوا: حمي ظهره، فلا يحمل عليه و لا يركب و لا يمنع ماء و لا مرعى.

5- ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة و النشر، 1981م، 1/81-82.

6- ابن الكلبي: الأصنام، تحقيق عبد القادر أحمد و أحمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص48-49.

7- اللات: و هي صخرة بيضاء مربعة بالطائف لثقيف تعظمها قريش و جميع العرب.

8- العزى: و كانت بيتا تعظمه قريش و كنانة و مضر كلها، و كانت سدنتها و حجابها بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم.

9- مناة: و هي أقدم أصنام العرب و تسموا بها مثل: "عبده مناة" و "زيد مناة"، و كان صنمها منصوبا بين مكة و المدينة يعظمونه و يذبحون له، و لم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس و الخزرج.

10- هبل: أعظم أصنام قريش داخل الكعبة، صنع من عقيق أحمر على صورة انسان مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش كذلك، فجعلوا له يدا من ذهب، و كان أول من نصبه خزيمة ابن مدركة و كان يقال له: هبل خزيمة.

11- محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، 2008، ط11، ص28.

بالإضافة إلى عبادة الأصنام و انتشارها كان بعض العرب قد تنصر، و دخل بعضهم في اليهودية، إلا أن الأغلبية كانت تعبد الأوثان و الأصنام، مع الإقرار بوجود الله، و أن هذه الآلهة ما هي إلا واسطة بينهم و بين الله، و قد صرح القرآن بذلك في مواطن عديدة؛ فقال سبحانه و تعالى: "**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْارْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُوفَكُون**"[1]، و قال كذلك "**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ**"[2].

هذا أهم ما كان يميز الحالة الدينية في شبه الجزيرة العربية، و لما وصلت البشرية إلى هذا الحد من الانحراف العقدي، و الخروج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بعث الله عز و جل من يصحح للناس اعوجاجهم ويقوّم سلوكهم، قال تعالى: "**الر كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**"[3].

الوضع الاجتماعي:

كان النظام القبلي سائدًا في مجتمع شبه الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية، و هو أقوى الروابط الاجتماعية إذ يتكون المجتمع العربي من بدو و حضر، و البدو هم الذين يقطنون البادية معتمدين في عيشهم على ألبان الإبل و لحومها، أما الحضر فهم ساكنة الحواضر و القرى لهم مساكن و بيوتات قارة يعيشون على الزراعة و التجارة والصناعة.

على هذا تعتبر القبيلة مصدر قوتهم، و أساس توحدهم، يقول السيد عبد العزيز السالم: "تعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية، ذلك لأن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك

1- سورة العنكبوت: الآية 61.

2- سورة الزمر: الآية 3.

3- سورة إبراهيم: الآية 1.

تجمعهم وحدة الجماعة و تربطهم رابطة العصبية للأهل و العشيرة، و رابطة العصبية هي شعور التماسك والتضامن و الاندماج بين من تربطهم رابطة الدم، و هي على هذا النحو مصدر القوة السياسية و الدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة"[1].

سيطرت في ظل المناخ القبلي جملة من العادات و التقاليد على حياة العرب الجاهليين، و أصبح لها نظام اجتماعي يسيرون عليه، فحرصوا على المحافظة على أنسابهم، فلم يصاهروا غيرهم من الأجناس الأخرى، كما كانت في العرب أوساط متنوعة تختلف أحوال بعضها عن بعض، فكانت علاقة الرجل مع أهله في الأشراف على درجة كبيرة من الرقي و التقدم، و كان لها من حرية الإرادة و نفاذ القول القسط الأوفر، و كانت محترمة مصونة تسل دونها السيوف و تراق الدماء[2].

بالرغم من هذه المكانة للمرأة في وسط أشراف القبيلة، إلا أن الرجل يعتبر بلا منازع رئيس الأسرة، و كان ارتباط الرجل بالمرأة بعقد الزواج تحت إشراف أوليائها، و لم يكن من حقها أن تفتات عليهم، و إذا كان هذا حال الأشراف، فقد كان هناك في الأوساط الأخرى أنواع من الاختلاط بين الرجل و المرأة، لا نستطيع أن نعبر عنه إلا بالدعارة و المجون و السفاح و الفاحشة.

انتشرت في المجتمع الجاهلي بعض الآفات الاجتماعية كالزنى، و شرب الخمر، و لحق المرأة حيف و غبن فكانت تعضل بعد الطلاق من أن تنكح زوجا ترضاه، و تورث كما يورث المتاع[3]، و من العرب من كان يئد البنات خشية العار و الإنفاق، و يقتل الأولاد خشية الفقر و الإملاق، ولكن لا نحكم أو نعد هذا هو السائد أو المنتشر لحاجتهم الماسة إلى التناسل و التكاثر، كما انتشر الرق عند العرب انتشارا واسعا.

أما عن العلاقات الاجتماعية، فمعاملة الرجل مع أخيه و أبناء عمومته و عشيرته، فقد كانت موحدة قوية فقد كانوا يحيون للعصبية القبلية، و يموتون لها، و كانت روح الاجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة تزيدها العصبية

1- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2014، ص22.

2- صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002م، ص35.

3- محمد سهيل طقوس: التاريخ الإسلامي (الوجيز)، دار النفائس، بيروت، ط6، 2016،ص23.

وكان أساس النظام الاجتماعي هو العصبية الجنسية و الرحم[1]، و كثيرا ما أدى التنافس على الرياسة و الشرف إلى الحروب بين القبائل التي كان يجمعها أب واحد كما جرى ذلك بين الأوس و الخزرج، و عبس و ذبيان، و بكر وتغلب و غيرها[2].

أما نوعية العلاقة بين القبائل المختلفة، فقد كانت ممكنة الأوصال تماما، و كانت قواهم متفانية في الحروب و كانت الحروب تقوم بينهم لأتفه الأسباب، فهم لا يبالون بشن الحروب، و إزهاق الأرواح في سبيل الدفاع عن المثل الاجتماعية التي تعارفوا عليها، و إن كانت لا تستحق التقدير[3].

و جملة القول: أن الأوضاع الاجتماعية كانت في الحضيض و الضعف و الجهل و الأمية و الخرافات عمت و طمت، و كان الناس يعيشون حياة النية و الضلال، فعرفت البشرية آنذاك انحطاطا كبيرا في المجال الاجتماعي.

الوضع السياسي:

كانت شبه الجزيرة العربية مفككة سياسيا، لا توحدها دولة، و لا تديرها حكومة، و كانت القبيلة بتشكيلاتها، و قيمها هي الأساس الذي تقوم عليه الحياة السياسية، و سادت هذه القيم في معظم أنحاء الجزيرة العربية، و القبيلة وحدة اجتماعية تحمي الأفراد، و يحميها الأفراد في نظام سياسي على شكل صغير يتكافل أفراده في سبيل البقاء و الحياة[4].

انقسم سكان شبه الجزيرة العربية إلى بدو و حضر، يقول أبو شهبة: "كان سكان الجزيرة العربية ينقسمون إلى بدو و حضر، و كان النظام السائد بينهم هو النظام القبلي، حتى في الممالك المتحضرة التي نشأت بالجزيرة

1- صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص37.

2- المصدر نفسه: ص37.

3- علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، عرض وقائع و تحليل أحداث، دار الأندلس الجديدة للنشر و التوزيع، شير مصر، ط1، 2008، 35/1.

4- عبد الرحمان خليل ابراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه و سلم، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1971، ص42.

كمملكة اليمن في الجنوب، و مملكة الحيرة في الشمال الشرقي، و مملكة الغساسنة في الشمال، فلم تنصهر الجماعة فيها في شعب واحد، و إنما ظلت القبائل وحدات متماسكة"[1].

كانت القبيلة العربية مجموعة من الناس تربط بينها وحدة الدم (النسب) و وحدة الجماعة، و في ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي، ينظم العلاقات بين الفرد و الجماعة، على أساس من التضامن بينهما في الحقوق والواجبات، و هذا القانون العرفي كانت تتمسك به القبيلة في نظامها السياسي و الاجتماعي[2].

كان لكل قبيلة شيخ أو رئيس هو زعيمها، و يشترط فيه صفات و خصائص من شجاعة و مروءة، فزعيم القبيلة ترشحه للقيادة منزلته القبلية، و صفاته و خصائصه من شجاعة و مروءة و كرم و نحوها، و لرئيس القبيلة حقوق أدبية و مالية، فأما الأدبية فأهمها احترامه و تبجيله، و الاستجابة لأمره، و النزول على حكمه و قضائه وأما المادية، فقد كان له في غنيمة يغنمها (المربع) و هو ربع الغنيمة، و (الصفايا) و هو ما يصطفيه لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، و (النّشيطة)، و هي ما أصيب من مال العدو قبل اللقاء، و (الفضول) و هو ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة[3].

لقد كان في كل قبيلة مجلس يتكون من رؤساء العشائر ينظر في شؤونها حسب القوانين و العادة، و لكنه لم يقض على حرية الأفراد، فقد كان كل فرد يتمتع بحريته مع شعوره بحقوق الجماعة أو حقوق القبيلة[4]، كما كانت كل قبيلة من القبائل العربية لها شخصيتها السياسية، و هي بهذه الشخصية تعقد الأحلاف مع القبائل الأخرى

1- محمد بن محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة، دار القلم، دمشق، ط2، 1992، ص52.
2- علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، مرجع سابق، 27/1.
3- المرجع نفسه، 27/1.
4- محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي (الوجيز)،مرجع سابق، ص32.

وبهذه الشخصية أيضا كانت تشن الحرب عليها[1]. و قد وقّعت القبائل العربية عدة أحلاف أشهرها حلف الفضول[2]، و حلف المطيبين[3].

شهدت ساحة شبه الجزيرة العربية العديد من الحروب، التي كانت تندلع لأسباب تبدو تافهة، و قد روى لنا التاريخ سلسلة من أيام العرب في الجاهلية مما يدل على تمكن الروح الحربية من نفوس العرب، و غلبتها على التعقل و التفكير، فمن تلك الأيام مثلا يوم البسوس التي دامت أربعين سنة بسبب ناقة، و كذلك يوم داحس والغبراء و سببه سباق خيل، و كذلك الحروب التي قامت بين الأوس و الخزرج، كما كانت بعض القبائل تعيش على السطو و النهب و سبي الأحرار، و بيعهم في الأسواق، و هي من الأسباب المؤدية إلى الاقتتال فيما بين القبائل.

الوضع الاقتصادي:

امتازت شبه الجزيرة العربية بالصحاري الشاسعة مما جعلها تعتمد على رعي الإبل و الغنم، و كانت القبائل تنتقل من مكان إلى آخر بحثا عن مواطن الكلإ و الماء، فكانوا لا يعرفون الاستقرار نتيجة لشح الماء، و قلة العشب، إلا أنها لم تخل من واحات زراعية، و أغلبها في أطرافها كاليمن و الشام.

فرضت البيئة التي عاش فيها سكان الجزيرة العربية عليهم أسلوبا خاصا في التعاطي الاقتصادي، يقول محمد سهيل طقوش: "تأثر العرب بالبيئة التي عاشوا فيها، فاعتمد سكان المناطق الصحراوية، بشكل رئيس على رعي

1- علي الصلابي: السيرة النبوية، مرجع سابق، 28/1.

2- حلف الفضول: تداعت إليه قبائل من قريش، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان لشرفه و سنه، فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يجدو بمكة مظلوما من أهلها و غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه، و كانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، و قد حضره صلى الله عليه و سلم و هو في العشرين من عمره، أنظر السهيلي، الروض الأنف، 100/1.

3- حلف المطيبين: و سبب تأسيس هذا الحلف تنازع وقع بين عبد الدار و بين أعمامهم و كان شرف الحجابة و حمل اللواء في الحروب و السقاية من نصيب بني عبد الدار، فحقد عليهم الحاقدون من بني قريش، و سعوا في نزع هذا الشرف و تقسيمه، فتفرقت عند ذلك قريش، و اختلفت الآراء فاستنصر بنو عبد الدار أصحاب النخوة و الرجولة، فاجتمع أنصار بني عبد الدار، فأخرج بنو عبد مناف قصعة مملوءة طيبا، ثم غمس الحضور أيديهم فيها، فتعاقدوا و تعاهدوا على نصرة بني عبد الدار و المظلومين من بعدهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم، فسموا المطيبين، أنظر: السهيلي، روض الأنف، 152/1.

المتنقل لأنعامهم و مواشيهم، و على التجارة، في حين اعتمد سكان المناطق الخصبة على الزراعة، و لم يهملوا التجارة، كما كان عندهم إلمام بالصناعة، فكانوا أوفر حظا من البدو"[1]. و لهذا تنوعت موارد النشاط الاقتصادي عندهم، فهو يعتمد على:

أ- الرعي: و هي حرفة أهل البادية خاصة عملوا بها نتيجة توفر المرعى، و بذلك شكل الرعي بنوعيه الثابت و المتنقل المورد الاقتصادي الأساسي لرعاة البادية في القسم الأكبر من الجزيرة العربية، و ذلك بفعل الطبيعة الجغرافية للمنطقة و أساسها رعي الإبل، لأن الجميع يتمتع بصفات تلائم حياة هذه الطبيعة الجغرافية أكثر من غيره[2]، إذا فالرعي متوقف على وجود الماء و العشب، و هذا أحد الأسباب في تنقلهم من مكان إلى آخر.

ب- الزراعة: ساعدت الموارد المائية في بعض الأماكن على خلق واحات و انتشار الزراعة التي عمل بها بعض أهل الحواضر، و من ثم شكّلت مصدرا أساسيا للعرب، فهي عماد ثروة اليمن و الأماكن التي تتوافر فيها المياه وقد تعددت أنواع المحاصيل الزراعية من فواكه و حبوب و خضراوات و اشتهر منها ثلاثة أنواع، بشكل خاص هي النخيل و الأعناب و الحبوب، إلى جانب المحاصيل الطبيعية من توابل و طيوب، ففي الجنوب و الشرق وقرى الحجاز و اليمامة كثرت الزروع و الثمار و بعض الفواكه و اشتهرت اليمن بأشجار اللبان و الطيب والبخور والطائف بالكرمة، و النخلة أهم الأشجار في الجزيرة العربية كلها[3].

ج- الصناعة: و قد عمل بها السكان ليوفروا حاجاتهم بالرغم من أنهم كانوا أبعد الأمم عنها يقول المباركفوري: "و أما الصناعة فكانوا أبعد الأمم عنها، و معظم الصناعات التي كانت توجد في العرب من الحياكة والدباغة و غيرها كانت في أهل اليمن و الحيرة، و مشارف الشام[4]" و بذلك شكلت الصناعة موردا مهما في الاقتصاد، و من أشهر الصناعات السيوف و الحدادة و صناعة الجلديات.

1- محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي (الوجيز)، مرجع سابق، ص18.
2- المرجع نفسه: ص19.
3- المرجع نفسه: ص20.
4- صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص38.

د- التجارة: قد مثّلت نشاطا مشتركا بين البادية و الحاضرة، و كانت تقوم على مبدأ المقايضة و الاتجار مع البلاد المجاورة كسوق عكاظ قرب الطائف، و ذي المجاز قرب مكة، و ذي المجنة بين مكة و الطائف، يقول الصلابي: "و إذا كانت الجزيرة العربية قد حرمت من نعمتي الزراعة و الصناعة، فإن موقعها الاستراتيجي بين إفريقية و شرق آسيا، جعلها مؤهلة لأن تحتل مركزا متقدما في التجارة الدولية آنذاك"[1].

جاء في القرآن الكريم إشارة إلى المرحلتين التجاريتين اللتين تقوم عليهما تجارة قريش شتاءا إلى اليمن، وصيفا إلى الشام، قال تعالى: "**لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (1) اِلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(2)** "[2] بالإضافة إلى رحلات أخرى يقومون بها طوال العام، و كان نشاطهم في البر و البحر فسافروا إلى سواحل إفريقية و إلى شرق آسيا، فأدت التجارة بذلك دورا مهما في حياة العرب الاقتصادية، كما اعتمدت على موارد أخرى كالغزو و عائدات مرور القوافل، حيث استفاد البدو من مرور القوافل التجارية في أراضيهم، فتحصل القبيلة بذلك على أجر معلوم لقاء إرشادها و تقديم الخدمات لها على طول الطريق التي تقع عبر أراضيها.

كما اعتمدت قريش في بناء نمط حياتها الاقتصادية على أسلوب الربا القائم على الظلم و الزيادة، و هذا النوع من التعامل كان منتشرا في الجزيرة العربية، ولقد تسرب هذا اللون من المعاملات الربوية إلى العرب من اليهود و كان يتعامل به الأشراف و غيرهم، متخذا صورا متعددة.

الوضع الأدبي:

كان العرب قبل الإسلام أمة أمية كما وصفها الله عز و جل في القرآن الكريم: "**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْاُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَـٰلٍ**

1- علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، مرجع سابق، 29/1.
2- سورة قريش: الآية 1-2.

مُّبِينٍ"[1]، و رغم أن هذه الصفة كانت غالبة عليها، فقد كان فيهم قليل ممن يكتبون و يقرأون، و مع أميتهم وعدم اتساع معارفهم، فقد كان العرب يشتهرون بالذكاء، و الفطنة، و الألمعية، و لطف المشاعر، و ارهاف الحس وحسن الاستعداد، و التهيؤ لقبول العلم و المعرفة[2]، و لما كان أكبر ما يتميز به العرب الذكاء والفطانة و حضور البديهة و فصاحة القول، كان أكبر مظاهر حياتهم الفكرية لغتهم و شعرهم و خطبهم ووصاياهم و أمثالهم.

اهتم العرب قبل الإسلام بالأدب و الشعر و الخطابة، و من فرط حبهم لهذه الفنون كانوا يعقدون أسواقا خاصة لذلك مثل ذو المجنة[3]، و عكاظ[4]، يجتمعون فيها و يتبادلون إلقاء الشعر الذي يتفاخرون فيه بالأنساب والأحساب، لذلك كانت أهمّية الشاعر و الشعر في الحياة العربية، يدل على ذلك تهاني القبائل لبعضها إذا نبغ فيها شاعر و كانوا لا يهنئون إلا بثلاث: بالغلام الذي يولد، و بالفرس التي تنتج، و بالشاعر الذي ينبغ، والاقتران بين ثلاثتها كمصادر قوة في الحياة العربية دليل على أهمية الشعر عند العرب[5].

يقول ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، و صنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، و يتباشر الرجال، و الولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم، و تخليد لمآثرهم، و إشادة بذكرهم، و كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج"[6].

و لذا لما بعث النبي صلى الله عليه و سلم و صدع بالدعوة في مكة عارضته قريش و وقفت في وجهه فاضطر إلى أن يهاجر من مكة إلى يثرب، و دخل بعد ذلك في حرب مع قريش لم يكتف فيها بقوة السيف والسنان، بل زج فيها سلاح البيان و اللسان، و كان يدعو شاعر الإسلام إلى النزال الشعري بقوله: "**اهجهم**

1- سورة الجمعة: الآية 2.

2- علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، مرجع سابق، ص36.

3- موضع أسفل مكة على أميال منها، و ذو المجاز يمين خلف عرفات.

4- عكاظ: قرية بين نخلة و الطائف بينها و بين مكة ثلاث مراحل اتخذت سوقا منذ سنة 540 للميلاد ثم بقيت في الإسلام إلى أن نهبها الخوارج سنة 159 هجري.

5- عبد الرحمان خليل ابراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الاسلامية أيام الرسول صلى الله عليه و سلم، مرجع سابق، ص23.

6- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1981، 65/1.

وروح القدس يؤيدك"[1]، و كان وقع شعره على قريش أشد من السهام، و ظهرت أسماء شعراء شاركت في هذا النزال، فدارت حرب كلامية بين المعسكرين، يقودها فرسان الكلمة و اللسان.

هذه هي أهم الملامح التي كانت تتميز بها شبه الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام، والذي كان له الفضل في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، ودعاهم إلى إتمام مكارم الأخلاق، والقيام بالحقوق و أداء الواجبات في كل مناحي الحياة وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

1-رواه البخاري: الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ،برقم 3213، ص655، ومسلم :الصحيح ،كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ،برقم2486 ، ص1037

المبحث الثاني: مدونة شعر السرايا

جمع ما قيل من أشعار في السرايا النبوية

المبحث الثاني: مدونة شعر السرايا

سريّة عبيدة بن الحارث إلى رابغ[1]:

في شوّال السّنة الأولى من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عبيدة بن الحارث بن المطلب[2] في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين فلقي أبا سفيان[3] و هو في مئتين على بطن رابغ[4]، و قد ترامى الفريقان بالنبل و لم يقع قتال، و كان لواء عبيدة أبيض، و حامله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف[5]، و قد رمى سعد بن أبي وقاص[6] بسهم، فكان أول سهم رمي في الإسلام.

في هذه السرية انضم رجلان من جيش مكة إلى المسلمين و هما المقداد بن عمر البهراني و عتبة بن غزوان المازني، و كانا مسلمين خرجا مع الكفار ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين.

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 2008م، 18/3.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، تحقيق محمد العيد الخطراوي و محيي الدين متو، دار ابن كثير، بيروت، دط، دت 354/1-355.

- ابن كثير: البداية و النهاية، تحقيق علي محمد معوض ،و عادل أحمد عبد الموجود و آخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان ،ط3،2009م 501/3.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدرسابق، 224/2-229.

2- عبيدة بن الحارث : عبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي. يكنى بأبي الحارث، و قيل: أبو معاوية، و أمه سخيلة بنت خزاعي بن الحويرث الثقفي، و كان أسن من رسول الله بعشر سنين، و كان إسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه و سلم دار الأرقم بن أبي الأرقم، و كان لعبيدة قدر و منزلة كبيرة عند رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم شهد عبيدة بدرا و كان عمره حين قتل ثلاثا و ستين سنة.
تنظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة ص811-812، ابن عبد البر: الاستيعاب 1020/2-1022، ابن سعد: الطبقات الكبرى، 48/3-49.

3- أبو سفيان صخر بن حرب: بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابي، من سادات قريش في الجاهلية، فكان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره، و أسلم يوم فتح مكة (سنة 8 هـ)، و أبلى بعد إسلامه بلاء حسن، و شهد حنينا و الطائف و اليرموك، قيل توفي بالمدينة و قيل بالشام، تنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب 813-814، أبو فرج الأصفهاني: الأغاني 341/6-356. هذا ما ذكره ابن سعد، أما ابن اسحاق فذكر أنه كان على رأسهم عكرمة بن أبي جهل، و قيل كان على رأسهم مكرز بن حفص.

4- واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة أميال من الجحفة.

5- مسطح بن أثاثة: بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبي، كان اسمه عوفا، و أما مسطح فهو لقبه، و أمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت و أسلم أبوها قديما، و مات مسطح سنة أربع و ثلاثين في خلافة عثمان؛ و يقال عاش إلى خلافة علي و شهد معه صفين، و مات في تلك السنة سنة سبع و ثلاثين. تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة، 74/6.

6- سعد بن أبي وقاص: هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو اسحاق ابن أبي وقاص أحد المبشرين بالجنة و آخرهم موتا و هو أحد الستة من أهل الشورى، و كان مستجاب الدعوة و مات بالعقيق سنة (55هـ). تنظر ترجمته في: الأخبار الطوال، ص174 الزركلي: الأعلام، 87/3.

قال ابن هشام: و أكثر أهل العلم بالشّعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر[1] رضي الله عنه[2]: (من الطويل)

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمى بِالبِطاحِ الدَّمائِثِ ... أَرِقْتَ وَ أَمْرٍ في العَشيرةِ حادِثِ[3]

تَرَى مِنْ لُؤيٍّ فُرْقَةً لا يَصُدُّهَا ... عَنِ الكُفْرِ تَذْكيرٌ وَ لا بَعْثُ باعِثِ

رَسولٌ أَتاهُمْ صادِقٌ فَتَكَذَّبُوا ... عَلَيْهِ وَ قالُوا: لَسْتَ فِينَا بِماكِثِ

إِذا ما دَعَوْناهُمْ إِلى الحَقِّ أَدْبَرُوا ... وَ هَرُّوا هَريرَ المُحْجِراتِ اللَّواهِثِ[4]

فَكَمْ قَدْ مَتَتْنا فيهِمُ بِقَرابَةٍ ... وَ تَرْكُ التُّقى شَيْءٌ لَهُم غَيْرُ كارِثِ[5]

فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَ عُقُوقِهِمْ ... فَما طَيِّباتُ الحِلِّ مِثْلَ الخَبائِثِ

وَ إِنْ يَرْكَبُوا طُغْيانَهُمْ وَ ضَلالَهُمْ ... فَلَيْسَ عَذابُ اللهِ عَنْهُمْ بِلابِثَ

وَ نَحْنُ أُناسٌ مِنْ ذُؤابَةِ غالِبٍ ... لَنا العِزُّ مِنْهَا في الفُرُوعِ الأَثائِثِ[6]

فَأُوْلِي بِرَبِّ الرَاقِصاتِ عَشِيَّةً ... حَراجيجُ تُحْدَى في السَّريحِ الرَّثائِثِ[7]

كَأُدْمِ ظِباءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكَّفٍ ... يَرِدْنَ حِياضَ البِئْرِ ذاتِ النَّبائِثِ[8]

لَئِنْ لَمْ يُفيقُوا عاجِلاً مِنْ ضَلالِهِمْ ... وَ لَسْتُ إِذا آلَيْتُ قَوْلاً بِحانِثِ

لَتَبْتَدِرَنْهُمْ غارَةٌ ذاتُ مَصْدَقٍ ... تُحَرِّمُ أَطْهارَ النِّساءِ الطَّوامِثِ[9]

1- أبو بكر الصديق: اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي، و اسم أمه: أم الخير سلمى بنت ضمر بن عامر ماتت مسلمة من أوائل من دخل الإسلام، و نال شرف الصحبة في الهجرة، و هو أول خليفة للمسلمين، توفي ليلة الثلاثاء بين المغرب و العشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، و هو ابن ثلاث و ستين، و دفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و صلى عليه عمر رضي الله عنه. تنظر ترجمته في: ابن الجوزي، الصفوة، 123/1-139، ابن عبد البر: الاستيعاب، 2088/2-2089.

2- راجي الأسمر: ديوان أبي بكر الصديق، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت-لبنان، ط3، 2007، ص21-24.

- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 18/3-19.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، ص 255/3، لم يورد سوى الأبيات الأربع الأولى فقط.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 225/2-227.

3- الدمائث: الرمال اللينة، و "أرقت" معناها امتنعت عن النوم.

4- هروا: معناه وثبوا كما تثب الكلاب، "المحجرات" يقال بتقديم الجيم على الحاء المهملة و بالعكس و معناه: التي ألجئت إلى مواضعها، و "اللواهث" التي أخرجت ألسنتها و تعبت فانقطعت أنفاسها.

5- متتنا: أي اتصلنا، و في أكثر أصول "منينا" و هو تحريف، و "غير كارث" أي غير محزن و تقول: كرثه يكرثه -من باب ضرب و نصر- إذا أحزنه و أنزل به كارثة.

6- الفروع الأثائث: الكثيرة المجتمعة.

7- أولى: أحلف و أقسم، و "الراقصات" الإبل، و الرقص ضرب من السير، "حراجيج" حرجوج و هو الطويل، و يروى "عناجيج" و هي الحسان و"تحدي" بالحاء المهملة أي تساق، و "السريح" قطع من الجلد تربط على أخفاف الإبل مخافة أن تأذيها الحجارة، و "الرثائث" البالية الخلقة.

8- الأدم: جمع أدماء و هي السمراء الظهر البيضاء البطن، و "عكف" مقيمة، و "النبائث" جمع نبيثة و هي تراب يخرج من البئر إذا نقيت.

9- الطوامث: جمع طائث و هي الحائض.

تُغادِرُ قَتْلَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ ... وَ لا تَرْأفُ الكُفَّارَ رَأْفَ ابنِ حارِثِ[1]
فَأَبْلِغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً ... وَ كُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَ باحِثِ
فَإِنْ تَشْعَثُوا عِرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ ... فَإِنِّي مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شاعِثِ[2]

فأجابه عبد الله بن الزَّبَعْرى السَّهْمِيُّ[3]، فقال[4]: (من الطويل)

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ أَقْفَرَتْ بِالعَثاعِثِ ... بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُها غَيْرُ لابِثِ[5]
وَ مِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ وَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ... لَهُ عَجَبٌ مِنْ سابِقاتٍ وَ حادِثِ
لِجَيْشٍ أَتانَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ ... عُبَيْدَةُ يُدْعَى في الهِياجِ ابْنَ حَارِثِ
لِنَتْرُكَ أَصْنامًا بِمَكَّةَ عُكَّفًا ... مَواريثَ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لِوارِثِ
فَلَمَّا لَقِيناهُمْ بِسُمْرٍ رُدَيْنَةٍ ... وَ جُرْدٍ عِتاقٍ في العَجاجِ لَواهِثِ[6]
وَ بِيضٍ كَأَنَّ المِلْحَ فَوْقَ مُتُونِهَا ... بِأَيْدِي كُمَاةٍ كَاللُّيُوثِ العَوائِثِ[7]
نُقِيمُ بِهَا إِصْعَارَ مَنْ كانَ مائِلاً ... وَ نَشْفِي الذُّحُولَ عاجِلاً غَيْرَ لابِثِ[8]
فَكَفُّوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَ هَيْبَةٍ ... وَ أَعْجَبَهُمْ أَمْرٌ لَهُمْ أَمْرُ رَائِثِ[9]

1- تعصب الطير: تجمع، و قوله لا ترأف الكفار فإنه ضمن هذا الفعل معنى ترحم، فلذلك نصب به المفعول.

2- تشعثوا: معناه تغيروا و تفرقوا.

3- عبد الله بن الزبعرى: عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص القرشي السهمي الشاعر، أمه كاتكة بنت عبد الله بن عمير بن أهيب بن حذافة بن جمح. و كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه و سلم في الجاهلية و على أصحابه بلسانه و نفسه و كان يناضل عن قريش و يهاجي المسلمين، و كان من أشعر قريش، قال الزبير: كذلك تقول رواة قريش: إنه كان أشعرهم في الجاهلية، ثم أسلم عبد الله بعد الفتح و حسن إسلامه. توفي سنة 15 هـ. تنظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة ص668، ابن عبد البر: الاستيعاب 901/2-904، ابن حجر: الإصابة 76/4-77، ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء 235/1-244.

4- السهيلي: الروض الأنف،مصدر سابق، 19/3.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 255/3، لم يورد سوى الأبيات الأربع الأولى فقط.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 227/2-229.

- يحي الجبوري: شعر عبد الله بن الزبعري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981، ص31-32.

5- العثائث: أصلها أكداس الرمل التي لا تنبت شيئا و أصلها عثعث، و قال ياقوت عثاعث: جبال صغار سود مما يلي يسار العرائس، و هي أجبل مشرفات على وادي مهزول اندفنت في الرمل، و "غير لابث" بالباء الموحدة من اللبث و هو المكث و يروى "غير لائث" بالهمزة، و معناه غير محتبس.

6- سمر: جمع أسمر، و أراد به الرمال، و "ردينة" امرأة تنسب الرماح إليها، و "الجرد" جمع أجرد، و أراد الخيل القصيرات الشعر، و يقال السريعة و"العجاج" الغبار.

7- بيض: جمع أبيض و أراد بها السيوف، و "الكماة": جمع كمى، و هو الشجاع، و "العوابث": جمع عابث من العبث، و يروى "العوائث" جمع عائث من العبث و هو الفساد.

8- إصعار: هو الميل، و يروى إصغاء و هو بمعناه، و "الذحول" جمع ذحل، و هو طلب الثأر،

9- رائث: -بالهمزة- من الريث و هو التمهل و البطء: أي غير مبطئ.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٌ أَيَامَى لَهُمْ مِنْ بَيْنِ نَسْءٍ وَ طَامِثِ[1]
وَ قَدْ غُودِرَتْ قَتْلَى يُخَبِّرُ عَنْهُمُ حَفِيٌّ بِهِمْ أَوْ غافِلٌ غَيْرُ باحِثِ[2]
فَأَبْلِغْ أبا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسالَةً فَمَا أَنْتَ عَنْ أَعْراضِ فِهْرٍ بِماكِثِ
وَ لَما تَجِبْ مِنِّي يَمِينٌ غَليظَةٌ تُجَدِّدُ حَرْبًا حَلْفَةً غَيْرَ حانِثِ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتًا واحدًا، و أكثر أهل العلم بالشّعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعري.

و قال ابن اسحاق: و قال سعد بن أبي وقّاص[3] في رَمْيتهِ تلك، فيما يذكرون[4]: (من الوافر)

أَلا هَلْ أَتَى رَسولَ اللهِ أَنِّي حَمَيْتُ صَحابَتي بِصُدورِ نَبْلِي
أَذودُ بِها أَوائِلَهُمْ ذِيادًا بِكُلِّ حُزونَةٍ وَ بِكُلِّ سَهْلِ[5]
فَما يَعْتَدُّ رامٍ في عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يا رَسولَ اللهِ قَبْلي
وَ ذَلِكَ أَنَّ دينَكَ دينُ صِدْقٍ وَ ذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَ عَدْلِ
يُنَجِّي المؤمنونَ بِهِ وَ يُخْزَى بِهِ الكُفّارُ عِنْدَ مَقامِ مَهْلِ[6]
فَمَهْلاً قَدْ غَوَيْتَ فَلا تَعِبْني غَوِيَّ الحَيِّ وَيْحَكَ يا ابْنَ جَهْلِ

قال ابن هشام: و أكثر أهل العلم بالشّعر ينكرها لسعد.

1- أيامى: ليس لهن أزواج، و "النسء": المتأخرة الحيض، فيضن بها الحمل، و يقال: هي المرأة أول مدة حملها.
2- حفي: هو المبالغ في السؤال.
3- سعد بن أبي وقاص: سبق ترجمته في ص20.
4- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق،19/3.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 255/3.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 229/2.
5- الحزونة: الوعر من الأرض، و "السهل": ضده
6- مهل: أي امهال و تثبت.

سريّة حمزة رضي الله عنه إلى سيف البحر[1]:

وقعت في رمضان سنة واحد هجرية، و أمّر رسول الله صلى الله عليه و سلم على هذه السرية حمزة بن عبد المطلب[2]، و بعثه في ثلاثين رجلا من المهاجرين يعترض عيرا لقريش جاءت من الشام بقيادة أبي جهل[3] في ثلاثمئة رجل من المشركين، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص[4]، فالتقوا و اصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمر الجهني و كان حليفا للفريقين جميعا ، بين هؤلاء وهؤلاء، حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا.

كان لواء حمزة أول لواء ارتفع في سبيل الله تبارك وتعالى عقده رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان أبيض، و كان حامله مرثد كناز بن حصين الغنوي[5] حليف حمزة بن عبد المطلب.

قال ابن اسحاق: و بعض الناس يقولون كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه و بعث عبيدة، كانا معا فشبه ذلك على الناس، وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث، وقد جاء عن الواقدي أنه قال: كانت سرية حمزة في رمضان من

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 20/3.
- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 354/1-355.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 256/3.
- ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 229/2-230.

2- حمزة بن عبد المطلب: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمارة عم النبي صلى الله عليه و سلم و أخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، و قريبه من أمه لأن أم حمزة هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم آمنة بنت وهب بن عبد مناف أم النبي صلى الله عليه و سلم، ولد قبل النبي بسنتين و قيل بأربع، و أسلم في السنة الثانية من البعثة، و استشهد بأحد، و كان ذلك في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، و دفن حمزة و عبد الله بن جحش في قبر واحد، تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة 105/2-107، ابن عبد البر الاستيعاب: 369/1-375، الذهبي: سير أعلام النبلاء، 171/1-184.

3- أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، أحد سادات قريش و دهاتها و أبطالها سودته قريش و هو صغير، و أدرك الإسلام فكان أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه و سلم، قتل يوم بدر، روى له ابن هشام شعرا يرد فيه على حمزة بن المطلب. ينظر ترجمته: سيرة ابن هشام: 247/2.

4- العيص: اسم موضع على ساحل البحر كانت تسلكه قريش و هي في طريقها للتجارة بالشام.

5- مرثد بن أبي مرثد: واسم أبي مرثد :كناز الغنوي ،بنون ثقيلة و زاي ، ابن الحصين؛ وهما ممن شهد بدرا ، حلفاء حمزة بن عبد المطلب ،وكان يحمل الاسارى من مكة ألى المدينة من شدته و قوته ، واستشهد في غزوة الرجيع ، تنظر ترجمته في :ابن الأثير، أسد الغابة ص1115-1116،ابن حجر الإصابة،56/6-57.

السنة الأولى، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها، وقد رجح ابن اسحاق سرية عبيدة هي الأولى رواية عن أهل العلم.

قال ابن هشام: و أكثر أهل العلم بالشّعر ينكر هذا الشّعر لحمزة رضي الله عنه[1]: (من الطويل)

أَلا يـــا لَقَـــوْمِي لِلـــتَّحَلُّمِ وَ الجَهْـــلِ ... و لِلـــنَّقْصِ مِـــنْ رَأيِ الرِّجـــالِ وَ لِلْعَقْـــلِ

و للرّاكِبِينَـــــا بِالمظـــــالِمِ لَمْ تَطَـــــأْ ... لَهُـــمْ حُرُمـــاتٍ مِـــنْ سَـــوامٍ وَ لا أَهْـــلِ[2]

كَأَنَّـــا تَبَلْنـــاهُمْ وَ لا تَبْـــلَ عِنْـــدَنا ... لَهُـــمْ غَيْـــرُ أَمْـــرٍ بِالعَفـــافِ وَ بِالعَـــدْلِ[3]

وَ أَمْـــرٍ بِإِسْـــلامٍ فَـــلا يَقْبَلُونَـــهُ ... وَ يَنْـــزِلُ مِـــنْهُمْ مِثْـــلَ مَنْزِلَـــةِ الهَـــزْلِ

فَمـــا بَرِحُـــوا حَـــتَّ ابْتَـــدَرْتُ لِغـــارَةٍ ... لَهُـــمْ حَيْـــثُ حَلُّـــوا أَبْتَغِـــي رَاحَـــةَ الفَضْـــلِ[4]

بِـــأَمْرِ رَســـولِ اللهِ أَوَّلُ خـــافِقٍ ... عَلَيْـــهِ لِـــواءً لَمْ يَكُـــنْ لاحَ مِـــنْ قَبْلِـــي

لِـــواءٌ لَدَيْـــهِ النَّصْـــرُ مِـــنْ ذِي كَرامَـــةٍ ... إِلـــهٍ عَزيـــزٍ فِعْلُـــهُ أَفْضَـــلُ الفِعْـــلِ

عَشِـــيَّةَ ســـارُوا حاشِـــدينَ وَ كُلُّنـــا ... مَراجِلُـــهُ مِـــنْ غَـــيْظِ أَصْـــحابِهِ تَغْلـــي[5]

فَلَمَّـــا تَراءَيْنـــا أَنـــاخُوا فَعَقَّلُـــوا ... مَطايـــا وَ عَقْلُنـــا مَـــدى عَـــرَضِ النَّبْـــلِ

فَقُلْنـــا لَهُـــمْ حَبْـــلُ الإِلـــهِ نَصـــيرُنا ... وَ مـــا لَكُـــمْ إِلاَّ الضَّـــلالَةَ مِـــنْ حَبْـــلِ

فَثـــارَ أَبُـــو جَهْـــلٍ هُنالِـــكَ باغِيًـــا ... فَخـــابَ وَ رَدَّ اللهُ كَيْـــدَ أَبي جَهْـــلِ

وَ مـــا نَحْـــنُ إِلاَّ فِي ثَلاثـــينَ رَاكِبًـــا ... وَ هُـــمْ مائتـــانِ بَعْـــدَ واحـــدةٍ فَضْـــلِ

فَيـــالَ لُـــؤَيٍّ لا تُطيعُـــوا غُـــواتَكُمْ ... وَ فيئـــوا إِلى الإِســـلامِ وَ المـــنْهَجِ السَّـــهْلِ[6]

فَـــإِنِّي أَخـــافُ أَنْ يُصَـــبَّ عَلَـــيْكُمْ ... عَـــذابٌ فَتَـــدْعُوا بِالنَّدامَـــةِ وَ الثُّكْـــلِ[7]

---

1 – السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 20/3.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 256/3-257.

– ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 230/2-232.

2– السوام: الإبئل المرسلة في المرعى. مصدر

3– تبلناهم: معناه عادياهم، و التبل العداوة، و يقال طلب الثأر، و قوله "بالعفاف" وقع في مكانه بعض النسخ "بالعقاب"

4– ابتدرت: يروى في مكانه انتدبت.

5– مراجله: المراجل جمع مرجل، و هو القدر، و خصه بعضهم بالقدر من النحاس.

6– فيئوا: معناه ارجعوا، و "المنهج": الطريق الواضح.

7– الثكل: الفقد و الحزن، تقول ثكل فنان ولده ثكلا ; إذا فقده.

فأجابه أبو جهل بن هشام فقال[1]: (من الطويل)

عَجَبْتُ لأَسْبابِ الحَفيظَةِ وَ الجَهْلِ ... وَ لِلشَّاغِبينَ بِالخِلافِ وَ بِالبُطْلِ[2]

وَ لِلتَّارِكينَ ما وَجَدْنا جُدُودَنا ... عَلَيْهِ ذَوِي الأَحْسابِ وَ السُّؤْدَدِ الجَزْلِ[3]

أَتَوْنا بِإِفْكٍ كَيْ يُضِلُّوا عُقولَنا ... وَ لَيْسَ مُضِلاً إِفْكُهُمْ عَقْلَ ذِي عَقْلِ

فَقُلْنا لَهُمْ: يا قَوْمَنا لا تُخالِفُوا ... على قَوْمِكُمْ إِنَّ الخِلافَ مَدَى الجَهْلِ

فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفْعَلُوا تَدْعُ نِسْوَةٌ ... لَهُنَّ بَواكٍ بالرَّزِيَّةِ وَ الثُّكْلِ

وَ إِنْ تَرْجِعُوا عَمّا فَعَلْتُمْ فَإِنَّنا ... بَنُو عَمِّكُمْ أَهْلُ الحَفائِظِ وَ الفَضْلِ

فَقالوا لنا: إِنَّا وَجَدْنا مُحَمَّدًا ... رِضًا لِذَوي الأَحْلامِ مِنَّا وَ ذِي العَقْلِ

فَلَمّا أَبَوْا إِلاَّ الخِلافَ وَ زَيَّنُوا ... جِماعَ الأُمورِ بالقَبيحِ مِنَ الفِعْلِ

تَيَمَّمْتُهُمْ بالسّاحِلَيْنِ بِغارَةٍ ... لَأَتْرُكَهُمْ كَالعَصْفِ لَيْسَ بِذي أَصْلِ[4]

فَوَرَّعَني مَجْدِي عَنْهُمْ وَ صُحْبَتِي ... وَ قَدْ وَازَرُوني بالسُّيوفِ وَ بِالنَّبْلِ[5]

لإِلٍّ عَلَيْنا واجِبٍ لا نُضيعُهُ ... أَمينٍ قُواهُ غَيْرِ مُنْتَكَثِ الحَبْلِ[6]

فَلَوْلا ابنُ عَمْرٍو كُنْتُ غادَرْتُ مِنْهُمُ ... مَلاحِمَ للطَّيْرِ العُكوفِ بِلا تَبْلِ

وَ لكِنَّهُ آلَى بِإِلٍّ فَقَلَّصَتْ ... بِأَيْمانِنا حَدُّ السُّيوفِ عَنِ القَتْلِ[7]

فَإِنْ تُبْقِنِي الأَيّامُ أَرْجِعْ عَلَيْهِمُ ... بِبِيضٍ رِقاقِ الحَدِّ مُحْدَثَةِ الصَّقْلِ

بِأَيْدي حُماةٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ ... كِرامِ المَساعِي في الجُدُوبَةِ وَ المَحْلِ

1- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/20-21.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 3/257، لم يورد سوى بيتين.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 2/232-233.

2- الحفيظة: الغضب و جمعه حفائظ، و البطل: و أراد به الباطل.

3- السؤدد الجزل: العظيم.

4- العصف: ورق الزرع الذي يصفر على ساقه، و يقال: هو دقاق التبن.

5- ورعني: كفني، و منع الورع عن الحرام، هو الكف عنها، و وازروني: أعانوني.

6- الإل: -بكسر الهمزة و تشديد اللام-، العهد، و غير منتكث: أي غير منتقض.

7- قلصت: انقبضت.

سريّة عبد الله بن جحش إلى نخلة[1]:

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عبد الله بن جحش[2] إلى نخلة في رجب على رأس سبعة عشرة شهرا من الهجرة، و بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، كل اثنين يتعاقبان على بعير فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون عيرا لقريش.

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم كتب له كتابا و أمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه و لما فتح الكتاب وجد فيه: (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة و الطائف فترصد بها عير قريش و تعلم لنا من أخبارهم)، فقال: سمعا و طاعة، و أخبر أصحابه بذلك، و بأنه لا يستكرههم فمن أحب الشهادة فلينهض، و من كره الموت فليرجع، و أما أنا فناهض، فمضوا كلهم.

فلما كان في أثناء الطريق أظل سعد بن أبي وقاص، و عتبة بن غزوان بعيرا لهما كان يتعاقبانه فتخلفا في طلبه، و بعد عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت به عير قريش تحمل زبيبا و أدما و تجارة فيها عمرو بن الحضرمي و عثمان و نوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، و الحكم بن كيسان مولى المغيرة.

فتشاور المسلمون و قالوا: (نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم)، ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمر بن الحضرمي فقتله و أسروا عثمان والحكم، و أفلت نوفل، ثم قدموا بالعير و الأسيرين، و قد عزلوا من ذلك الخمس، و هو أول خمس في الإسلام وأول قتيل في الإسلام، و أول أسيرين في الإسلام.

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 3/22-25.
- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 1/359-362.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 3/260-264.
- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 2/238-243.

2- عبد الله بن جحش: عبد الله بن جحش الأسدي: أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة و شهد بدر، و هو أول أمير في الإسلام، استشهد يوم أحد و له نيف و أربعون سنة، ينظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة، 4/31-33، سيرة ابن هشام 2/256.

و أنكر رسول الله صلى الله عليه و سلم عليهم ما فعلوا، و اشتد تعنت قريش و إنكارهم ذلك، و زعموا أنهم قد وجدوا مقالا، فقالوا: (قد أحل محمد الشهر الحرام)، و اشتد على المسلمين ذلك حتى أنزل الله تعالى: **"يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اِسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَأُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ"**[1].

قال ابن اسحاق: فقال أبو بكر رضي الله عنه في غزوة عبد الله بن جحش، و يقال: بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش: قد أحل محمد و أصحابه الشهر الحرام، و سفكوا فيه الدم و أخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال، و قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش[2]: (من الطويل)

تَعُـــدُّونَ قَـــتْلاً فِي الحَـــرامِ عَظيمَـــةً ... وَ أَعْظَـــمُ مِنْـــهُ لَـــوْ يَـــرَى الرُّشْـــدَ راشِـــدُ

صَـــدُودُكُمُ عَمَّـــا يَقُـــولُ مُحَمَّـــدٌ ... وَ كُفْـــرٌ بِـــهِ وَ اللهُ رَاءٍ وَ شـــاهِدُ

وَ إِخْـــراجُكُمْ مِـــنْ مَسْـــجِدِ اللهِ أَهْلَـــهُ ... لِـــئَلاَّ يُـــرَى للهِ فِي البَيْـــتِ ســـاجِدُ

فَإِنَّـــا وَ إِنْ عَيَّرْتُمونـــا بِقَتْلِـــهِ ... وَ أَرْجَـــفَ بالإِسْـــلامِ بـــاغَ وَ حاسِـــدُ

سَـــقَيْنا مِـــنَ ابْـــنِ الحَضْـــرَمِيِّ رِماحَنـــا ... بِنَخْلَـــةَ لَمَّـــا أَوْقَـــدَ الحَـــرْبَ واقِـــدُ

دَمًـــا وَ ابْـــنُ عَبْـــدِ اللهِ عُثْمـــانُ بَيْنَنـــا ... يُنازِغُـــهُ غُـــلٌّ مِـــنَ القِـــدِّ عانِـــدُ[3]

1- سورة البقرة: الآية 217.

2- السهيلي: الروض الأنف مصدر ، سابق، 25/3.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 361/1. لم يورد سوى ثلاث أبيات.

- ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، 263/3-264.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 243/2.

3- القد: -بكسر القاف- شرك يقطع من الجلد، و عاند: -بالنون و الدال المهملة- سائل بالدم لا ينقطع.

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَة:[1]

قال ابن اسحاق: و سرية زيد بن حارثة[2] التي بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها، حين أصاب عير قريش و فيها أبو سفيان بن حرب[3]، على القَرَدَة ماء من مياه نجد. و كان من حديثها: أن قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام. حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب و معه فضة كثيرة، و هي عظم تجارتهم، و استأجروا رجلا من بكر بن وائل، يقال له: فُرَات ابن حَيَّان، يدلهم في ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فُرَات بن حَيَّان من بني عجل، حليف لبني سهم.

قال ابن إسحاق: و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم زيد بن حارثة، فلقيهم على ماء يقال له القردة فأصاب تلك العير و ما فيها، و أعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه و سلم.

وذهب الواقدي: بأن رئيس هذه العير صفوان بن أمية، وكان سبب بعثه زيد بن حارثة في هذه أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير، وهو على دين قومه، واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم، فشربوا و كان ذلك قبل أن تحرم الخمر ، فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 138/3.
- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 455/1-456.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 5/4.
- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 429/2-430.

2- زيد بن حارثة: ابن عبد العزى بن امرئ القيس، و يقال له زيد الحب، و أمه سعدة بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها و زيد معها، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن فاحتملوا زيدا و هو يومئذ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد فلما تزوجها رسول الله وهبته له، كان من السابقين الأولين دخولا للإسلام، شهد بدر و أحد و الخندق و الحديبية وخيبر و استخلفه رسول الله على المدينة، و خرج أميرا في سبع سرايا، و قتل في غزوة مؤتة و هو ابن خمس و خمسين سنة. تنظر ترجمته: ابن الجوزي: صفوة الصفوة، 199/1-201، ابن عبد البر: الاستيعاب، 542/2-547.

3- أبو سفيان: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش، و قائده يو أحد، و يوم الخندق، أسلم يوم الفتح، و كان من دهاة العرب، و من أهل الرأي و الشرف فيهم، فشهد حنينا، و قتال الطائف ، فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، و كان يومئذ قد حسن –إن شاء الله– إيمانه، فإنه كان يومئذ يحرض على الجهاد. و توفي بالمدينة سنة إحدى و ثلاثين، و قيل سنة اثنتين و قيل سنة ثلاث أو أربع و ثلاثين، و له نحو التسعين. تنظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 54/3-55، ابن عبد البر: أسد الغابة، 714/2-715.

وخروج صفوان بن أمية وما معه من الأموال و أعجزهم الرجال، وإنما أسروا رجلا أو رجلين، وقدموا بالعير فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وقسم أربعة أخماسها على السرية.

فقال حسان بن ثابت[1] بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لأخذهم تلك الطريق:[2] (من الطويل)

دَعُــوا فَلَجــاتِ الشَّــأْمِ قَــدْ حــالَ دُونَهَــا ... جِـــــلادٌ كَـــــأَفْواهِ المخـــــاضِ الأَوارِكِ[3]

بِأَيْـــدي رِجـــالٍ هـــاجَرُوا نَحْـــوَ رَبِّهِـــمْ ... وَ أَنْصـــارِهِ حَقًّـــا وَ أَيْـــدِي المِلائِـــكِ

إذا سَـــلَكَتْ لِلْغَـــوْرِ مِـــنْ بَطْـــنِ عـــالِجٍ ... فَقُـــولا لَهَـــا: لَـــيْسَ الطَّرِيـــقُ هُنالِـــكَ[4]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات لحسان بن ثابت نقضها عليه أبو سقيان بن الحرث بن عبد المطلب.

1- حسان بن ثابت: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار. من قبيلة الخزرج، ولد في المدينة قبل مولد النبي صلى الله عليه و سلم بنحو ثماني سنوات، فعاش في الجاهلية ستين سنة و في الإسلام ستين سنة أخرى، و شب في بيت وجاهة وشرف، منصرفا إلى اللهو و الغزل، و لما بلغ حسان بن ثابت الستين من عمره، و سمع بالإسلام دخل فيه و راح يدافع عن رسول الله و عن الإسلام ويهجو خصومهما.

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ينصب له منبرا في المسجد، يقوم عليه قائما، يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و رسول الله يقول "إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم". أخرجه الترمذي عن عائشة، رقم 2846، ص636. توفي حسان بن ثابت في المدينة المنورة سنة 54 هجرية في عهد معاوية بن أبي سفيان عن عمر ناهز المائة و العشرين عاما.

تنظر ترجمته في: ابن عبد البر: الاستيعاب، 1/341-351، ابن حجر: الإصابة، 2/55-57، الذهبي: سير أعلام النبلاء 2/512-523،

2- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/138.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 1/456.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/5-6.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 2/430.

3- الفلجات: الأنهار الصغار، الجلاد: المجالدة في الحرب، و المخاض: الإبل الحوامل و الأوارك: التي ترعى الأراك، و هو شجر السواك.

4- الغور: المنخفض من الأرض، و عالج: موضع كثير الرمل.

سرية قتل كعب بن الأشرف[1]:

كان كعب بن الأشرف[2] أحد يهود بني النضير و كان قائدا و زعيما من زعمائها، و كان من أشدهم حنقا على الإسلام و المسلمين، و إيذاءا لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد أنشد الأشعار في هجاء المسلمين ولم يكتف بهذا الأمر، بل ذهب ليؤلب القبائل على الدولة الإسلامية و ذهب أيضا إلى مكة و ألب قريشا على المسلمين، و بدأ يذكرهم و يتذاكر معهم قتلاهم في بدر.

و هو بمكة سأله أبو سفيان[3] و المشركون: أديننا أحب إليك أم دين محمد و أصحابه؟ و أي الفريقين أهدى سبيلا؟ فقال: أنتم أهدى منهم سبيلا و أفضل، و في ذلك أنزل الله قوله تعالى: " **اَلَمْ تَرَ إِلَى اَلذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَـٰبِ يُومِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلذِينَ كَفَرُوا هـٰؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ الذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا**"[4].

هذا الكلام لكعب شجع قريشا على حرب المسلمين، و وصلت به الصلافة إلى فعل أمور تخرج عن أدب العرب و فطرتهم، فقد بدأ يتحدث بالفاحشة في أشعاره عن نساء الصحابة رضي الله عنهن و عن أزواجهن جميعا.

هذه الجرائم التي ارتكبها، و نقضه للمعاهدة التي بينه و بين الرسول عليه الصلاة و السلام التي كان من بنودها ألا تُجَارَ قريش و لا تُنْصَر على المسلمين، و بالتالي ما فعله كعب كان كفيلا بأن يصدر النبي صلى الله

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 139/3.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 448/1-451.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 6/4-10.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 430/2-439.

2- كعب بن الأشرف: كعب بن الأشرف الطائي اليهودي: أبو ليلى أمه من بني النضير، و كان سيدا في أخواله، أدرك الإسلام و لم يسلم و له شعر يبكي فيه قتلى بدر من المشركين، شبب بنساء المسلمين، قتله محمد بن مسلمة خارج حصنه سنة 3هـ. تنظر ترجمته في: الزركي: الأعلام255/5 وسيرة ابن هشام: 55/3.

3- أبو سفيان: سبقت ترجمته في ص29.

4- سورة النساء: الآية: 51.

عليه و سلم قرارا في منتهى الحسم، و هو قرار قتل كعب بن الأشرف، فقال صلى الله عليه و سلم: "**من لي بكعب بن الأشرف، فإنه آذى الله و رسوله**".

فقام محمد بن سلمة و عباد بن بشر و أبو نائلة و الحارث بن أوس و مجموعة من الأوس رضي الله عنهم و قرروا القيام بهذه المهمة و أدوها على أحسن وجه، و بهذا تخلصت الدولة الإسلامية من أحد ألد أعدائها و هو كعب بن الأشرف.

و مما جاء على لسانه من شعر و هو يبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر فقال[1]: (من الكامل)

طَحَنَتْ رَحا بَدْرٍ لِمُهْلَكِ أَهْلِهِ ... وَ لِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَ تَدْمَعُ[2]

قُتِلَتْ سَراةُ النّاسِ حَوْلَ حِياضِهِمْ ... لا تَبْعَدُوا إنَّ الملوكَ تُصَرِّعُ[3]

كَمْ قَدْ أُصيبَ بِهِ مِنَ أَبْيَضَ ماجِدٍ ... ذِي بَهْجَةٍ تَأْوِي إلَيْهِ الضُّيَّعُ[4]

طَلْقِ اليَدَيْنِ إذا الكَواكِبُ أَخْلَفَتْ ... حَمَّالِ أَثْقالٍ يَسودُ وَ يَرْبَعُ[5]

وَ يَقولُ أَقْوامٌ أُسَرُ بِسُخْطِهِمْ: ... إنَّ ابْنَ الأَشْرَفِ ظَلَّ كَعْبًا يَجْزَعُ

صَدَقُوا فَلَيْتَ الأَرْضَ ساعةَ قُتِّلُوا ... ظَلَّتْ تَسُوخُ بِأَهْلِها وَ تَصَدَّعُ[6]

صارَ الذي أَثَرَ الحديثَ بِطَعْنَةٍ ... أَوْ عاشَ أَعْمَى مُرْعَشًا لا يَسْمَعُ[7]

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي المغيرَةِ كُلَّهُمْ ... خَشَعُوا لِقَتْلِ أَبي الحَكيمِ وَ جُدِّعُوا[8]

و ابْنا رَبيعَةَ عِنْدَهُ وَ مُنَبِّهٌ ... ما نالَ مِثْلَ المهْلَكينَ وَ تُبَّعُ[9]

1- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 139/3.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 7/4، لم يورد سوى البيت الأول

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 431/2-433.

2- رحا الحرب: مجتمع القتال و معظم الحرب، و تستهل: تسيل بالدمع، يقال: استهل المطر و الدمع إذا سال.

3- سراة الناس: خيارهم، و الحياض: جمع حوض.

4- الماجد: الشريف، و البهجة: حسن الظاهر، و الضيع: جمع ضائع و هو الفقير.

5- طلق اليدين: كثير المعروف كريم، و أخلفت: لم يكن معها مطر، و يربع: يأخذ الربع.

6- تسوخ بأهلها: يغورون فيها و ينزلون ببطنها، و تصدع: تتشقق.

7- أثر الحديث: حدث به و نقله و أشاعه في الناس.

8- جدعوا: قطعت آنافهم و أراد هنا ذهاب عزتهم.

9- تبع: ملك من ملوك اليمن.

نُبِّئْـــتُ أَنَّ الحَـــرِثَ بْـــنَ هِشـــامِهِمْ فِي النَّـــاسِ يَبْـــنِي الصَّـــالِحاتِ وَ يَجْمَـــعُ
لِيَـــزُورَ يَثْـــرِبَ بِـــالجُموعِ وَ إِنَّمَـــا يَحْمِـــي عَلَـــى الحَسَـــبِ الكَـــرِيمُ الأَرْوَعُ[1]

قال ابن هشام: قوله "تبع" و "أسر بسخطهم" عن غير ابن اسحاق.

حسّان بن ثابت[2] يردّ على كعب بن الأشرف:

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، فقال[3]: (من الكامل)

أَبْكَـــاهُ كَعْـــبٌ ثُمَّ عُـــلَّ بِعَبْـــرَةٍ مِنْـــهُ وَ عَـــاشَ مُجَـــدَّعًا لا يَسْـــمَعُ[4]
وَ لَقَـــدْ رَأَيْـــتُ بِـــبَطْنِ بَـــدْرٍ مِـــنْهُمُ قَتْلَـــى تَسُـــحُّ لهـــا العُيـــونُ وَ تَـــدْمَعُ[5]
فَـــأَبْكِي فَقَـــدْ أَبْكَيْـــتَ عَبْـــدًا راضِـــعًا شِـــبْهَ الكُلَيْـــبِ إلى الكُلَيْبَـــةِ يَتْبَـــعُ[6]
وَ لَقَـــدْ شَـــفَى الـــرَّحْمنُ مِنَّـــا سَـــيِّدًا وَ أَهـــانَ قَوْمًـــا قـــاتَلوهُ وَ صُـــرِّعُوا[7]
وَ نَجـــا وَ أَفْلَـــتَ مِـــنْهُمُ مَـــنْ قَلْبُـــهُ شَـــعَفٌ يَظَـــلُّ لِخَوْفِـــهِ يَتَصَـــدَّعُ[8]

قال ابن هشام: و أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان، و قوله "أبكاه كعب" عن غير ابن اسحاق.

ميمونة بنت عبد الله[9] تجيب كعب بن الأشرف:

قال ابن اسحاق: و قالت امرأة من المسلمين —من بني مريد بطن من بلي كانوا حلفاء في بني أية بن زيد يقال لهم: الجعادرة— تجيب كعبا.

1- الأروع: الذي يروع بحسنه و جماله.
2- حسان بن ثابت: سبق ترجمته في ص 30.
3- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/139-140.
- ابن هشام: سيرة النبي مصدر ، سابق، 2/433-434.
4- عل بعبرة :كررت عليه، و مجدعا: ذاهب العز ذليلا، و أصله جدع الأنف.
5- تسح: تصب الدمع، يقال سح الدمع و المطر إذا جريا.
6- راضعا: أراد لئيما.
7- عنى هنا بالسيد النبي صلى الله عليه و سلم.
8- شعف: -بالعين المهملة- و معناه محترق ملتهب، و يروى "شغف" بالغين معجمة و أراد أنه قد يبلغ الحزن شغاف قلبه، و يتصدع: يتشقق.
9- ميمونة بنت عبد الله: من بني مريد، براء مصغرة ،بطن من بلي و كان يقال لهم : الجعادرة ، حلفاء بني أمية بن زيد من الأنصار ، قاله ابن إسحاق وابن سعد ذكر إسلامها ، و سماها ابن هشام ، و هي التي أجابت كعب ابن الأشرف في بكائه قتلى بدر تنظر ترجمتها في: ابن كثير: الإصابة في تمييز الصحابة،5/327، و ابن هشام: سيرة النبي، 2/434.

قال ابن هشام اسمها ميمونة بنت عبد الله، و أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، و ينكر نقيضتها لكعب بن الأشرف[1]: (من الطويل)

تَحَنَّنَ هَذا العَبْدُ كُلَّ تَحَنُّنٍ ... يَبْكي عَلَى قَتْلَى وَ لَيْسَ بِناصِبِ[2]

بَكَتْ عَيْنُ مَنْ بَكَّى لِبَدْرٍ و أَهْلِهِ ... وَ عُلَّتْ بِمِثْلَيْها لُؤَيُّ بْنُ غالِبِ[3]

فَلَيْتَ الَّذينَ ضُرِّجُوا بِدِمائِهِمْ ... يَرَى ما بِهِمْ مَنْ كانَ بَيْنَ الأَخاشِبِ[4]

فَيَعْلَمَ حَقًّا عَنْ يَقينٍ وَ يُبْصِرُوا ... مَجَرَّهُمْ فَوْقَ اللِّحَى وَ الحَواجِبِ[5]

جواب كعب بن الأشرف لميمونة بنت عبد الله:

فأجابها كعب بن الأشرف، فقال[6]: (من الطويل)

أَلا فَازْجُرُوا مِنْكُمْ سَفِيهًا لِتَسْلَمُوا ... عَنِ القَوْلِ يَأْتِي مِنْهُ غَيْرَ مُقارِبِ[7]

أَتَشْتُمُني أَنْ كُنْتُ أَبْكي بِعِبْرَةٍ ... لِقَوْمٍ أَتاني وُدُّهُمْ غَيْرَ كاذِبِ

فَإِنِّي لَباكٍ ما بَقيتُ وَ ذاكِرٌ ... مآثِرَ قَوْمٍ مَجْدُهُمْ بالجَباجِبِ[8]

لَعَمْري لَقَدْ كانَتْ مُرَيْدُ بِمَعْزَلٍ ... عَنِ الشَّرِّ فاحْتالَتْ وُجوهَ الثَّعالِبِ[9]

فَحَقُّ مُرَيْدٍ أَنْ تُجَدَّ أُنوفُهُمْ ... بِشَتْمِهِمْ حَيَّيْ لُؤَيِّ بْنِ غالِبِ

وَهَبْتُ نَصيبي مِنْ مُرَيْدٍ لجَعْدَرٍ ... وَفاءً وَ بَيْتِ اللهِ بَيْنَ الأخاشِبِ

---

1 – السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 140/3.

– ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 434/2-435.

2– تحنن: من الحنان و هو الرحمة و الرأفة، تريد تصنع ذلك و تكلفه، و يروى "تحين" بالياء المثناة، من الحين، و هو الهلاك، و ناصب: هو المعي.

3– و علت بمثليها: أي كرر عليها ذلك مرة بعد مرة، و يروى: "بكت عين من يبكي لبدر و أهله".

4– ضرجوا بدمائهم: لطخوا به، و قوله الأخاشب: إنما أراد أن يقول بين الأخشبين و هما جبلان بمكة فلم يستقم له فجمعهما يقصدهما و ما حولهما.

5– مجرهم: يروى بالجيم و الراء المهملة، و يروى "محزهم" بالحاء المهملة و الزاي من الحز بالسيوف و هم القطع بها.

6– السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 140/3.

– ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 435/2-436.

7– سفيها: ذكر السفيه، و هو يريد المرأة التي يجيبها لأنه حمل ذلك على معنى الشخص، و الشخص مذكر.

8– مآثر: جمع مأثرة و هي ما يتحدث به عن الرجل من الأفعال الحسنة، و المجد: الشرف، و الجباجب: منازل مكة.

9– مريد: اسم قبيلة منها المرأة التي يجيبها، و قوله فاحتالت: يروى بالحاء المهملة و معناه تغيرت، تقول: حال الربع و المكان، إذا تغيرا، و يروى "فاجتالت" بالجيم و معناه تحركت، تقول: جال الشيء يجول، إذا تحرك، و يروى "فاختالت" بالخاء معجمة، و معناه أصابها الخيلاء، و هو الإعجاب الزهو، و قوله "وجوه الثعالب" هو منصوب على الذم.

قول كعب بن مالك[1] في ذلك:

قال ابن اسحاق: فقال كعب بن مالك[2]: (من الوافر)

فَغُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيعًا فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النِّضِيرُ[3]

علَى الكَفَّيْنِ ثَمَّ وَ قَدْ عَلَتْهُ بأيْدينا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ[4]

بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلا إلى كَعْبٍ أخا كَعْبٍ يَسِيرُ

فَماكَرَهُ فأنْزَلَهُ بِمَكْرٍ وَ مَحْمودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ

قال ابن هشام: و هذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير.

قصيدة لحسان في قتل كعب بن الأشرف و سلام بن أبي الحقيق[5]:

قال ابن اسحاق: و قال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف و قتل سلام بن أبي الحقيق:[6] (من الكامل)

1- كعب بن مالك: كعب بن مالك بن أبي كعب، و اسم أبي كعب: عمرو بن القين بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى بأبي عبد الله و قيل أبو عبد الرحمان أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة أيضا، شهد العقبة في قول الجميع و اختلف في شهوده بدر، و كان من شعراء رسول الله صلى الله عليه و سلم و توفي في زمن معاوية سنة 50هـ و قيل سنة 53هـ و هو ابن 77. تنظر ترجمته في: أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، 226/16، ابن الأثير: أسد الغابة، 461/4-462، ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، 220/1-223.

2- سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966، ص204. "أورد هذه الأبيات ضمن قصيدة له في إجلاء بني النضير و قتل كعب بن الأشرف".

- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 141/3.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 9/4.
- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 439/2.

3- غودر: ترك، النضير: قبيلة من يهود المدينة.

4- مشهرة: يريد سيوفا مجردة من أغمادها.

5- سلام بن أبي الحقيق: هو أبو رافع سلام بن أبي الحقيق من اليهود، كان فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف، وكان بينها وبين الخزرج منافسة في الجهاد، فلا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام ، فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم. انظر السهيلي: روض الأنف،295/3

6- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 142/3.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1980، ص329.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 9/4-10.
- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 440/2.

للهِ دَرُّ عِصـــــــــــابَةٍ لاقَيْـــــــــــتَهُمْ ... يـا ابْـنَ الحُقَيْـقِ وَ أَنْـتَ يـا ابْـنَ الأَشْـرَفِ

يَسْـــرونَ بـــالبيضِ الخِفـــافِ إلـــيكُمُ ... مَرَحًـــا كأُسْـــدٍ في عَـــرينٍ مُغْـــرَفِ[1]

حَـــتَّى أَتَـــؤكُمْ في مَحَـــلٍّ بِلادِكُـــمْ ... فَسَـــقَؤكُمُ حَتْفًـــا بِبِـــيضٍ ذُفَّـــفِ[2]

مُسْتَنْصِـــرينَ لِنَصْـــرِ ديـــنِ نَبِـــيِّهِمْ ... مُسْتَصْـــغِرينَ لِكُـــلِّ أَمْـــرٍ مُجْحِـــفِ[3]

قال محمد ابن اسحاق: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسي[4] على ابن سنينة. رجل من تجار يهود كان يلابسهم و يبايعهم، فقتله، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه و لم يسلم بعد، فلما قتله جعل حويصة يضربه و يقول: أي عدو الله أقتلته؟ أما و الله لرب شحم في بطنك من ماله. قال محيصة: قلت و الله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، قال: فوالله إن كان لأول الإسلام حويصة و قال: و الله لو أمرك محمد بقتلي لتقتلني؟ قال: نعم، و الله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها. قال: فو الله إن دينا بلغ بك هذا العجب، فأسلم حويصة.

و قال في ذلك محيصة[5]: (من الطويل)

يَلُـــومُ ابْـــنُ أُمِّـــي لَـــوْ أُمِـــرْتُ بِقَتْلِـــهِ ... لَطَبَّقْـــتُ ذِفْـــرَاهُ بِـــأَبْيَضَ قَاضِـــبِ[6]

حُسَـــامٍ كَلَـــوْنِ المِلْـــحِ أُخْلِـــصَ صَـــقْلُهُ ... مَـــتَى مَـــا أُصَـــوِّبُهُ فَلَـــيْسَ بِكَـــاذِبِ

وَ مَـــا سَـــرَّنِـــي أَنِّي قَـــتَـــلْـــتُـــكَ طَـائِـعـــاً ... وَ أَنَّ لَـــنَـــا مَـا بَـيْـــنَ بُـصْـرَى وَ مَـــأْرِبِ[7]

1- يسرون: يسيرون ليلا، البيض: السيوف، مرحا: يروى بفتح كل من الميم و الراء على أنه مصدر بمعنى النشاط، و يروى بضم الميم و الراء على أنه جمع مرح و هو النشيط، و العرين: موضع الأسد، و مغرف: ملتف الشجر.

2- ذفف: سريعة القتل.

3- المجحف: الذي يذهب بالنفوس و الأموال.

4- مُحَيِّصَة بن مسعود: بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمر بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الحارثي ، يكنى أبا سعيد ،شهد أحدا و الخندق وما بعدهما من المشاهد كلها ، و هو أخو حويصة بن مسعود، وهو الأصغر .أسلم قبل أخيه حويصة ،فإن إسلامه كان قبل الهجرة ، وعلى يده أسلم أخوه حويصة.تنظر ترجمته في:ابن الأثير ، أسد الغابة ،ص1108.

5- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 147/3.

- ابن كثير : البداية والنهاية، مصدر سابق ،10/4.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 441/2-442.

6- طبقت: قطعت و أصبت المفصل، الذفرى –بكسر فسكون- عظم ناتئ خلف الأذن، و الأبيض: السيف، و القاضب: القاطع.

7- بصرى: مدينة الشام، و مأرب: اليمن.

سرية يوم الرّجيع في سنة ثلاث هجرية[1]:

قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أحد قوم من عضل و قارة[2]، و ذكروا أن فيهم إسلاما وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم الدين و يقرئهم القرآن، فبعث معهم عشرة نفر منهم: عاصم بن ثابت[3] وهو أميرهم، و مرثد بن أبي مرثد، و خبيب بن عدي، و زيد بن الدثنة، و خالد بن أبي بكر، و عبد الله بن طارق وغيرهم إلى الرجيع، فلما كانوا بالرجيع –و هو ماء لهذيل بناحية الحجاز– غدروا بهم، و استصرخوا عليهم هذيلا فجاؤوا حتى أحاطوا بهم، فقتلوا عامتهم، و استأسروا خبيب بن عدي، و زيد بن الدثنة.

قال عاصم بن ثابت[4]: (من الرجز)

مـــا عِلَّـــتي وَ أنـــا جَلْـــدٌ نابِـــلُ وَ القَـــوْسُ فيهـــا وَتَـــرٌ عُنابِـــلُ[5]

تَـــزِلُّ عَـــنْ صَـــفْحَتِها المِعابِـــلُ المِـــوْتُ حَـــقٌّ وَ الحيـــاةُ باطِـــلُ[6]

وَ كُـــلُّ مـــا حَـــمَّ الإلـــهُ نـــازِلُ بِالمـــرْءِ وَ المـــرْءُ إلـــيْـــهِ آئِـــلُ[7]

إنْ لـمْ أُقـاتِـلْـكُـمُ فـأُمِّـي هـابِلُ[8]

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/224-227.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/62-66.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/69-74.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 3/160-183.

2- عضل و القارة: هم من الهون بن خزيمة بن مدركة.

3- عاصم بن ثابت: هو عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، و اسم أبي الأقلح: قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف الأنصاري، جد عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمه، من السابقين الأولين. تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة 3/460-461.

4 – السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/224.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/71.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 3/460-461.

5- النابل: صاحب النبل، و يروى في مكانه (بازل)، و معناه قوي شديد، و عنابل: غليظ شديد.

6- المعابل: جمع معبلة، و هو نصل عريض طويل.

7- حم الإله: قدره، و هو ههنا مبني للمعلوم كما في قول الشاعر: و ليس لأمر حمه الله راجع، و آئل: اسم فاعل من آل الشيء يؤول، بمعنى رجع يرجع.

8- هابل: فاقد و ثاكل، تقول: هبلته أمه، أي ثكلته و فقدته، يدعو على نفسه بالموق إن لم يقاتلهم.

و قال عاصم بن ثابت أيضا[1]: (من الرجز)

أَبُـــو سُـــلَيْمانَ وَريـــشُ المقْعَـــدِ وَ ضـــالَةٌ مِثْـــلُ الجحـــيمِ الموقَـــدِ[2]
إذا الـــنَّـــواحـــي افْـــتُـــرِشَـــتْ لـمْ أُرْعَـــدُ وَ مُـــجْـــنَـــأٌ مِـــنْ جِـــلْـــدِ ثَـــوْرٍ أَجْـــرَدِ[3]
وَ مُـــؤْمِـــنٌ بمـــا عـــلى مُحَـــمَّـــدِ

و قال عاصم بن ثابت أيضا: (من الرجز)

أبـــو سُـــلـــيْـــمـــانَ وَ مِـثْـــلـي رَامَـــا وَ كـــانَ قَـــوْمـــي مَـعْـشـرًا كِـرامـــا

قال ابن اسحاق: و كان مما قيل في ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدي[4] يرحمه الله حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه[5].

قال ابن هشام: و بعض أهل العلم بالشّعر ينكرها له: (من الطويل)

لَقَـــدْ جَمَـــعَ الأَحْـــزابُ حَـــوْلِي وَ أَلَّبُـــوا قَبـــائِلَهُمْ وَ اسْـــتَجْمَعُوا كُـــلَّ مَجْمَـــعِ[6]
وَ كُلُّهُـــمُ مُبْـــدِي العَـــداوَةِ جاهِـــدٌ عَلَـــيَّ لأَنِّي في وِثـــاقٍ مُضَيَّـــعِ[7]
وَ قَـــدْ جَمعـــوا أَبْنـــاءَهُمْ وَ نِســـاءَهُمْ وَ قُرِّبْـــتُ مِـــنْ جِـــذْعٍ طويـــلٍ مُمَنَّـــعِ

1- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 225/3.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 71/4.
- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 162/3-163.

2- ريش: يروى بكسر الراء وبفتحها، فأما من رواه بكسر الراء فهو جمع ريشة، وأما من رواه بفتح الراء، فهو مصدر قولهم راش سهمه يريشيه، والمقعد: لقب رجل كان يريش النبال، والضالة : شجرة تصنع منها القسي والسهام، وأرادها هنا القوس.

3- النواحي: يروى بالحاء المهملة وبالجيم، فأما من رواه بالحاء : فهو جمع ناحية، وأراد منه افتراش النواحي عمرانها وكثرة ما فيها، وأما من رواه بالجيم فهو جمع ناجية، وهي الناقة السريعة، وأراد من افتراشها ركوبها، وقوله : لم أرعد: هو بالبناء للمجهول، ومعناه لم أخف ولم أفزع، ومجنأ: يروى بالحاء المهملة وبالجيم، فأما من رواه الحاء فقد أراد به قوسا فيه انحناء، وأما من رواه بالجيم فهو الترس الذي لا حديد به، والأجرد : الأملس.

4- خبيب بن عدي الأنصاري، من بني جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري، شهد بدرا، و أسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها مرثد بن أبي مرثد، قتله عقبة بن الحارث بمكة. تنظر ترجمته: ابن عبد البر، الاستيعاب 440/2-443.

5 - السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 227/3.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 74/4.
- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 169/3-171.

6- ألبوا: بتشديد اللام معناه جمعوا : تقول ألبت القوم على فلان إذا جمعتهم عليه وحضضتهم وحرشتهم به، فتألبوا : أي اجتمعوا، ومجمع –في آخر البيت- مكان الاجتماع.

7 - مبدي العداوة : مظهرها، وجاهد : مجتهد في إيذائه، والوثاق: ما يربط به الأسير.

إلى اللهِ أشْـــــكي غُـــــرْبَتي ثُمَّ كُـــــرْبَتي ... وَ مـــا أَرْصَـــدَ الأحـــزابُ لي عنْـــدَ مَصْـــرَعي[1]

فَـــذَا العَـــرْشِ صَـــبِّرْني عَلَـــى مـــا يُـــرادُ بي ... فَقَـــدْ بَضَـــعُوا لحْمـــي وَ قَـــدْ يـــاسَ مَطْمَعـــي[2]

وَ ذَلِـــــكَ في ذاتِ الإلـــــهِ وَ إنْ يَشَـــــأْ ... يُبـــارِكْ عَلـــى أَوْصـــالِ شِـــلْوٍ مُمَـــزَّعِ[3]

وَ قَـــدْ خَـــيَّروني الكُفْـــرَ وَ المـــوتُ دُونَـــهُ ... وَ قَـــدْ هَمَلَـــتْ عَيْنـــاي مـــنْ غـــيْرِ مَجْـــزَعِ[4]

وَ مـــــا بي حِـــــذَرُ المـــوْتِ إنّي لَمَيِّـــــتٌ ... وَ لكـــنْ حَـــذاري جَحْـــمُ نـــارٍ مُلَفَّـــعِ[5]

فـــوالله مـــا أرجـــو إذا مـــت مســـلما ... علـــى أيِّ جَنْـــبٍ كـــان في الله مَصْـــرَعي[6]

فَلَسْـــــتُ بِمُبْـــــدٍ لِلْعَـــــدُوِّ تَخَشُّـــــعًا ... و لا جَزَعًـــــــا إنّي إلى الله مَرْجعـــــــي

و قال حسّان بن ثابت يبكي خبيبا[7] : (من البسيط)

مـــا بـــالُ عيْنَيْـــكَ لا تَرْقـــا مَـــدامِعُها ... سَـــحًّا علـــى الصَّـــدْرِ مِثْـــلَ اللُّؤْلُـــؤِ القَلِـــقِ[8]

علـــى خُبَيْـــبٍ فَـــتَى الفِتْيـــانِ قَـــدْ عَلِمُـــوا ... لا فَشِـــلٍ حـــينَ تَلْقـــاهُ و لا نَـــزِقِ[9]

فاذْهَـــبْ خُبَيْـــبُ جَـــزاكَ اللهُ طيْبـــةً ... وَ جَنَّـــةَ الخُلْـــدِ عنْـــدَ الحـــورِ في الرُّفَـــقِ[10]

مـــاذا تقولـــونَ إن قـــالَ النَّـــبِيُّ لَكُـــمْ ... حـــينَ الملائكـــةُ الأبْـــرارُ في الأُفُـــقِ

---

1 – أرصد : أعد وهيأ، والأحزاب الجماعات: واحدهم حزب.

2 – بضّعوا : قطعوا، والبضعة من اللحم : القطعة منه، وقوله : ياس معناه يئس.

3 – الأوصال : المفاصل أو مجتمع العظام، وشلو بكسر الشين وسكون اللام: البقية، والممزع : المقطع.

4 – همات عيناي: سالت دمعها، والمجزع : مصدر ميمي بمعنى الجزع وهو الحزن.

5 – الجحم : الملتهب المتقد، ومنه سميت النار جحيما، والملفع: المشتمل ومنه قولهم: تلفع بثوبه، إذا اشتمل به.

6 – يروى في مكان صدر هذا البيت قوله : ولست أبالي حين أقتل مسلما، وأرجوا في هذا الموضع بمعنى أخاف، وقد حمل كثير من المفسرين على ذلك قوله الله تعالى : " مالكم لا ترجون لله وقارا "، أي لا تخافون.

7– السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/227-228.

– عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص346-347. و في الديوان هذه الزيادة:

أَبَـا إهَـابِ فَبَيِّنْ لِي حَدِيثَكُمْ ... أَيْنَ الغَزَالُ مُحَلَّى الدُّرِّ وَ الوَرِقِ

لَا تَذْكُرَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِرًا ... أَبَا كُتَيْبَةَ قَدْ أَسْرَفْتَ فِي الحُمُقِ

وَ لَا عَزِيزًا فَإِنَّ الغَدْرَ مَنْقَصَةٌ ... إِنَّ عَزِيزًا دَقِيقَ النَّفْسِ وَ الخُلُقِ

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/75.

– ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 3/171.

8 – عينيك : يروى في مكان عينك بالإفراد، وهو أنسب بقوله مدامعها، وقوله لا ترقى أصلها لا ترقا، فسهل الهمز، وتقول: رقأة الدمع يرقأ إذا انقطع، وسحا صدر بمعنى الصب، واللؤلؤ :كبار الجوهر، والقلق بفتح القاف وكسر اللام: المضطرب المتحرك المتساقط.

9 – الفشل : – بفتح الفاء وكسر الشين –، الضعيف القوة الجبان، والنزق بفتح النون وكسر الزاي: الشيء الخلق.

10 – الحور في الأصل : جمع حوراء وهي التي اشتد سواد سواد عينها واشتد بياض بياضها، والرُفُق: يروى بضم الراء والفاء جميعا، فهو جمع رفيق قاله أبو ذر، ويروى بضم الراء وفتح الفاء، فهو جمع رفقة، والرفقة بسكون الفاء وراؤه مثلثة اسم للجماعة اللذين ترافقهم ويرافقونك.

فِـــيمَ قَتَلْـــتُمْ شـــهيدَ اللهِ في رَجُـــلٍ طـــاغٍ قَـــدْ أَوْعَـــثّ في البُلْـــدانِ و الرُّفَـــقِ [1]

قال ابن هشام: و يروى "الطرق"، و تركنا ما بقي منها لأنه أقذع فيها.

قال ابن اسحاق: قال حسّان بن ثابت أيضا يبكي خبيبا[2]: (من البسيط)

يـــا عـــينُ جُـــودي بِـــدَمْعٍ مِنْـــكِ مُنْسَـــكِبِ و ابْكـــي خُبَيْبًـــا مَـــعَ الفِتْيـــانِ لَمْ يَـــؤُبِ [3]

صَـــقْرًا تَوَسَّـــطَ في الأنصـــارِ مَنْصِـــبَهُ سَمْـــحَ السَّـــجِيَّةِ مَحْضًـــا غَيْـــرَ مُؤْتَشِـــبِ [4]

قَـــدْ هـــاجَ عَيْـــني علـــى عِـــلاّت عَبْرَتِهـــا إذْ قيـــلَ نُـــصَّ إلى جِـــذْعٍ مـــنَ الخَشَـــبِ [5]

يـــا أيُّهـــا الرَّاكِـــبُ الغَـــادي لِطِيَّتِـــهِ أَبْلِـــغْ لَـــدَيْكَ وَعيـــدًا لَـــيْسَ بالكَـــذِبِ [6]

بَـــني كُهَيْنَـــةَ إنَّ الحَـــرْبَ قَـــدْ لَقِحَـــتْ مَحْلوبُهـــا الصَّـــابُ إذْ تُمْـــرَى لِمُحْتَلِـــبِ [7]

فيهـــا أســـودُ بَـــني النَّجَّـــارِ تَقْـــدُمُهُمْ شُـــهْبُ الأَسِـــنَّةِ في مُعْصَوْصِـــبٍ لجِـــبِ [8]

قال ابن هشام: و هذه القصيدة مثل التي قبلها، و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان و قد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خبيب لما ذكرت.

1 – أوعث: اشتد فساده، والرفق: قد مضى في تفسير البيت السابق وتكراره هنا يعد من عيوب الشعر، ولهذا بادر ابن هشام بقوله : ويروى في الطرق.

2– السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 228/3.

– عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص109–110. مع تغيير في بعض الألفاظ

– ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 172/3–173.

3 – منسكب : سائل، ولم يؤب: لم يعد ولم يرجع.

4 – سمح: سهل لين، والسجية: الطبيعة والخلق، والمحض: الخالص، وأراد خلوص نسبه من الشوائب، وذلك بدليل قوله: غير مؤتشب: أي غير مختلط.

5 – علات: مشقات، والعبرة : الدمعة، ونصّ : رفع، ومنه النص في السير، وهو أرفع أنواع السير.

6 – الطية: – من طوت عليه نيتك من الجهة التي تريد أن تتوجه إليها–، والوعيد : التهديد.

7 – بنو كهينة: وفي بعض النسخ كهيبة –بالباء في مكان النون–، وهذا كما يقال بنو ضوطري، وبنو درزة، وكل ذلك يقصد به السب ويعبّر به عن السفلة من الناس، ولقحت الحرب: ازداد شرها وعظم أمرها، ومحلوبها: أي اللبن الذي يحلب منها، والصاب: العلقم، وتمري: تمسح أضراعها لتحلب شبه الحرب بناقة قد صارت لقاحا ثم مضى في البيت كله على التشبيه.

8 – المعصوصب: الجيش الكثير، واللجب: الكثير الأصوات

قال ابن اسحاق: و قال حسّان بن ثابت أيضا يرثي فيها خبيبا[1]: (من البسيط)

لَوْ كانَ في الدّارِ قَرْمٌ ماجِدٌ بَطَلٌ ... أَلْوَى مِنَ القَوْمِ صَقْرٌ خالُهُ أَنَسُ[2]

إِذَنْ وَجَدْتَ خُبَيْبًا مجْلِسًا فَسِحًا ... و لَمْ يُشَدَّ عليكَ السِّجْنُ و الحرَسُ[3]

و لَمْ تسُقْكَ إلى التَّنْعيمِ زِعْنِفَةٌ ... مِنَ القبائلِ منهمُ مِنْ نَفَتْ عُدَسُ[4]

دَلُّوكَ غَدْرًا وَ هُمْ فيها أُولُو خُلُفِ ... و أنتَ ضَيْمٌ لها في الدَّار مُحْتَبَسُ[5]

و قال حسّان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب بن عدي[6]: (من الطويل)

أَبْلِغْ بَني عَمْرو بأنَّ أخاهمُ ... شَراهُ امرؤٌ قدْ كانَ للغَدْرِ لازِما[7]

شَراهُ زُهَيْرٌ بنُ الأَغَرِّ وَ جامِعٌ ... و كانا جميعًا يَرْكبانِ المِحارِما[8]

أَجَرْتُمْ فَلَمّا أَنْ أَجَرْتُمْ غَدَرْتُمُ ... و كنْتُمْ بِأَكْنافِ الرَّجيعِ لهاذِما[9]

1- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 228/3.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص289. و الأبيات الموجودة في الديوان جاءت كما يلي:

لَوْ كَانَ فِي الدَّارِ قَوْمٌ ذُو مُحَافَظَةٍ ... حَامِي الحَقِيقَةِ مَاضٍ خَالُهُ أَنَسُ

إِذَا حَلَلْتَ خُبَيْبٌ مَنْزِلًا فُسُحًا ... وَ لَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ الكَبْلُ وَ الحَرَسُ

وَ لَمْ يَسُقْكَ إِلَى التَّنْعِيمِ زِعْنِفَةٌ ... مِنَ المَعَاشِرِ مِمَنْ قَدْ نَفَتْ عُدُسُ

صَبْرًا خُبَيْبُ فَإِنَّ القَتْلَ مَكْرُمَةٌ ... إِلَى جِنَانِ نَعِيمٍ يَرْجِعُ النَّفَسُ

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 173/3-174.

2 - أصل القرم: الفحل من الإبل، وأراد منه هاهنا الرجل السيد، والماجد: الشريف، والبطل: الشجاع، وألوى: شديد الخصومة.

3 - خبيبا: منادى اعترض له بين الفعل والمفعول به، وكان من حقه أن يبنيه على الضم لأنه علم، ولكنه عامله معاملة النكرة ومن ذلك قول المهلهل ابن ربيعة:

يا عديا لقد وقتك الأواقي

4 - الزعنفة: الأتباع الذين لا شرف لهم، وهم الذين ينتمون إلى القبائل من غير أن يكونوا من صليبتها، وأصل الزعنفة، -بكسر الزاي والنون بينهما عين مهملة ساكنة-، أطراف الحيوان، وعدس: قبيلة من تميم.

5 - دلوك : بمعنى غروك، ومنه قوله تعالى: " فدلاهما بغرور"، وقوله أولو خلف : أصله بضم الخاء وسكون اللام فلما اضطر أتبع الام للخاء، وقوله "وأنت ضيم" الضيم : الذل والقهر والغلبة.

6- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 228/3.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص457.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 175/3.

7 - بني عمر: يريد بهم بني عمر بن عوف قوم خبيب، وأخاهم : أراد به خبيبا، وشراه: باعه، وهو من الأضداد.

8 - المحارم : جمع محرم، وهو الأمر المحظور إتيانه.

9 - لهاذما : تروى هذه الكلمة بالذال المعجمة وبالزاي، فمن رواه بالذال المعجمة فإنما أراد به الشجعان، ومنه يقال : سيف لهذم، إذا كان قاطعا ومن رواه بالزاي فانما اراد به انهم جبناء ضعفاء، وإنما وصفهم بالجبن على حقيقة حالهم، فإن الذي يعدو على هذه الصورة لا يكون شجاعا وإن غلب.

فَلَيْتَ خُبَيْبًا لمْ تَخُنْهُ أَمانَةٌ وَ لَيْتَ خُبَيْبًا كانَ بالقَوْمِ عالِما

قال ابن هشام: زهير (بن الأغر) و جامع الهذليان اللذان باعا خبيبا.

قال ابن هشام: و قال حسان بن ثابت أيضا[1]: (من البسيط)

إنْ سَرَّكَ الغَدْرُ صِرْفًا لا مِزاجَ لَهُ فاتِ الرَّجيعَ فَسَلْ عَنْ دارِ لَحْيانِ[2]

قَوْمٌ تَواصوا بأَكْلِ الجارِ بَيْنَهُمْ فالكَلْبُ و القِرْدُ و الإنسانُ مِثْلانِ

لَوْ يَنْطِقُ التِّيسُ يَوْمًا قامَ يَخْطُبُهُمْ و كانَ ذَا شَرَفٍ فيهمْ و ذا شانِ

قال ابن هشام: و أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله:

لَوْ يَنْطِقُ التِّيسُ يَوْمًا قامَ يَخْطُبُهُمْ و كانَ ذا شرَفٍ فيهمْ و ذا شانِ

قال ابن اسحاق: و قال حسّان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا[3]: (من البسيط)

سالتْ هُذَيْلٌ رَسولَ اللهِ فاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بما سالتْ وَ لمْ تُصِبِ[4]

سالُوا رَسُولَهُمُ ما لَيْسَ مُعْطِيَهُمْ حتَّى المَمَاتِ وَ كانوا سُبَّةَ العَرَبِ

وَ لَنْ تَرَى لِهُذَيْلٍ داعِيًا أَبَدًا يدْعو لمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الحرْبِ[5]

لَقَدْ أرادُوا خِلالَ الفُحْشِ وَيْحَهُمُ و أنْ يُحِلُّوا حَرامًا كانَ في الكُتُبِ

1- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 229/3.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص476-477. مع تغيير في بعض الألفاظ.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 75/4.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 176/3.

2 - صرفا : خالصا من كل شيء، وقد أكده بقوله: لا مزاج له، والرجيع: اسم مكان، ولحيان وهو بكسر اللام أو بفتحها وهو ابن هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر،وزعم الهمداني أن السابة أن أصل بني لحيان من بقايا جرهم، وأنهم دخلوا في هذيل فنسبوا إليهم.

3 - السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 229/3.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 176/3-177.

4 - سالت : أراد سألت، فخففت الهمزة بقلبها ألفا، وقد تقول العرب: سال يسال، وهو يعنون سأل يسأل، وأراد بقوله سالت رسول الله فاحشة التنديد بهذيل لأنها حين أرادت الإسلام طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ن يحل لها الزنى، فهو يعيرهم بذلك، ويروى ذلت هذيل.

5 - الحرب: - بفتح الحاء والراء- السلب، وتقول: حرب فلان إذا سلب.

و قال حسّان بن ثابت يهجو هذيلا بقصيدة أخرى[1]: (من الطويل)

لَعَمْري لَقَدْ شانَتْ هُذَيْلَ بْنَ مُدْرِكٍ أحاديثُ كانَتْ في خُبَيْبٍ وَ عاصِمِ[2]

أحاديثُ لَحْيانٍ صَلُوا بِقَبيحِها وَ لَحْيانُ جَرَّامونَ شَرَّ الجَرائِمِ[3]

أُناسٌ هُمُ مِنْ قَوْمِهِمْ في صَميمِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الزِّمْعانِ دُبْرَ القَوادِمِ[4]

هُمُ غَدَروا يَوْمَ الرَّجيعِ و أَسْلَمَتْ أَمانَتُهُمْ ذَا عِفَّةٍ وَ مَكارِمِ

رَسولَ رَسولِ اللهِ غَدْرًا وَ لَمْ تَكُنْ هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَراتِ المَحارِمِ

فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ الَّذي تَحْميهِ دُونَ الحَرائِمِ[5]

أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دُونَ لَحْمِهِ حَمَتْ لَحْمَ شَهَّادٍ عِظامَ المَلاحِمِ

لَعَلَّ هُذَيْلاً أنْ يَرَوْا بِمُصابِهِ مَصارِعَ قَتْلى أَوْ مَقامًا لِماتَمِ

وَ نُوقِعَ فيهِمْ وَقْعَةً ذاتَ صَوْلَةٍ يُوافي بِها الرُّكْبانُ أَهْلَ المواسِمِ

بِأَمْرِ رَسولِ اللهِ إنَّ رَسُولَهُ رَأى رَأْيَ ذي حَزْمٍ بِلَحْيانَ عالِمِ

قُبَيِّلَةٌ لَيْسَ الوَفاءُ يَهُمُّهُمْ وَ إنْ ظُلِموا لَمْ يَدْفَعوا كَفَّ ظالِمِ

إذا النّاسُ حَلُّوا بِالفَضاءِ رَأَيْتَهُمْ بِمَجْرَى مَسيلِ الماءِ بَيْنَ المِخارِمِ

مَحَلُّهُمُ دارُ البَوارِ وَ رَأْيُهُمْ إذا نابَهُمْ أمْرٌ كَرَأْيِ البَهائِمِ

---

1 – السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 229/3.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 66/2. و قد حذف بعض الأبيات.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 75/4-76.

– ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 176/3-177.

2 – شانت : قبحت وعابت، وكانت شينا لهم وعارا عليهم.

3 – صلوا بقبيحة: أي أصابهم شرها، ونقول صلى النار يصلاها –مثل رضى يرضى–، إذا أصابه حرها، وجرامون: كاسبون، ويروى في مكانه ركابون والجرائم : جمع جريمة وهي الذنب والاثم.

4 – صميم القوم: خالصهم في نسبهم، والزمعان: جمع زمع، وهو الشعر الذي يكون فوق الرسل من الدابة وغيرها، والقوادم: يعني بها اليدين لأنها تقدم الرجلين، يقول: " إن بني لحيان كانوا من صميم هذيل ولبابها وخالص نسبها إذا قيسوا بغيرهم كانوا بمنزلة هذا الشعر حقارة، وكانوا متخلفين لا يتعلمون.

5 – بقتل الذي تحميه أراد به عاصم بن أبي الأفلح الذي حمته الدبر، و دون الحرائم: دون أن يمسه أحد.

و قال حسّان بن ثابت يهجو هذيلا:[1] (من الطويل)

لَحَــــا اللهُ لَحْيانًـــا فَلَيْسَـــتْ دِمـــاؤُهُمْ ... لَنـــا مِـــنْ قَتيلِـــي غَـــدْرَةٍ بِوَفـــاءِ[2]

هُـــمُ قَتَلـــوا يـــوْمَ الرَّجيـــعِ ابْـــنَ حُـــرَّةٍ ... أَخـــا ثِقَـــةٍ في وُدِّهِ وَ صـــفاءِ

فَلَـــوْ قُتِلُـــوا يَـــوْمَ الرَّجيـــعِ بِأَسْـــرِهِمْ ... بِـــذي الـــدَّبْرِ مـــا كـــانوا لـــهُ بِكِفـــاءِ[3]

قَتيـــلٌ حَمَتْـــهُ الـــدَّبْرُ بَـــيْنَ بُيـــوتِهِمْ ... لَـــدَى أَهْـــلِ كُفْـــرٍ ظـــاهرٍ وَ جَفـــاءِ[4]

فَقَـــدْ قَتَلَـــتْ لَحْيـــانُ أَكْـــرَمَ مِـــنْهُمُ ... و بـــاعُوا خُبَيْبًـــا وَيْلَهُـــمْ بِلَفـــاءِ[5]

فَـــأُفٍّ لِلَحْيـــانِ علـــى كُـــلِّ حالـــةٍ ... علـــى ذِكْـــرِهِمْ في الـــذِّكرِ كُـــلُّ عَفـــاءِ[6]

قُبَيْلَـــةٌ بِـــاللُّؤْمِ وَ الغَـــدْرِ تَعْتَـــزي ... فَلَـــمْ تُمْـــسِ يَخْفـــى لُؤْمُهـــا بِخِفـــاءِ[7]

فَلَـــوْ قُتِلـــوا لَمْ تُـــوفِ مِنْـــهُ دِمـــاؤُهُمْ ... بَلَـــى إنَّ قَتْـــلَ القَاتِليـــهِ شِـــفائي

فـــإلاَّ أَمُـــتْ أَذْعَـــرْ هُـــذَيْلاً بِغـــارةٍ ... كَغـــادي الجِهـــامِ المُغْتَـــدي بِإفـــاءِ[8]

بـــأمْرِ رســـولِ اللهِ وَ الأمْـــرُ أَمْـــرُهُ ... يَبيـــتُ لِلَحْيـــانِ الخَنـــا بِفَنـــاءِ

يُصَـــبِّحُ قَوْمًـــا بـــالرَّجيعِ كـــأنَّهُمْ ... جِـــداءٌ وَ شَـــتَّائينَ غَيْـــرَ دِفـــاءِ[9]

و قال حسّان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا:[10] (من الوافر)

فَـــلا واللهِ مـــا تَـــدْري هُـــذَيْلٌ ... أَصـــافٍ مـــاءُ زَمْـــزَمَ أَمْ مَشـــوبُ

1- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 3/229-230.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 3/179-181.

2- لحا الله: أضعفهم و بالغ في ضرهم، و الأصل في ذلك قول العرب: لحوت العود، إذا قشرته، قتيلي غدرة: يريد من قتلوهم غدرا و هم عاصم ومرثد و خالد بن البكير، و وفاءا: يريد مكافأة.

3- بذي الدبر: هو عاصم بن ثابت الذي جمع الله حوله النحل فلم يمكنهم من حز رأسه ليأخذوه و ليبيعوه من امرأة و هي سلافة بنت سعد كانت نذرت أن تشرب في قحف رأسه الخمر.

4- الدبر: جماعة نحل.

5- اللفاء: -كسحاب- الشيء القليل الحقير اليسير و هو التراب أيضا، و في أقوال العبر أقنع من الوفاء باللفاء.

6- أف: كلمة تقال عند التألم من الشيء، و عند تعذره، و العفاء: بزنة سحاب التغير و الدروس، و كل عفاء: مبتدأ خبره في قوله "على ذكرهم" يعني أنه إذا ذكر الناس لم يذكروا لأنهم خاملون.

7- تعتزي: -بالعين المهملة و بعد التاء زاي- أي تنتسب، و رواه بعضهم "تغتري" و معناه يغري بعضهم بعضا.

8- أذعر هذيلا: يريد أخيفهم و أفزعهم، و الغادي: المبكر الذي يأتي غدوة، و الجهام: السحاب الرقيق، و الإفاء: الغنيمة.

9- الجداء: جمع جدي، و هو ولد المعز، و شتائين: دخلوا في الشتاء، و دفاء: من الدفئ.

10- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 3/230.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 3/181-182.

وَ لا لَهُمُ إذا اعْتَمروا وَ حَجُّوا ... مِنَ الحِجْرَيْنِ وَ المَسْعَى نَصيبُ
وَ لكنَّ الرَّجيعَ لَهُمْ مَحَلٌّ ... بِهِ اللُّؤْمُ المبَيَّنُ وَ العُيوبُ
كأنَّهُمُ لدى الكَنّاتِ أُصْلاً ... تُيوسٌ بالحجازِ لها نَبيبُ[1]
هُمُ غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا ... فَبِئْسَ العَهْدُ عَهْدُهُمُ الكَذوبُ

قال ابن هشام: آخرها بيتا عن أبي زيد الأنصاري.

قال ابن اسحاق: و قال حسّان بن ثابت يبكي خبيبا و أصحابه:[2] (من الكامل)

صَلّى الإلهُ على الّذينَ تتابعوا ... يَوْمَ الرَّجيعِ فَأُكْرِموا وَ أُثيبُوا
رأْسُ السَرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَ أَميرهمْ ... و ابْنُ البُكَيْرِ أَمامهُمْ وَ خَبيبُ[3]
و ابنٌ لطارِقَ و ابنُ دَثْنَةَ مِنْهُمُ ... وافاهُ ثَمَّ حِمامُهُ المِكْتوبُ[4]
و العاصِمُ المقْتولُ عِنْدَ رَجيعِهِمْ ... كَسَبَ المعالي إنَّهُ لَكسوبُ
مَنَعَ المِقادَةَ أَنْ يَنالوا ظَهْرَهُ ... حَتَّى يُجالِدَ إنَّه لَنجيبُ[5]

قال ابن هشام: و يروى حتى يجدل إنه لنجيب. ، و أكثر أهل العلم ينكرها لحسان

1- الكنات جمع كنة – بفتح الكاف وتشديد النون – وهو شئ يلصق بالبيت يكن به : أي يستتر، وأصلا : جمع أصيل ، وهو وقت العشى وأصله أصل بضمتين فسكن الصاد تخفيفا ، والنبيب : صوت التيس.

2- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 230/3.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص84، مع تغيير في بعض الألفاظ.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 76/4.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 182/3-183.

3- خبيب: هذا الاسم في حقيقته مصغر بضم الخاء وفتح الباء الموحدة وسكون الباء المثناة ، وقد جاء به ههنا مكبرا بفتح الخاء وكسر الموحدة حين اضطر إلى ذلك ، ومن الناس من يرويه على أصله وذلك عيب من عيوب الشعر أن تجمع في قافية واحدة ياء ساكنة مفوح ما قبلها وياء مكسور ما قبلها كأن تجمع بين عير بفتح فسكون وأمير ، وبين عير وأمين ، وبين قيد وشديد ، ونحو ذلك ، ويسمى هذا بالعيب بالتوجيه ، وأراد مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير الليثي ، وخبيب بن عدي أحد بني حجحي.

4- ابن لطارق: هو عبد الله بن طارق حليف بني ظفر ، وابن الدثنة أراد زيد بن الدثنة ، وأصل ضبطه بفتح الدال و كسر الثاء المثلثة وتشديد النون ولكن ذلك لا يقوم به وزن البيت ،فعدل إلى تسكين الثاء و تخفيف النون ، وقد منع صرف طارق حين اضطر إلى ذلك .

5- المقادة : المذلة و الانقياد إلى أعدائه ، ويجالد: يضارب و يقاتل بالسيف، ومن رواه حتى يجدل كما ذكر ابن هشام فمعناه حتى يقع على الجدالة و هي الأرض.

سريّة بئر معونة:[1]

قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم في شهر صفر من العام الرابع من الهجرة رجل من بني عامر وهي من القبائل العربية، و هذا الرجل هو ملاعب الأسنة أبو براء عامر بن مالك[2]، و قدم هدية إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فدعاه الرسول صلى الله عليه و سلم إلى الإسلام فلم يسلم، و قال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك، فإني أرجو أن يستجيبوا لك، فقال: "إني أخاف عليهم أهل نجد"، فقال أبو براء: أنا جار لهم.

فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم المنذر بن عمرو من بني ساعدة في سبعين من خيرة الصحابة وكانوا يعرفون بالقراء، لكثرة قراءتهم للقرآن و تدارسه آناء الليل و أطراف النهار، منهم حرام بن ملحان وعامر بن فهيرة فنزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر، و حرة بن سليم و بعثوا حرام بن ملحان برسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل يدعوه إلى الإسلام.

كان عامر بن الطفيل[3] ابن أخ عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) الذي جاء إلى رسول الله و طلب منه أن يبعث من الصحابة من يعلم قومه الإسلام، و كان عامر بن الطفيل رجلا شريرا غادرا، فقتل الصحابي الجليل حرام بن ملحان، حيث أوصى أحد حراسه أن يأتي من خلفه و يطعنه في ظهره و الرسل لا تقتل، فجاء الحارس من خلفه و طعنه بحربة كبيرة خرجت من بطنه، فلما رأى حرام ذلك، أخذ الدم الذي يسيل من جسده فيدهن به وجهه و هو يقول: "فزت و رب الكعبة"، و كان الذي قتل حرام هو جبار بن سلمى فقد أخذ يسأل عن قول

1- تنظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/230-232.
- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/67-72.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/78-81.
- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 3/184-191.

2- أبو براء عامر بن مالك: بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة و هو ملاعب الأسنة و عم عامر بن الطفيل، شاعر مقل، وفد على النبي صلى الله عليه و سلم سنة 4 هجرية، و اختلف في إسلامه، و قد ضرب المثل بفروسيته. تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة 2/58.

3- عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، العامري الجعفري، كان سيد بني عامر في الجاهلية، أدرك الإسلام شيخا كبيرا، و وفد على النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة و لم يسلم، و اختلف في إسلامه، تنظر ترجمته في: ابن الأثير، أسد الغابة، 416.

الصحابي: فزت و رب الكعبة، فقال: ما فاز، أو لست قد قتلته؟ فقالوا له إنها الشهادة عن المسلمين، وكان ذلك سببا في دخوله إلى الإسلام.

فعل عامر بن الطفيل ذلك، لأن بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم موقفا قديما، فقد وفد على رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: إني أعرض عليك ثلاثة أمور: أن يكون لك أهل السهل و لي أهل المدر أو أكون خليفتك من بعدك، أو أن أغزوك بأهل غطفان، فرفض رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الأمور التي هي من أمور الجاهلية.

فلذلك لم ينظر في رسالة رسول الله التي حملها حرام بن ملحان، و استعدى عليه و على أصحابه بني عامر، فأبوا لجوار أبي براء عامر بن مالك إياهم، فاستعدى بني سليم فنهضت منهم عصية و رعل و ذكوان وقتلوهم عن آخرهم إلا كعب بن زيد فقد أصيب بجروح و ظنوه قد قتل، و لكنه عاش حتى شهد الخندق و لقي ربه شهيدا في العام الخامس الهجري.

لقد كانت مأساة بئر معونة قاسية على المسلمين، فهم من القراء و الدعاة و من العلماء و ظل رسول الله يقنت شهرا كاملا يدعو على عامر و رعل و ذكوان في كل صلواته.

قال ابن اسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء[1] على عامر بن الطفيل:[2] (من الطويل)

بَـــــني أُمِّ البَنـــــينَ أَلَمْ يَـــــرُعْكُمْ ... وَ أَنْـــتُم من ذَوَائـب أَهـــلِ نَـجْـــــــدِ

تَهَكُّـــــمُ عـــــامِرٍ بِـــــأَبي بَـــــراءٍ ... لِيُـــخْـفِـــرَهُ و مَـــا خَـطَـــأُ كَـعَـمْـــدِ[3]

1- بني أبي البراء هم أبو البراء و اخوته.

2- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 232/3.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص163. مع تغيير في الديوان.

أَلَا مَـــنْ مُـبْـلِـغُ عَـــنِّي رَبِـيـعـــاً ... فَـمَـا أَحْـدَثْـتَ فـي الحَـدَثَـانِ بَـعْـدِي

أَبُـوكَ أَبُـو الـفَـعَـالِ أَبُـو بَـــــراءٍ ... و خَـالُـك مَـاجِـدُ حَـكَمُ بـن سَـعْـدِ

بَـــنـي أُمِّ الـبَـنـيـنَ أَلَـمْ يَـرُعْـكُـمْ ... وَ أَنْـتُـم من ذَوَائـب أَهـلِ نَـجْـــــدِ

تَـهَـكُّـمُ عـامِـرٍ بِـأَبـي بَـراءٍ ... لِيُـخْـفِـرَهُ و مَـا خَـطَـأُ كَـعَـمـدِ

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق،81/4.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 188/3.

3- التهكم: الاستهزاء، ليخفره: لينقض عهده.

أَلا أَبْلِـــــغْ رَبيعَـــــةَ ذا المســـــاعِي فَـمَـا أَحْـدَثْـتَ فِي الحَـدَثَـانِ بَـعْـدِي[1]
أَبـــوكَ أَبُـــو الحُـــروبِ أبـــو بَـــراءٍ و خَـــالُـك مَـاجِـدُ حَكَمُ بن سَعْـدِ

و قال أنس بن عباس السلمي[2]، و كان خال طعيمة بن عدي بن نوفل، و قتل يومئذ نافع بن بديل[3] بن ورقاء الخزاعي[4]: (من الطويل)

تَرَكْـــتُ ابْـــنَ وَرْقـــاءَ الخُزاعِـــيَّ ثاوِيًـــا بِمُعْتَـــرَكٍ تَسْـــفي عَلَيْـــهِ الأَعاصِـــرُ[5]
وَ ذَكَّـــرْتُ أَبـــا الرَّيَّـــان لَمَّـــا رَأَيْتُـــهُ وَ أَيْقَنْـــتُ أَنِّي عِنْـــدَ ذَلِـــكَ ثـــائِرُ[6]

و قال عبد الله بن رواحة[7] يبكي نافع بن بديل بن ورقاء:[8] (من الخفيف)

رَحِـــمَ اللهُ نـــافِعَ بْـــنَ بُـــدَيْلٍ رَحْمَـــةَ الـــمُبْتَغي ثَـــوابَ الجِهـــادِ
صـــابِرٌ صـــادِقٌ وَفِيٌّ إذا مـــا أَكْثَـــرَ القَـــوْمُ قـــالَ قَـــوْلَ السَّـــدادِ

1- المساعي: جمع مسعاه، و هي السعي في طلب المجد و المكارم.

2- أنس بن عباس السلمي: هو خال طعيمة بن عدي بن نوفل الذي قتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي رضي الله عنه ، ابن هشام : سيرة النبي ،188/3.

3- نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي: كان هو و إخوته من فضلاء الصحابة و جلتهم، قتل يوم بئر معونة، تنظر ترجمته في: الإصابة: 319/3، و ترجمة أبيه في: الإصابة، 408/3-410.

4 - السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 232/3.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 188/3-189.

5- المعترك: اسم مكان من اعترك القوم في الحرب، و قد يخص بالمكان الضيق في الحرب، تسفي: تثير عليه التراب، و الأعاصر: الرياح التي يكون معها غبار.

6- أبا الريان: يروى بالراء المهملة و بالزاي، قال أبو ذر: "وقع هنا بالزاي و الياء، و يروى أيضا بالراء و الياء باثنين من أسفل، و هو الصواب، و كذا قيده الدارقطني"، و قوله ثائر: معناه أخذ بثأره.

7- عبد الله بن رواحة: بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن حارث بن الخزرج الأنصاري، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن اطنابة خزرجية أيضا، من السابقين الأولين من الأنصار، وكان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها إلى ان استشهد بمؤتة، وهو أحد الشعراء المشهورين، ينظر ترجمته في : ابن حجر : الإصابة، 72/4-75، ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، 223/1-226.

8- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 232/3.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 189/3.

- وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، دار العلوم للطباعة و النشر، ط1، 1987، ص135.

و قال حسّان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة، و يخص المنذر بن عمرو[1] رحمه الله:[2] (من الوافر)

عَلَى قَتْلَى مَعونَةَ فَاسْتَهِلِّي ... بِدَمْعِ العَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ[3]

عَلَى خَيْلِ الرَّسولِ غَداةَ لاقَوْا ... وَ لاقَتْهُمْ مَنايَاهُمْ بِقَدْرِ

أَصابَهُمُ الفَناءُ بِعَقْدِ قَوْمٍ ... تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهِمُ بِغَدْرِ[4]

فَيا لَهْفي لِمُنْذِرٍ إِذْ تَوَلَّى ... وَ أَعْنَقَ في مَنِيَّتِهِ بِصَبْرِ[5]

وَ كائِنْ قَدْ أُصيبَ غَداةَ ذاكُمْ ... مِنَ أَبْيَضَ ماجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرِو[6]

قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتا أبو زيد الأنصاري.

و قال كعب بن مالك[7] في يوم بئر معونة يعير بني جعفر بن كلاب:[8] (من الوافر)

تَرَكْتُمْ جارَكُمْ لِبَني سُلَيْمٍ ... مَخافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزًا وَ هُونا[9]

فَلَوْ حَبْلاً تناوَلَ مِنْ عُقَيْلٍ ... لَمَدَّ بِحَبْلِها حَبْلاً مَتِينا[10]

أَوِ القُرَطاءِ ما إِنْ أَسْلَمُوهُ ... وَ قِدْمًا ما وَفَوْا إِذْ لا تَفُونا[11]

1- المنذر بن عمرو: خزرجي من بني ساعدة، و كان من السابقين إلى الإسلام، بعثه الرسول صلى الله عليه و سلم أميرا في سرية بئر معونة، فخرج عليهم عامر بن الطفيل و بني سليم فقتلوهم. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى 3/514-515، أسد الغابة، 1170-1171.

2- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/232-233.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص244-245.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/81.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 3/190.

3- استهلي: أسيلي دموعك، و السح: الصب الكثير، و النزر: القليل.

4- تخون: انتقص، و هو مبني للمجهول.

5- أعنق : أسرع، و العنق -بفتح العين و النون جميعا- السير السريع، و هذا الفعل مأخوذ منه، و قوله "المنذر" إما أن يكون قد حذف التنوين من العلم المذكور لاضطراره إلى ذلك لإقامة الوزن، و إما أن يكون وصل همزة، و هذا أولى عندنا و هو الذي ضبطنا البيت عليه.

6- سر القوم: خالصهم و لبابهم.

7- كعب بن مالك: سبق ترجمته في ص35.

8- سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك، مصدر سابق، ص278.

- السهيلي: روض الأنف، مصدر سابق، 3/233.

- ابن هشام: سيرة النبي، مصدر سابق، 3/190-191.

9- الهون: الهوان و الذلة.

10- الحبل: العهد و الذمة، و المتين: القوي الشديد الفتل.

11- القرطاء: بطون من العرب من بني كلاب، و في بعض كتب السنة أهم بطون من بني عامر.

سريّة مؤتة[1]:

كانت سرية مؤتة في جمادى الأولى للسنة الثامنة من الهجرة وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأسدي[2] بكتابه إلى عظيم بصرى فعرض له شرحبيل ابن عمر الغساني – وكان عامله على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر – فأوثقه رباطا ثم قدّمه فضرب عنقه.

كان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم فاشتد ذلك على رسول الله حين وصلت إليه الأخبار فجهّز إليهم جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وهو عدد لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب، وأمّر رسول الله على هذا البعث زيد بن حارثة[3] وقال : "إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة "، وعقد لهم لواءا أبيضا ودفعه إلى زيد بن حارثة.

تحرك الجيش الإسلامي في اتجاه الشمال حتى نزل معان، من أرض الشام، مما يلي الحجاز الشمالي وحينئذ نقلت إليهم أخبار مفادها بأن هرقل نزل بمآب من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم، وانضم إليه من لخم وجذام وبلقيل وبهراء وبلى مئة ألف.

لم يكن في حسبان المسلمين لقاء مثل هذا الجيش العرمرم، فتحفظ بعض المسلمين من الدخول في هذه الحرب غير المتكافئة في العدد و العدة، وبعد أخذ ورد شجّع عبد الله بن رواحة الناس قائلا يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في :

- السهيلي : الروض الأنف، مصدر سابق، 4/70-74.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/208-213.

- ابن كثير : البداية والنهاية، مصدر سابق 4/260-273

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، مصدر سابق، 3/427-447.

2- الحارث بن عمير الأسدي: ثم اللهبي- بكسراللام وسكون الهاء. بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصرى بكتابه، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطا وضرب عنقه صبرا ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم غيره. فلما بلغ رسو الله صلى الله عليه وسلم الخبر بعث البعث إلى مؤتة، تنظر ترجمته في ابن كثير: الإصابة في تمييز الصحابة،1/682.

3- زيد بن حارثة: سبق ترجمته في: ص29.

أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة، وأخيرا استقر الرأي على ما دعا إليه عبد الله بن رواحة.

هناك في مؤتة التقى الفريقان في معركة عجيبة قاتل فيها المسلمون بضراوة بالغة وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثال معارك المسلمين، فلم يزالوا يقاتلون ويقتلون حتى استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا، أما الرومان فلم يعرف عدد قتلاهم غير أن تفاصيل المعركة يدل على كثرتهم.

كانت هذه أول معركة يخوضها المسلمون خارج جزيرة العرب ضد الرومان، وسميت بالغزوة لكثرة المحاربين فيها، وإن لم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال عبد الله بن رواحة[1] في سريّة مؤتة[2]: (من البسيط)

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمنَ مَغْفِرَةً ... وَ ضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا[3]

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشاءَ وَ الكَبِدا[4]

حَتَّى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثي ... أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غازٍ وَ قَدْ رَشَدا[5]

1 – عبد الله بن رواحة: سبق ترجمته في ص48.

2 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4-70.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 208/2.

–ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 261/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 428/3.

– وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، دار العلوم للطباعة و النشر، ط1، 1987، ص147.

3 – ذات فرغ : يريد واسعة، والزبد : أصله ما يعلو الماء إذا غلا، وأراد هاهنا ما يعلو الدم الذي يتفرج من الطعنة.

4 – مجهزة: سريعة القتل، تقول : أجهز على الجريح، إذا أسرع في قتله، وتنفذ الأحشاء، تحركها وتصل إليها.

5 – الجدث: بفتح الجيم والدال المهملة، وآخره ثاء مثلثة هو القبر، وربما أبدلوا ثاءه فاءا.

قال ابن اسحاق: ثم إن القوم تهيّأوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال[1]: (من البسيط)

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبيتَ مُوسى وَ نَصْرًا كالَّذي نُصِرا[2]

إنّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ نافِلَةً ... اللهُ يَعْلَمُ أنّي ثابِتُ البَصَرِ[3]

أَنْتَ الرَّسولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوافِلَهُ ... وَ الوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ القَدَرُ[4]

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات:[5] (من البسيط)

أَنْتَ الرَّسولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوافِلَهُ ... وَ الوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ القَدَرُ

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... في المُرْسَلينَ وَ نَصْرًا كالّذي نُصِرُوا

إنّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ نافِلَةً ... فِراسَةً خالَفَتْ فيكَ الّذي نَظَرُوا

يعني المشركين، وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن اسحاق: ثم خرج القوم و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم يُشيّعهم، حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة[6]: (من الطويل)

خَلَفَ السَّلامُ عَلَى امرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... في النَّخْلِ خَيْرِ مُشَيَّعٍ وَ خَليلِ

---

1 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 71/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 261/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 428/3-429.

2 – ثبّت الله : قوّاه وأيّده وجعل له الغلبة، ما أتاك من حسن يريد به الدين المتين.

3 – تفرّست : تبينت، ونافلة: هبة من الله وعطية منه، والنوافل: الهبات والعطايا.

4 – أزرى به القدر: قصر به، ويقال أزريت بفلان، إذا قصرت به.

5– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 71/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 429/3.

6 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 71/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 261/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 429/3.

– وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، مصدر سابق، ص148.

وقال عبد الله بن رواحة[1]: (من الوافر)

جَلَبْنـــا الخَيْـــلَ مِـــنْ أَجَـــإٍ وَ فَـــرْعٍ ... تُغَـــرُّ مِـــنَ الحَشـــيشِ لَهـــا العُكـــومُ[2]

حَـــذَوْناها مِـــنَ الصَّـــوّانِ سِـــبْتًا ... أَزَلَّ كَـــأَنَّ صَـــفْحَتَهُ أَديـــمُ[3]

أقامَـــتْ لَيْلَتَـــيْنِ عَلَـــى مُعـــانٍ ... فَأُعْقِـــبَ بَعْـــدَ فَتْرَتِهـــا جمُـــومُ[4]

فَرُحْنـــا وَ الجِيـــادُ مُسَـــوَّماتٌ ... تَـــنَفَّسُ في مَناخِرِهـــا السَّمـــومُ[5]

فَـــلا وَ أَبي مَـــآبَ لَنَأتينْهـــا ... وَ إنْ كانَـــتْ بِهـــا عَـــرَبٌ وَ رُوم[6]

فَعَبَّأْنـــا أَعِنَّتَهـــا فَجـــاءَتْ ... عَـــوابِسَ و الغُبـــارُ لَهـــا بَريـــمُ[7]

بِـــذي لَجَـــبٍ كَـــأَنَّ البَـــيْضَ فيـــهِ ... إذا بَـــرَزَتْ قَوانِسُـــها النُّجـــومُ[8]

فَراضـــيةُ المعِيشَـــةِ طَلَّقَتْهـــا ... أَسِـــنَّتُها فَتَـــنْكِحُ أَوْ تَئِيـــمُ[9]

قال ابن هشام : ويروى جلبنا الخيل من آجم قرح[10]، وقوله : "فعبّأنا أعنّتها، عن غير ابن اسحاق.

وقال ابن اسحاق: ثم مضى الناس، فحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيما

1 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 71/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4 /262-263.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 3/430-431.

– وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، مصدر سابق، ص149-150.

2 – أجأ: بفتح الهمزة والجيم، وأخره همزة، أحد جبلي طئ، والآخر سلمى، وفرع : يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة، وهو اسم موضع، وتغر: أي تطعم شيئا بعد شيء، تقول غررت الطائر، إذا أطعمته، والعكوم: الجنوب

3 – حذوناهم: جعلنا لها حذاءا، والحذاء: النعل، والصوان: حجارة ملس، واحدتها صوانة، والسبت-بكسر السين- النعال التي تصنع من الجلد المدبوغ، أزلّ: أملس طاهر الصفحة، والأديم الجلد.

4 – معان: اسم موضع، والجموم: استراحة الفرس، وأراد منه هاهنا استعداده ونشاطه.

5 – مسومات : مرسلات، أو معلمات، والسموم، الريح الحارة

6 – مآب: اسم موضع وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده أو مرفوع على الابتداء.

7 – البريم: هو في الأصل خيط تنظمه المرأة ثم تشد على وسطها، وأراد هاهنا الحزام.

8 – بذي لجب : اللجب –بفتح اللام والجيم- كثرة الأصوات واختلافها، وذو اللجب: الجيش، والقوانس: جمع قونس وهو أعلى البيضة، والنجوم: خبر كان، وجملة الشرط وجوابه المحذوف معترضة.

9 – تئيم : تبقى بغير زوج، تقول آمت المرأة إذا لم تتزوج.

10 – قرح: اسم موضع

لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فو الله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه[1]: (من الوافر)

إذا أَدَّيْتِنِي وَ حَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيرةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ[2]

فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وَ خَلاكِ ذَمٌّ ... و لا أَرْجِعْ إلى أَهْلِي وَرائِي[3]

وَ جاءَ المُسلمونَ وَ غادَرُوني ... بأَرْضِ الشَّأْمِ مُشْتَهي الثَّواءِ[4]

وَرَدَّكِ كُلَّ ذي نَسَبٍ قَرِيبٍ ... إلى الرَّحمنِ مُنْقَطِعَ الإخاءِ

هُنالِكَ لا أُبَالي طَلْعَ بَعْلٍ ... وَ لا نَخْلٍ أسافِلُها رِواءُ[5]

فلما سمعتهن منه بكيت، قال: فخفقني بالدِّرَة و قال: ما عليك يا لُكَعَ[6] أن يرزقني الله شهادة و ترجع بين شعبتي الرّحل؟[7].

1 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 72/4.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 209/2، و لم يورد سوى ثلاث أبيات.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 263/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 432/3.

– وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، مصدر سابق، ص151.

2 – أصل الحساء جمع حسي، مثل دلو ودلاء وظبي وظباء، والحسيُّ : ماء يغور في الرمل فإذا بحثت عنه وجدته.

3 – ولا أرجع : جزم هذا الفعل على الدعاء، يدعو على نفسه بأن يستشهد في هذه الرقعة ولا يرجع إلى أهله.

4 – الثواء –بفتح الثاء المثلثة– الإقامة، وتقول : ثوى في المكان يثوي – من باب ضرب– إذا أقام

5 – البعل: الذي يشرب بعروقه من الأرض، والعذى : الذي يشرب من ماء السماء، وقوله "أسافلها رواء" : أظهر ما فيه أنه مبتدأ أو خبر، ففي هذا البيت الاقواء، وهو اختلاف حركة الروي.

6– لكع: بضم اللام و فتح الكاف، و هذه صيغة مستعملة في سب الذكور، و لا تستعمل إلا في النداء، و هو اللئيم، و قد وقع هاهنا منادى على الأصل.

7– شعبتا الرحل: طرفاه المقدم و المؤخر.

وقال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك و هو يرتجز[1]:

يـــا زيـــدُ زَيْـــدَ الـــيَعْمَلاتِ الـــذُّبَّلِ تَطـــاوَلَ اللَّيْـــلُ هُـــديتَ فَـــأَنْزِلِ[2]

نزول جعفر[3] رضي الله عنه إلى القتال وهو يقول[4]: (من الرجز)

يـــا حبَّـــذا الجنَّـــةَ و اقْترابُهـــا طَيِّبَـــةً و بـــارِدًا شـــرابُها

وَ الـــرّومُ رومٌ قَـــدْ دَنـــا عَـــذابُـــها كـــافِـــرَةٌ بَـــعـــيـــدَةٌ أَنْـــســـابُـــها

عَلَـــيَّ إذْ لاقَـــيْـــتُـــها ضِـــرابُـــهـــا

1 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 72/4.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 209/2.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 263/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 433/3.

– وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، مصدر سابق، ص152. و جاءت في الديوان على هذا النحو:

يـا زيـــدُ زَيْـدَ اليَعْـمَـلاتِ الـذُّبَّـلِ

وَ زَيْـدَ دَاريّ الـفَـلَاة الـــمَـجْـهَـلِ

تَـطـــاوَلَ اللَّـيْـــلُ هُـديتَ فَـأَنْـزِلِ

فَـأَنْـقـضَّ زَيْـدٌ كَـانـقِـضَـاضِ الأَجْدَلِ

2 – اليعملات : جمع يعملة، وهي الناقة السريعة، والذبل: التي أضعفها السير فقلّ لحمها.

3– جعفر بن أبي طالب: بن عبد المطلب بن هاشم ،فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين، أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ،وكانت له مواقف مشهورة ، تنظر ترجمته في ابن كثير : البداية والنهاية275/4.

4 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 72/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 263/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 434/3.

وقال عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه قبيل استشهاده[1]: (من الرجز)

أقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرِهِنَّهْ
إنْ أَجْلَبَ النّاسُ وَ شَدُّوا الرَّنَّهْ ما لي أَراكِ تَكْرهينَ الجَنَّهْ[2]
قَدْ طالما قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أَنْتِ إلاَّ نُطْفَةٌ في شَنّهْ[3]

و قال أيضًا: (من الرجز)

يا نفسُ إلاَّ تُقْتلي تَمُوُتي هذا حِمامُ المِوْتِ قَدْ صَليتِ
وَ ما تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطيتِ إنْ تَفْعَلي فِعْلَهُما هُديتِ

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا.

---

1 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/72-73.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/264.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 3/434-435.

– وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، مصدر سابق، ص153-154.

و في الديوان هذه الزيادة: جَعْفَرُ مَا أَطْيَبَ رِيحَ الجَنَّةْ

و فيه كذلك:

هلْ أَنْتِ إِلَّا إصْبَعٌ دَمِيْتِ
و في سبيلِ اللهِ مَا لَقِيْتِ
يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي
هَذَا حِمَامُ الموتِ قَدْ صَلِيْتِ
إنْ تَسْلَمِي اليومَ فَلَنْ تَفُوتِي
أو تُبْتَلِي فطَالَما عُوْفِيْتِ
و مَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أَعْطِيْتِ
إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُما هُدِيْتِ
و إن تأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيْتِ

2 – أجلب الناس: صاحو واجتمعوا، والرنّة صوت فيه ترجيع يشبه البكاء

3– النطفة: الماء القليل الصافي، والشنّة القربة القديمة

وقال قطبة بن قتادة[1] في قتله مالك بن زافلة[2]: (من المتقارب)

طَعَنْتُ ابنَ زافِلَةَ بْنَ الإراشِ بِرُمْحٍ مَضَى فيهِ ثُمَّ انْحَطَمْ
ضَرَبْتُ على جِيدِهِ ضَرْبَةً فمالَ كَما مالَ غُصْنُ السَّلَمْ[3]
وَ سُقْنا نِساءَ بني عَمِّهِ غَداةَ رَقُوقَيْنِ سَوْقَ النَّعَمْ[4]

وقال ابن هشام : قوله : "ابن الإرش عن غير ابن اسحاق"، و البيت الثالث عن خلّاد بن مُرَّة، و يقال مالك بن زافلة (عن غير ابن اسحاق).

قال ابن اسحاق: و قد قال فيما كان من أمر الناس و أمر خالد و مخاشاته بالناس و انصرافه بهم قيس بن المسحر اليعمري[5] يعتذر مما صنع يومئذ و صنع الناس بعد انسحاب خالد بالجيش من المعركة[6]: (من الطويل)

فَوَاللهِ لا تَنْفَكُّ نَفْسي تلومُني عَلَى مَوْقِفي وَ الخَيْلُ قابعةٌ قُبْلُ[7]
وَقَفْتُ بِها لا مُسْتَجيزًا فَنافِذًا وَ لا مانِعًا مِنْ كانَ حُمَّ لَهُ القَتْلُ[8]

1- قطبة بن قتادة: العذري، ذكره ابن اسحاق في من شهد مؤتة و أنشد له شعرا، و جوز ابن الأثير أن يكون هو قطبة بن قتادة السدوسي. تنظر ترجمته في: الزركلي، الأعلام، 200/5، و ابن سعد، الطبقات، 74/9-75.

2 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 73/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 270/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 437/3.

3 – الجيد : العنق، والسّلَم – بفتح السين واللام- ضرب من الشجر.

4 – رقوقين: هو اسم موضع ويروى بقافين وبقاف ففاء بعد الواو.

5- قيس بن المسحر اليعمري: قيس بن مالك بن المحسر ، وقيل بتقديم السين ، وقيل بإسقاط مالك ، وبه جزم المرزباني وغيره من الإخباريين ،وقيل ابن مسحل ، وهو كناني ليثي ، وقاله ابن اسحاق وابن الكلبي : مسحر بتقديم السين على الحاء ، ولا شك أنهم قد اختلفوا فيه ، وذكر ابو موسى أنه غزا جذام بأرض حسمى ، وليس بشيء، وإنما الصحيح أنه غزا مع زيد بني فزارة لما قتلت أم قرفة ، وأمر زيد قيسا فقتلها ، وكانتا غزوتين في وقتين ومكانين لايمكن الجمع بينهما . تنظر ترجمته في : ابن الأثير : أسد الغابة 1026، بلفظ قيس بن مالك بن المسحر ، وابن حجر : الإصابة 380/5، بلفظ ابن المسحر: أو ابن مسحل.

6 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 74/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 270/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 439/3-440.

7 – قابعة: تروى هذه الكلمة على عدة أوجه : الأول قابعة ومعناها منقبضة في مكانها، والوجه الثاني: نائعة، ومعناها رافعة رؤوسها، والوجه الثالث قائعة، ومعناها واثبة، نقول قأع الفحل على الناقة إذا وثب عليها، والقُبُل جمع أقبَل، وهو الذي تميل عينه عند النظر إلى جهة العين الأخرى، وربما انفعلت الخيل ذلك حدة ونشاطا، وأنثى الأقبَل قبلاء، وجمعها قبُل أيضا.

8 – يورى بالحاء المهملة وآخره زاي، ونقول تحير وانحاز واستحاز، إذا كان في ناحية، ويروى مستجيرا، وقوله حمّ: هو بالبناء المجهول: أي قدّر

عَلـــى أَنَّـــني آســـيْتُ نَفْســـي بِخالِـــدٍ ألا خالِـــدٌ في القَـــوْمِ لـــيْسَ لـــهُ مِثْـــلُ[1]
و جاشَـــتْ إليَّ الـــنَّفْسُ مـــنْ نَحْـــوِ جَعْفَـــرٍ بمُؤْتَـــةَ إذْ لا يَنْفَـــعُ النَّابـــلَ النَّبْـــلُ[2]
وَ ضَـــمَّ إلـيْـنـا حَـجْـزَتَـيْـهِـمْ كِـلَـيْـهِـمـا مُهـــاجِرَةٌ لا مُشْـــرِكونَ وَ لا عُـــزْلُ[3]

ورثت أسماء بنت عميس[4] زوجها بقصيدة تقول فيها[5]: (من الطويل)

فَآلَيْـــتُ لا تَنْفَـــكُّ نَفْســـي حَزِينَـــةً عَلَيـــكَ وَ لَا يَنْفَـــكُّ جِلْـــدِي أَغْبَـــرَا
فَلِلَّـــهِ عَيْنًـــا مَـــنْ رَأَى مِثْلَـــهُ فَـــتًى أَكَـــرّ وَ أَحْمَـــى فِي الهِيَـــاجِ وَ أَصْـــبَرَا

قال ابن اسحاق: و كان مما بكي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قول حسّان بن ثابت[6]: (من الطويل)

تَـــأَوَّبَني لَيْـــلٌ بِيَثْـــرِبَ أَعْسَـــرُ وَ هَـــمٌّ إذا مـــا نَـــوَّمَ النَّـــاسُ مُسْـــهِرُ[7]
لِـــذِكْرَى حَبيـــبٍ هَيَّجَـــتْ لي عَبْـــرَةً سَـــفُوحًا وَ أَسْـــبابُ البُكـــاءِ التَّـــذَكُّرُ[8]
بَلَـــى إنَّ فقْـــدانَ الحبيـــبِ بَلِيَّـــةٌ وَ كَـــمْ مـــنْ كـــرِيمٍ يُبْتَلـــى ثُمَّ يَصْبِـــرُ

---

1 – آسيت نفسي بخالد : أي افتديت به فيما صنع، من الأسوة، وهي القدوة، وألا استفتاح.

2 – جاشت: رجعت أو ارتفعت، والنابل: صاحب النبل

3 – حجزتيهم : ناحيتيهم، والعزّل: جمع أعزل وهو الذي لا سلاح له.

4– أسماء بنت عميس: أسماء بنت عميس ابن معبد بن الحارث الخثعمية أم عبد الله من المهاجرات الأول، أسلمت قبل دخول رسول الله صلى الله عليه و سلم دار الأرقم، و هاجر بها زوجها جعفر التيار إلى الحبشة، فولدت له هناك: عبد الله، و محمدا، و عونا، فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، و استشهد يوم مؤتة، تزوج بها أبو بكر الصديق، و لما توفي الصديق، تزوج بها علي بن أبي طالب. و توفيت بعد علي رضي الله عنه. تنظر ترجمتها في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 3/143-145.

5– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/272.

6 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/74-75.

– عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص235-237. مع تغيير في الألفاظ و لم يورد بعض الأبيات.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/280-281.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 3/440-442.

7 – تأوبني: عادني ورجع إلي، وأصله آب يؤوب، أي رجع، وأعسر: شديد العسر، ومسهر : داع إلى السهر، ومانع من النوم

8 – العبرة: الدمعة، والسفوح : السائلة أو شديد السيلان.

رَأَيْتُ خِيارَ المؤمنينَ تَوارَدُوا ... شَعُوبَ وَ خَلْفًا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ[1]

فَلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلى تَتابعُوا ... بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الجَناحَيْنِ جَعْفَرُ

وَ زَيْدٌ وَعَبْدُ اللهِ حينَ تَتابعوا ... جَميعًا وَ أسْبابُ المنِيَّةِ تَخْطِرُ[2]

غَداةَ مَضَوا بالمؤمنينَ يَقُودُهُمْ ... إلى المَوْتِ مَيْمونُ النَّقيبةِ أَزْهَرُ[3]

أَغَرُّ كَضَوْءِ البَدْرِ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... أَبِيٌّ إذا سِيم الظُّلامَةَ مِحْسَرُ[4]

فَطاعَنَ حَتَّى مالَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... بِمُعتَرَكٍ فيهِ قَنًا مُتكَسِّرُ[5]

فَصارَ مَعَ المسْتَشْهِدينَ ثَوابُهُ ... جِنانٌ وَ مُلْتَفُّ الحدائِقِ أَخْضَرُ

وَ كُنَّا نَرَى في جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ... وَفاءً وَ أَمْرًا حازِما حينَ يَأْمُرُ

و ما زالَ في الإسْلامِ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... دَعائِمُ عِزٍّ لا يَزُلْنَ وَ مَفْخَرُ

هُمُ جَبَلُ الإسْلامِ و النَّاس حَوْلَهُمْ ... رِضامٌ إلى طَوْدٍ يَروقُ وَ يَبْهَرُ[6]

بَهاليلُ مِنْهُمْ جعْفَرٌ و ابْنُ أمِّهِ ... عَليٌّ وَ مِنْهُمْ أَحْمَدُ المتَخَيَّرُ[7]

وَ حَمْزَةُ وَ العَبَّاسُ مِنْهُمْ وَ مِنْهُمُ ... عَقيلٌ وَ ماءُ العودِ مِنْ حيثُ يُعْصَرُ

بِهِمْ تُفْرَجُ اللَّأْواءُ في كُلِّ مَأْزِقٍ ... عَماسٍ إذا ما ضاقَ بالنَّاسِ مَصْدَرُ[8]

هُمُ أَوْلِياءُ اللهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ ... عَلَيْهِمْ وَ فيهِمْ ذا الكِتابُ المطَهَّرُ

---

1 – جمع شعب: وهو القبيلة، ويقال هو أكبر منها، وتورى بفتح الشين فهي المنية، فعول بمعنى فاعل، سميت بذلك لأنها تشعّب الأحباب، أي تفرقهم، وخلفا تروى بالفاء، ومعناه الذي يأتي بعده.

2 – تخطر : تقول خطر فلان في مشيته، إذا اختال فيها وتبختر وتحرك واهتز.

3 – ميمون النقيبة: يريد أنه مسعود منجح فيما يطلبه، وأزهر: أي أبيض.

4 – الأبي: العزيز الذي يأبى الضيم، أي يمتنع من قبوله، ومحسر :كثير الجسارة

5 المعترك: موضع الحرب

6 – الرضام : جمع رضم، وهو الحجارة يجعل بعضها فوق، والطود : الجبل، يروق: يعجب

7 – بهاليل : جمع بهلول وهو السيد.

8 – الألواء : الشدّة، والمأزق: المكان الضيق، والعماس : المظلم، يريد عند ارتفاع الغبار فيه

و قال كعب بن مالك[1]: (من الكامل)

نـــامَ العيـــونُ وَ دَمْـــعُ عَيْنِـــكَ يَهْمُـــلُ ... سَـــحًّا كَمـــا وَكَـــفَ الطِّـــبابُ المِخْضِـــلُ[2]

فِي لَيْلَـــــةٍ وَرَدَتْ عَلَـــــيَّ هُمومُهـــــا ... طَـــــوْرًا أَخِـــــنُّ و تـــــارَةً أَتَمَلْمَـــــلُ[3]

وَ اعْتـــــادِنِي حُـــــزْنٌ فَبِـــــتُّ كَـــــأَنَّنِي ... بِبَنـــــاتِ نَعْـــــشٍ و السِّـــــماكِ مُوَكَّـــــلُ[4]

وَ كأَنَّمـــــا بَـــــيْنَ الجَـــــوانِحِ وَ الحَشـــــا ... ممّـــــا تَـــــأَوَّبَنِي شِـــــهابٌ مُـــــدْخَلُ[5]

وَجْـــــدًا علـــــى النَّفَـــــرِ الّـــــذين تَتـــــابعوا ... يَوْمًـــــا بمؤتـــــةَ أُسْـــــنِدوا لَمْ يُنْقلـــــوا

صَـــــلَّى الإلـــــهُ علـــــيْهِمُ مـــــنْ فِتْيَـــــةٍ ... وَ سَـــــقَى عِظـــــامَهُمُ الغَمـــــامُ المِسْـــــبِلُ[6]

صـــــبَروا بمؤْتَـــــةَ للإلـــــهِ نُفوســـــهُمْ ... حَـــــذَرَ الـــــرَّدى وَ مخافَـــــةً أنْ يَنْكُلـــــوا[7]

فَمضَـــــوْا أمـــــامَ المِسْـــــلمينَ كـــــأَنَّهُمْ ... فُنُـــــقٌ عَلَـــــيْهِنَّ الحَديـــــدُ المِرْفَـــــلُ[8]

إذْ يَهْتَـــــدونَ بجَعْفَـــــرٍ وَ لِوائِـــــهِ ... قُـــــدَّامَ أَوَّلِهِـــــمْ فَـــــنِعْمَ الأَوَّلُ

حـــــتَّى تَفَرَّجَـــــتِ الصُّـــــفُوفُ وَجَعْفَـــــرٌ ... حَيْـــــثُ التَقَـــــى وَعْـــــثُ الصُّـــــفوفِ مُجَـــــدَّلُ[9]

فَتَغَـــــيَّرَ القَمَـــــرُ المنـــــيرُ لِفَقْـــــدِهِ ... و الشَّـــــمْسُ قـــــدْ كُسِـــــفَتْ و كـــــادَتْ تَأْفِـــــلُ[10]

قَـــــرْمٌ عَـــــلا بُنْيانُـــــهُ مـــــنْ هاشِـــــمٍ ... فَرْعًـــــا أَشَـــــمَّ وَ سُـــــؤْدَدًا مـــــا يُنْقَـــــلُ[11]

---

1 – سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك، مصدر سابق، ص260–263.

و في الديوان زيادة بيتين:

يا هـاشـمـاَ إن الإلـهَ حباكمُ ... ما ليس يبلغه اللسانُ المِفْصَل

قـومٌ لأصـلهمُ السيـادةُ كلُّها ... قـدماً و فـرعُـهم النبيُّ المرسل

– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 75/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 181/4–182.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 443/3–445.

2 – يهمُل: يسيل، تقول: همل الجمع إذا سال، وسحا : صبّ، ووكف: قطر، والطباب: ثقب في خرز المزادة التي يجعل فيها الماء، والمخضل: اسم فاعل من أخضل إذا تندّى.

3 – أحنّ : تروى هذه الكلمة بالحاء المهملة وبالخاء المعجمة، فأما ما رواه بالحاء المهملة فهو مضارع من الحنين، وأما ما رواه بالخاء المعجمة فهو مضارع من الخنّة وهي صوت يخرج من الأنف مع بكاء، وأتململ : أتقلب

4 – بنات نعش: سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي، السّماك : أحد نجمين نيرين، وأما الرامح في الشمال والأعزل في الجنوب.

5 – الجوانح: عظام أسفل الصدر، شهاب : القطعة من النار، ومدخل : اسم مفعول من أدخل.

6 – المسبل : الممطر، ويقال للممطر : سبل.

7 – يرجعوا عن عدوهم هائبين له.

8 – فنق: جمع فنيق، وهو الفحل من الإبل، والمرفل : الذي تجر أطرافه على الأرض.

9 – الوعث : الرمل الذي تغيب فيه الأرجل، ومجدل : مطروح على الجدالة وهي الأرض.

10 – تأفل : تغيب

11 – القرم : أصله الفحل من الإبل، وأراد منه هنا السيل، وقوله ما ينقل : يروى بالقاف، ومعناه ظاهر، ويروى بالفاء : ومعناه لا يحجر.

قَـــوْمٌ بِهِـــمْ عَصَـــمَ الإلـــهُ عِبـــادَهُ ... وَ عَلَـــيْهِمُ نَـــزَلَ الكتـــابُ الـــمُنْزَلُ
فَضَـــلُوا المعاشِـــرَ عِـــزَّةً وَ تَكَرُّمًـــا ... وَ تَغَمَّـــدَتْ أَحْلامُهُـــمْ مَـــنْ يَجْهَـــلُ[1]
لا يُطْلقـــونَ إلى السَّـــفاهِ حُبـــاهُمُ ... وَ تَـــرَى خَطيـــبَهُمُ بحـــقٍّ يَفْصِـــلُ[2]
بـــيضُ الوُجـــوهِ تَـــرَى بُطـــونَ أَكُفِّهِـــمْ ... تَنْـــدَى إذا اعْتَـــذَرَ الزَّمـــانُ الـــمُمْحِلُ[3]
وَ بهَـــدْيِهِمْ رَضِـــيَ الإلـــهُ لخَلْقِـــهِ ... وَ بحَـــدِّهِمْ نُصِـــرَ النَـــبِيُّ المرْسَـــلُ

و قال حسّان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[4]: (من الكامل)

وَ لَقَـــدْ بَكَيْـــتُ وَ عَـــزَّ مَهْلِـــكُ جَعْفَـــر ... حِـــبِّ النَـــبِيِّ علـــى البَرِيَّـــةِ كُلّهـــا
وَ لَقَـــدْ جَزِعْـــتُ وَ قُلْـــتُ حـــينَ نُعِيـــتَ لي ... مَـــنْ للجِـــلادِ لَـــدَى العُقـــابِ وَ ظِلِّهـــا[5]
بـــالبيضِ حـــينَ تُسَـــلُّ مـــنْ أغْمادِهـــا ... ضَـــرْبًا وَ إنْهـــالِ الرِّمـــاحِ وَ عَلِّهـــا[6]
بَعْـــدَ ابْـــنِ فاطمـــةَ المبـــارَكِ جَعْفَـــرٍ ... خَـــيْرِ البَرِيَّـــةِ كُلِّهـــا وَ أَجَلِّهـــا[7]
رُزْءًا وَ أَكْرَمِهـــا جميعًـــا مَحْتِـــدًا ... وَ أَعَزِّهـــا مُتَظَلِّمًـــا وَ أَذَلِّهـــا
لِلْحَـــقِّ حـــينَ يَنـــوبُ غَيْـــرَ تَنَحُّـــلِ ... كَـــذِبًا وَ أَنْـــداها يَـــدًا وَ أَقَلِّهـــا[8]
فُحْشًـــا وَ أَكْثَرِهـــا إذا مـــا يُجْتَـــدَى ... فَضْـــلًا وَ أَنْـــداها يَـــدًا وَ أَبَلِّهـــا[9]
بـــالعُرْفِ غيْـــرَ محمَّـــدٍ لا مِثْلُـــهُ ... حَـــيٌّ مـــنْ أَحْيـــاءِ البَرِيَّـــةِ كُلِّهـــا

---

1 – فضلوا المعاشر : تفوقوا على الآخرين، وتغمد : تستر وتحفظ، مشتقة من غمد السيف.

2 – الحبى : بضم الحاء مقصورا، جمع حبوة والحبوة : ان يشبك المرء أصابع يديه بعضها فب بعض في ركبتيه إذا جلس، وربّما احتبى الناس بحمائل السيف ونحوها.

3 – الممحل : هو من المحل، وهو الشدّة والقحط.

4 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، ص4/75-76.

– عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص392-393. مع تغيير في بعض الألفاظ.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق،4/277.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 3/445.

5 – العقاب في هذا المكان : الراية

6 – الانهال : أن تسقي الناس بالشراب الأول، وهو معطوف على قوله الجلاد في البيت السابق، والعل : الشرب الثاني.

7 – فاطمة هاهنا: هي أم جعفر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنها، وهي فاطمة بنت اسد بن هاشم، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي.

8 – التنحل : انتحال، والتنحل : الكذب أيضا.

9 – يجتدي : تطلب جدواء، والجدوى بفتح الجيم : المنحة والعطية.

و قال حسّان بن ثابت في يوم مؤتة يبكي زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة[1]: (من الخفيف)

عَيْنُ جُودي بِدَمْعِكِ المِنْزورِ ... وَ اذْكُري في الرَّخاءِ أَهْلَ القُبور[2]

وَ اذْكُري مُؤْتةً وَ ما كانَ فيها ... يَوْمَ راحوا في وَقْعَةِ التَّغْوير[3]

حينَ راحوا و غادروا ثَمَّ زَيْدًا ... نِعْمَ مَأْوَى الضَّريكِ وَ المأْسورِ[4]

حِبَّ خَيْرِ الأنامِ طُرًّا جميعًا ... سَيِّدِ النّاس حُبُّهُ في الصُّدورِ

ذاكُمُ أَحْمَدُ الّذي لا سِواهُ ... ذاكَ حُزْني لَهُ مَعًا وَ سُروري

إنَّ زَيْدًا قَدْ كانَ مِنّا بِأَمْرٍ ... لَيْسَ أَمْرَ المُكَذِّبِ المَغْرورِ

ثُمَّ جودي لِلْخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ ... سَيِّدًا كانَ ثَمَّ غَيْرَ نَزورِ[5]

قَدْ أتانا مِنْ قَتْلِهِمْ ما كَفانا ... فَبِحُزْنٍ نَبيتُ غَيْرِ سُرورِ

و قال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة[6]: (من الطويل)

كَفى حَزَنًا أنّي رَجَعْتُ وَ جَعْفَرٌ ... وَ زَيْدٌ وَ عَبْدُ اللهِ في رَمْسِ أَقْبُرِ

قَضوا نَحْبَهُمْ لمّا مَضوا لَسَبيلِهِمْ ... وَ خُلِّفْتُ لِلْبَلْوَى مَعَ المتَغَبِّرِ[7]

ثلاثَةُ رَهْطٍ قَدِّموا فَتَقَدَّمُوا ... إلى وِرْدِ مَكْروهٍ مِنَ المَوْتِ أَحْمَرِ

---

1 – عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، مصدر سابق، ص238-239، مع تغيير في بعض الألفاظ و لم يورد البيت السادس.

– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 76/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 275/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 446/3.

2 – المنزور : القليل، وذلك لأنه بكى حتى فرغ دمعه.

3 – التغوير : الاسرار، يريد انهزاما

4 – الضريك : الفقير

5 – أراد بالخزرجي عبد الله بن رواحة.

6 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 76/4.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق،4 /278-279.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 446/3-447.

7 – قضوا نحبهم : يريد ماتوا، وأصل النحب النذر، وقال تعالى : "فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر"، والمتغبر : الباقي، ويروى في مكانه المتعذر.

سرية خالد بن الوليد بعد فتح مكّة إلى بني جذيمة[1]:

بعد فتح مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما حول مكة السرايا، تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد[2]، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا ولم يبعثه مقاتلا فخرج في ثلا ثمائة و خمسين من المهاجرين والأنصار وبني سليم فانتهى إليهم خالد، فقال : ما أنتمّ ؟ قالوا مسلمون قد صلينا و صدقنا بحمد و بنينا المساجد في ساحاتنا و أذنا فيها! قال: فما بال السلاح عليكم؟ فقالوا إن بيننا و بين قوم من العرب عدواة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح! قال: فضعوا السلاح! قال: فوضعوه فقال لهم: استأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضا و فرقهم في أصحابه، فلما كان في السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليدافه! و المدافاة الإجهاز عليه بالسيف، فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم وكانت بين سليم و كنانة عداوة في الجاهلية، و أما المهاجرون و الأنصار فأرسلوا أساراهم و لم يقتلوهم، فبلغ النبي صلى الله عليه و سلم ما صنع خالد، فقال: **"اللهم إني أبرأ مما صنع إليك خالد!"** و بعث علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم و ما ذهب منهم ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره.

---

1 – ينظر هذه السرية بتفصيل في:

– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/109-111.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/250-252.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/337-340.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 4/53-63.

2– خالد بن الوليد: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، سيف الله –تعالى– و فارس الإسلام، قائد المجاهدين، أبو سليمان، وأمه عصماء وهي لبابة الصغرى بنت الحارث أخت أم الفضل امرأة العباس ، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلمّ: خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرةً ، قيل مات بالمدينة و الصحيح موته بحمص سنة إحدى و عشرين، فحكى من غسله أنه ما كان في جسمه موضع صحيح من بين ضربة أو طعنة برمح أو رمية بسهم، انظر ترجمته: ابن الجوزي : صفوة الصفوة ،1/330-332، الذهبي: سير أعلام النبلاء 2/402-410.

قال ابن هشام : و قال عباس بن مرداس السلمي[1] في ذلك[2]: (من الطويل)

فإنْ تَكُ قَدْ أمَّرْتَ في القَوْمِ خالِدًا وَ قَدَّمْتَهُ فإنَّهُ قَدْ تَقَدَّما
بِجُنْدٍ هَداهُ اللهُ أنْتَ أَميرُهُ نُصيبُ بِهِ في الحَقِّ مَنْ كانَ أَظْلَمَا

و قال قائل من بني جذيمة، و بعضهم يقول: امرأة يقال لها سلمى[3]: (من الطويل)

وَ لَوْلا مَقالُ القَوْمِ لِلْقَوْمِ أَسْلِمُوا لَلاقَتْ سُلَيْمٌ يَوْمَ ذلِكَ ناطِحَا
لِمَاصَعَهُمْ بُسْرٌ و أَصْحابُ جَحْدَمٍ وَ مُرَّةُ حَتَّى يَتْرُكُوا البَرْكَ ضابِحا[4]
فَكائِنْ تَرَى يَوْمَ الغُمَيْصاءِ مِنْ فَتًى أصيبَ وَ لَمْ يُجرَحْ و قَدْ كانَ جارِحا[5]
أَلَظَّتْ بِخُطَّابِ الأَيامَى وَ طُلِّقَتْ غَداتَئِذٍ مِنْهُنَّ مَنْ كانَ ناكِحا[6]

1 – العباس بن مرداس بن أبي عامر اذبن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث بن يحى بن الحارث بن بهثة بن سليم أبو الهيثم السلّمي، وكان العبّاس فارسا، شاعرا سيدا في قومه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام، توفي سنة 18 هـ، تنظر ترجمته في: ابن الأثير: أسد الغابة، 634-635، ابن قتيبة: الشعر والشعراء : 258/1، الزّكلي: الأعلام: 267/3.

2- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 109/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 53/4.

– يحي جبوري: ديوان العباس بن مرداس السلمي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1991، ص141-143، أورد البيتين ضمن قصيدة يذكر فيها فتح مكة و حنين و يمدح رسول الله صلى الله عليه و سلم:

3- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 111/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 57/4.

4 – المصاع والمماصعة : المضاربة بالسيوف، والبرك : الابل باركة، وضابحا : صائحا، وأصل الضبح : نفس الخيل والابل إذا أعييت، ومنه قوله تعالى: "والعاديات ضبحا "

5 – الغميصاء : اسم موضع.

6 – ألظت : تقربت وألمت، والأيامى : جمع أيم، وهي التي لا زوج لها.

قال ابن اسحاق: فأجابها عباس بن مرداس، و يقال: بل الجحاف بن حكيم[1] السلمي[2]: (من الطويل)

دَعِـي عَنْـكِ تَقْـوالَ الظَّـلالِ كَفَـى بِنـا ... لِكَـبْشِ الـوَغَى في اليَـوْمِ وَ الأَمْـسِ ناطِحَـا[3]

فَخالِـدُ أَوْلى بِالتَعَـذُّرِ مِنْكُـمُ ... غَـداةَ عَـلا نَهْجًـا مـنَ الأَمْـرِ واضِحَـا

مُعانًـا بِـأَمْرِ اللهِ يُزْجـي إلَـيْكُمُ ... سَـوانِح لا تَكْبُـو لَـهُ وَ بوارِحـا[4]

نَعَـوْا مالِكًـا بالسَّـهْلِ لمـا هَبَطْنَـهُ ... عَـوابِسَ في كـابِي الغُبـارِ كَوالِحـا[5]

فـإنْ نَـكُ أَثْكَلْنـاكِ سَـلْمَى فَمالِـكٌ ... تَـرَكْتُمْ عَلَيْـهِ نائِحـاتٍ وَ نائِحَـا[6]

و قال الجحاف بن حكيم السلمي[7]: (من الوافر)

شَـهِدْنَ مَـعَ النَـبِيِّ مُسَـوَّماتٍ ... حُنَيْنًـا و هـيَ داميـةُ الكِـلامِ[8]

وَ غَـزْوَةَ خالِـدٍ شَـهِدَتْ وَ جَـرَّتْ ... سَـنابِكُهُنَّ بالبَلَـدِ الحَـرامِ[9]

نُعَـرِّضُ للطِّعـانِ إذا الْتَقَيْنـا ... وُجوهًـا لا تُعَـرَّضُ للطِّئـامِ

---

1 – الجحاف بن حكيم بن عاصم بن سباع بن خزاعي بن محارب بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمي الفارسي المشهور تنظر ترجمته في الزركلي: الأعلام، 113/2.

2– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 111/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 57/4-58.

3 – الكبش هنا الرجل السيد، الوغى : الحرب

4 – يجزي: يسوق، والسوانح : جمع سانح وأصله من الطير ما مر من مياسرك إلى ميامنك، وقوله : لا تكبوا معناه لا تسقط ولا تعيا، ويورى في مكانه لا تبوؤ، لا ترجع، والبوارح : جمع البارح، وهو ما مر من ميامنك إلى مياسرك، وكانوا يتيامنون بالسوانح ويتشاءمون بالبوارح، وأراد هاهنا الخيل تحدق بهم وتجيئهم من كل جهة.

5 – عوابس : جمع عابس، وهو الذي انقبضت شفاهه وظهرت أسنانه.

6 – اثكلناك : يريد أفقدناك، والثكل : الفقد

7 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 111/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 58/4-59.

8 – مسومات : أراد بها الخيل، من التسويم وهو التعليم بعلامة، أو هو الارسال، والكلام بكسر الكاف جمع كلم، وهو الجرح.

9 – السنابك : جمع سنبك وهو مقدم طرف الحافر

وَ لَسْتُ بخالِعٍ عَنِّي ثِيابي إذا هَزَّ الكُماةُ وَ لا أُرامِي[1]
وَ لكِنِّي يجولُ المُهْرُ تَحْتي إلى العَلَواتِ بالعَضْبِ الحُسامِ

وقال ابن اسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخمس، عن الزهري، عن أبي حدردا الأسلمي قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة –وهو في سني، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه– يا فتى، قلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ثم تردني بعد فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال : قلت : والله ليسير ما طلبت فأخذت برمته فقدته بها حتى أوقفته عليهن، فقال: أسلمي حبيش على نفذ من العيش[2]: (من الطويل)

أَرَيْتُكِ إذْ طالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُم بِحَلْيَةَ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بالخَوانِقِ[3]
أَلَمْ يَكُ أَهْلاً أَنْ يُنَوَّلَ عاشِقٌ تَكَلُّفَ إدْلاج السُّرَى و الوَدائِقِ[4]
فَلا ذَنْبَ لي قَدْ قُلْتُ إذْ أَهْلُنا مَعًا أَثيبي بِوُدٍّ قَبْلَ إحْدَى الصَّفائِقِ[5]
أَثِيبي بِوَدٍّ قَبْلَ أَنْ تَشْحَط النَّوَى وَ يَنْأى الأميرُ بِالحَبيبِ المفارِقِ[6]
فإنِّي لا ضَيَّعْتُ سِرَّ أمانَةٍ وَ لا راقَ عَيْني عَنْكِ بَعْدَكِ رائِقُ[7]
سِوَى أنَّ ما نالَ العَشيرَةَ شاغِلٌ عَنِ الوُدِّ إلاَّ أَنْ يَكونَ التَّوامُقُ[8]

قال ابن هشام : " وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منها له".

1 – سقط هذا البيت والذي بعده من أكثر النسخ.
2– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 112/4.
– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير ، مصدر سابق، 251/2، و لم يورد إلا أربع أبيات الأولى، مع تغيير في بعض الألفاظ.
– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 339/4.
– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 59/4–60.
3 – حلية والخوانق : اسما موضعين
4 – الادلاج: مصدر أدلج، أذا سار من أول الليل، والودائق: جمع وديقة، وهي شدة الحر، وأراد بالادلاج هنا مجرد السير، والسرى أصله السير ليلا فأراد هاهنا الليل، يقول : تكلفت السير في الليل وفي شدة الحر.
5 – الصفائق : أراد بها النوائب.
6 – تشحط: تبعد، وينأى : يبعد أيضا.
7 – راق : أعجب، يريد لم يعجبني بعدك أحد.
8 – التوامق: الحب

قال ابن اسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي قالت:

وَ أَنْتَ فَحُيِّيتَ سَبْعًا وَ عَشْرًا ... وِتْرًا وَ ثَمَانِيَا تَتْرَى

قال : ثم انصرفت عنه، فضربت عنقه.

قال ابن اسحاق: فحدّثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمي، عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده.

قال ابن اسحاق: و قال رجل من بني جذيمة[1]: (من الطويل)

جَزَى اللهُ عَنّا مُدْلِجًا حَيْثُ أَصْبَحَتْ ... جَزاءَةَ بُؤْسَى حَيْثُ سارَتْ وَ حَلَّتِ

أقاموا عَلَى أَقْضاضِنا يَقْسِمونَها ... وَ قَدْ نَهِلَتْ فينا الرِّماحُ وَ عَلَّتِ[2]

فواللهِ لَوْلا دينُ آلِ مُحَمَّدٍ ... لَقَدْ هَرَبَتْ مِنْهُمْ خُيولٌ فَشُلَّتِ[3]

وَ ما ضَرَّهُمْ أنْ لا يُعينوا كتيبَةً ... كَرِجْلٍ جرادٍ أُرْسَلَتْ فاشْمَعَلَّتِ[4]

فإمّا يُنيبُوا أوْ يَثوبُوا لأَمْرِهِمْ ... فلا نحْنُ نُجْزيهِمْ بما قَدْ أَضَلَّتِ[5]

فأجابه وهب، رجل من بني ليث، فقال[6]: (من الطويل)

دَعَوْنا إلى الإسْلامِ و الحقِّ عامِرًا ... فما ذَنْبُنا في عامِرٍ إذ تَوَلَّتِ

و ما ذَنْبُنا في عامرٍ لا أبا لَهُمْ ... لَئِنْ سَفِهَتْ أحلامُهُمْ ثُمَّ ضَلَّتِ

---

1 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 112/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 61/4.

2 – الأقضاض: جمع قض، وأراد بها هاهنا المال مجتمع، وتقول: جاء القوم بقضهم وقضيضهم، إذا جاءوا بأجمعهم، ونهلت : من النهل، وهو الشرب الأول، وعلّت : وهو من العلل، وهو الشرب الثاني.

3 – خيول: يروى في مكانها حلول، والحلول : البيوت المجتمعة، والمراد هنا أصحابها، وشلت : طردت

4 – اشمعلت : تفرقت

5 – يثوب : يرجع

6– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 112/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 61/4-62.

و قال رجل من بني جذيمة: (من الطويل)

لِيَهْنِئْ بني كَعْبٍ مُقَدَّمُ خالِدٍ وَ أَصْحابِهِ إِذْ صَبَّحَتْنا الكتائِبُ

فلا تِرَةً تَسْعى بها ابْنَ خُوَيْلِدٍ وقَدْ كُنْتَ مَكْفِيًّا لَوَ أَنَّكَ غائِبُ[1]

فلا قَوْمنا يَنْهَوْنَ عنّا غُواتَهُمْ و لا الدّاءُ مِنْ يوْمِ الغُمَيْصاءِ ذاهِبُ[2]

و قال غلام من بني جذيمة و هو يسوق بأمه و أختين له و هو هارب بهن من جيش خالد[3]: (من الرجز)

رَخّينَ أَذْيالَ المُروطِ وَ أَرْبَعْنَ مَشْيَ حَيّاتٍ كَأَنْ لَمْ يُفْزَعْنَ[4]

إِنْ تُمْنَعِ الَيْوَم نِساءٌ تُمْنَعْنْ

و قال غلمة من بني جذيمة يقال لهم بنو مساحق يرتجزون، حين سمعوا بخالد، فقال أحدهم[5]: (من الرجز)

قَدْ عَلِمَتْ صَفْراءُ بَيْضاءُ الإِطِلْ يحوزُها ذو ثَلّةٍ وَ ذو إِبِلْ[6]

لأُغْنِيَنَّ اليَوْمَ ما أَغْنى رَجُلْ

1 – الترة : العداوة، وطلب الثأر.

2 – الغواة : السفهاء، جمع غوي

3– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 112/4.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 62/4.

4 – المروط: جمع مرط، وهو كساء من خز، وقد يكون من غير خز في قول بعض أهل اللغة، وأربعن: أقمن على ذلك.

5 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 112/4–113.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 62/4–63.

6 – الإطل : بكسرة الهمزة والطاء، ومثله الأيطل: هي الخاصرة، والثلة : بفتح الثاء المثلثة: القطيع ن الغنم

و قال الآخر: (من الرجز)

قَـــدْ عَلِمَـــتْ صَـــفْراءُ تُلْهـــي العُرْســـا لا تَمْـــلأُ الحَيْـــزومَ مِنْهـــا نَهَسَـــا[1]

لأضْـــرِبَنَّ اليَـــوْمَ ضَـــرْبًا وَعْسَـــا ضَـــرْبَ المِحِلِّـــينَ مَخاضًـــا قُعْسَـــا[2]

و قال الآخر: (من الرجز)

أَقْسَـــمْتُ مـــا إنْ خـــادِرٌ ذُو لِبْـــدَهْ شَـــثْنُ البَنـــانِ في غَـــداةٍ بَـــرْدَهْ[3]

جَهْـــمُ المحَيَّـــا ذُو سِـــبالٍ وَرْدَهْ يُـــرْزِمُ بَـــيْنَ أَيْكَـــةٍ وَ جَحْـــدَهْ[4]

ضـــارٍ بِتَأْكَـــالِ الرِّجـــالِ وَحْـــدَهْ بِأَصْـــدَقَ الغَـــداةَ مِـــنّي نَجْـــدَهْ[5]

1- الحيزوم : أسفل عظام الصدر، وهو ما يقع عليه الحزام، وأراد به بطنها، والنهس: أكل اللحم بمقدم الأسنان، يريد أنها قليلة الأكل.

2 – ضربا وعسا: أي سريعا، والمواعسة: السرعة في الشيء، والمحلون: هم الذين خرجوا من الحرام إلى الحل، والمخاض: الابل الحوامل، والقعس: التي تتأخر وتأبى أن تمشي.

3- الخادر : هو الأسد الداخل في الخدر، والخدر : الأجمة التي يسكنها الأسد، وشثن : غليظ، والبنان: الأصابع، في غداة برده : أي بارد.

4 – جهم : أي عابس، والمحيا: هو الوجه، وقوله ذو سبال: يروى بالسين المهملة، والشين المعجمة، فأما من رواه بالمهملة فالسبال –بزنة كتاب– الشعر الذي حول فمه، وأما من رواه بالشين معجمة فهو جمع شبل، والشبل ولد الاسد، ويرزم : أي يصوت، والأيكة : الشجرة الكثيرة الأغصان والجحدة: القليلة الورق والأغصان.

5 – ضار : أي مسعور، والتأكال : الأكل، والنجدة : الشجاعة.

سرية خالد بن الوليد ليهدم العزى[1]:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن وليد[2] إلى العزى، وكانت بنخلة، وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها، وكانت سدنتها وحجابها؛ أي القائمين بأمر المعبد بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، فلمّا سمع صاحبها السلمي بمسير خالد إليها، علّق عليها سيفه، وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول[3]: (من الطويل)

أيـــا عُـــزَّ شُـــدّي شَـــدَّةً لا شَـــوَى لهـــا عَلـــى خالِـــدٍ، أَلقِـــي القنـــاعَ وشمِّـــري[4]

يـــا عُـــزَّ إنْ لمْ تَقْتُلـــي المِـــرْءَ خالِـــدًا فَبُـــوئي بـــإثْمٍ عاجِـــلٍ أوْ تَنَصَّـــري[5]

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مارأيت قال: لم أر شيئا، فأمره بالرجوع، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول[6]:

أيـــا عُـــزَّ كفرانـــك لا ســـبحانك إني رأيـــت الله قـــد أهانـــك

1 – انظر هذه السرية بتفصيل في :
– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 113/4.
– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 249/2.
– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 340/4-341.
– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 64/4.
2– خالد بن الوليد: سبق ترجمته في ص63.
3 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 113/4.
– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 340/4.
– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 64/4.
4 – لا شوى لها : يريد لا تبقي على شيء.
5 – بوئي : ارجعي، وقوله تنصري : يروى مكانه تنظري بالظاء المعجمة.
6–ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 340/4

سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة:[1]

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد[2] إلى أكيدر دومة، و هو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكا عليها، و كان نصرانيا، فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه من منظر العين، و في ليلة مقمرة صائفة، و هو على سطح له، و معه امرأته، فبات البقر تحك بقرونها القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال لا و الله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه، فأسرج له، و ركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ يقال له حسان، فركب و خرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأخذته، و قتلت أخاه؛ و قد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل قدومه.

كان من نتائج هذه السرية؛ تحرير دومة الجندل، والتي أصبحت خاضعة لنفوذ الدول العربية الإسلامية والتي كانت مركز انطلاق لتحرير بلاد الشام من السيطرة الرومانية، كما تم مصالحة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكيدر بن عبد الملك على دفع الجزية وكتب له بذلك كتابا[3].

فقال رجل من طيء يقال له بجير بن بجرة في ذلك[4]: (من الكامل)

تَبـــــارَكَ ســـــائِقُ البَقَـــــراتِ إنِّـــــي رَأَيْـــــتُ الله يَهْـــــدِي كُـــــلَّ هـــــادِ

فَـمَـنْ يَـكُ حـائِـدًا عَـنْ ذِي تَـــبُ فَإنّـــا قَـــدْ أُمِرْنـــا بِالجِهـــادِ

1- انظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 178/4.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 297/2.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 18/5-19.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 181/4-182.

2- خالد بن الوليد: سبق ترجمته في ص63.

3- محمود شاكر: موسوعة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص200.

4- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 178/4.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 19/5.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 182/4.

سرية أوطاس[1]:

كان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصري[2]، فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا بها، و سارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس[3]، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري[4] فقاتلوهم فغلبوهم، ثم سار رسول الله صلى الله عليه و سلم بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف، وفي هذه السرية قتل دريد بن الصمة[5].

1- تنظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 128/4-130.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 297/2.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 363/4-366.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 65/4-90.

2- مالك بن عوف: بن سعد بن يربوع النصري، من هوازان، صحابي، من أهل الطائف، كان رئيس المشركين يوم حنين، قاد هوازان كلها لحرب رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان من الجرارين، قال ابن حبيب: "و لم يكن الرجل يسمى جرارا حتى يرأس ألفا"، ثم أسلم، و كان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسية و فتح دمشق، و كان شاعرا، رفيع القدر في قومه، استعمله النبي صلى الله عليه و سلم عليهم. تنظر ترجمته في: الزركلي: الأعلام، 264/5.

3- أوطاس: -بفتح الهمزة و سكون الواو و بعدها طاء مهملة- قال ياقوت: "واد في ديار هوزان كانت فيه وقعة حنين للنبي صلى الله عليه وسلم ببني هوزان، و يومئذ قال النبي صلى الله عليه و سلم: حمى الوطيس، و ذلك حين استعرت الحرب، و هو صلى الله عليه و سلم أول من قالها". انظر: ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، 65/4.

4- أبوعامر الأشعري: عم أبي موسى، اسمه عبيدة بن سليم بن حصارة ذكره ابن قتيبة فيمن هاجر إلى الحبشة، فكأنه قدم قديما فأسلم، و ذكر أنه كان عمي ثم بصر، تنظر ترجمته في :ابن حجر، الأصابة، 210/7.

5- دريد بن الصمة : الجشمي البكري، من هوزان: شجاع ، من الأبطال ، الشعراء ، المعمرين في الجاهلية ، كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها .وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم ،فقتل على دين الجاهلية يوم حنين، وكانت هوزان خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمنا به، وهو أعمى، فلما انهزمت جموعها أدركه ربيعة بن رفيع السلمي فقتله. له أخبار كثيرة. والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث، تنظر ترجمته في: الزركلي ، الأعلام ،339/2.

فقالت عمرة بنت دريد[1] في قتل ربيعة دريدا[2]: (من الوافر)

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ ... بِبَطْنِ سُمَيْرَةٍ جَيْشَ العَنَاقِ[3]

جَزَى عَنَّا الإِلَهُ بَنِي سُلَيْمٍ ... وَ عَقَّتْهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقِ[4]

وَ أَسْقَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ ... دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلَاقِي

فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتُ عَنْهُمْ ... وَ قَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِي[5]

وَ رُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقْتَ مِنْهُمْ ... وَ أُخْرَى قَدْ فَكَكْتَ مِنَ الوِثَاقِ

وَ رُبَّ مُنَوِّهٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ ... أَجَبْتَ وَ قَدْ دَعَاكَ بِلَا رِمَاقِ[6]

فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقاً ... وَ هَمَّا مَاعَ مِنْهُ مُخُّ سَاقِي[7]

عَفَتْ آثَارُ خَيْلِكَ بَعْدَ أَيْنٍ ... بِذِي بَقَرٍ إِلَى فِيفِ النُّهَاقِ[8]

و قالت عمرة بنت دريد أيضا: (من البسيط)

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا ... فَظَلَّ دَمْعِي عَلَى السِّرْبَالِ مُنْحَدِرُ

لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الأَقْوَامَ كُلَّهُمُ ... رَأَتْ سُلَيْمٌ وَ كَعْبٌ كَيْفَ يَأْتَمِرُ

إِذَنْ لَصَبَّحَهُمْ غِبّاً وَ ظَاهِرَةً ... حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَاهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ[9]

1- عمرة بنت دريد: دريد سبق ترجمته. ص72.

2- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 128/4.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 364/4، لم يورد إلا القطعة الأخيرة.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 85/4-86.

3- سميرة: قال ياقوت: "كأنه تصغير سمرة، واد قرب حنين قتل فيه دريد بن الصمة"، و جيش العناق –بالعين المهملة و النون الموحدة–و أصل العناق– كسحاب الأنثى من أولاد المعز، و هي أيضا الداهية و الأمر الشديد فإن كان من الأول فالمراد أنها لم تخش عليه هذا الجيش و إن كان شديدا عظيما لأنها تعلم مقدار صبره في الحرب و شجاعته و ظفره بأعدائه، و قال أبو ذر: "جيش العناق تعنى به النجيبة"

4- عقاق: فعال كقطام من العقوق، و هو ضد البر، و استعنمال هذه الصيغة في هذا الموضع نادر.

5- التراقي: جمع ترقوة، و هي عظام الصدر.

6- المنوه: اسم فاعل من نوه –بتشديد الواو– إذا ناداك نداءا ظاهرا بأشهر أسمائك، و الرماق –بزنة كتاب و سحاب– بقية الحياة.

7- ماع: سال، و كل سائل مائع.

8- عفت: درست و تغيرت، و ذو بقر: موضع، و يروى ذو نفر –بالنون و الفاء–، و الفيف: القفر، و النهاق: موضع.

9- الغب: –بكسر الغين المعجمة و تشديد الباء– أنت ترد الإبل يوما و تدعه يوما، و الظاهرة: أن ترده كل يوم، و قد أرادت أنه يكثر عليهم الغارة فظربت ذلك مثلا، و الجحفل: الجيش الكثير، و ذو فر: كريه الريح من طول لبس السلاح، و هو بالذال المعجمة و بالدال المهملة أيضا، و بهما يروى.

و يزعمون أن سلمة بن دريد[1] هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم، فأصاب ركبته فقتله، فقال[2]: (من الرجز)

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَه ابْنَ سَمادِرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهُ[3]
أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمسْلِمَهْ

و خرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه، على ثنية من الطريق، و قال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم و تلحق أخراكم، فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس. فقال مالك بن عوف في ذلك[4]:

وَ لَوْلَا كَرَّتَانِ عَلَى مُحَاجٍ لَضَاقَ عَلَى العَضَارِيطِ الطَّرِيقُ[5]
وَ لَوْلَا كَرُّهُمَانَ بنِ نَصْرٍ لَدَى النَّخْلَاتِ مُنْدَفِعَ الشَّدِيقِ[6]
لآبَتْ جَعْفَرٌ وَ بَنُو هِلَالٍ خَزَايَا مُحْقِبِينَ عَلَى شُقُوقِ[7]

قال ابن اسحاق: و قال سلمة بن دريد و هو يسوق بامرأته حتى أعجزهم[8]: (من الكامل)

1- سلمة بن دريد: دريد سبق ترجمته في ص63 .
2- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 129/4.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 364/4.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 87/4.
3- سمادير ههنا: اسم أمه كما قال المؤلف. و لمن توسمه: أي لمن نظر إليه و أراد أن يستدل إليه.
4- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 129/4.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 87/4-88.
5- محاج: اسم فرسه، و العضاريط: الأتباع، و وقع في بعض النسخ الأضاريط.
6- الشديق: اسم موضع.
7- خزايا: جمع خزايان، و محقبين: تروى هذه الكلمة بثلاث روايات هذه إحداها، و المراد مردفين بمن انهزم منهم، و الرواية الثانية محمقين و هو من الحمق، و يقال: أحمقت خيل الرجل، إذا لم تنجب، و الرواية الثالثة مجلبين و المراد بها مجتمعون، و قوله على شقوق أراد على مشقة.
8- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 129/4.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 364/4.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 89/4.

نَسَّـــيْتِنِي مَـــا كُنْـــتِ غَيْـــرَ مُصَـــابَةٍ وَ لَقَـــدْ عَرَفْـــتِ غَـــدَاةَ نَعْـــفِ الأَضْـــرُبِ[1]
أَنِّي مَنَعْتُـــــكِ وَ الرُّكُـــــوبُ مُحَبَّـــــبٌ وَ مَشَـــيْتُ خَلْفَـــكِ مِثْـــلَ مَشْـــيِ الأَنْكَـــبِ[2]
إِذْ فَـــرَّ كُـــلُّ مُهَـــذَّبٍ ذِي لَمَّـــةٍ عَـــنْ أُمِّـــهِ وَ خَلِيلِـــهِ لَمْ يُعْقِـــبِ[3]

و رمى أبا عامر؛ إخوان العلاء و أوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبته فقتله، وولى الناس أبا موسى الأشعري[4]، فحمل عليهما فقتلهما، فقال رجل من بني جشم يرثيهما[5]: (من المتقارب)

إِنَّ الرَزِيَّـــــةَ قَتْـــــلُ العَـــــلَا ءِ وَ أَوْفَ جَمِيعـــــاً وَ لَمْ يشـــــهدا
هُمُـــا القَـــاتِلَانِ أَبَـــا عَـــامِرٍ وَ قَـــدْ كَـــانَ دَاهِيَـــةً أَرْبَـــدَا[6]
هُمُـــا تَرَكَـــاهُ لَـــدَى مَعْـــرَكٍ كَـــأَنَّ عَلَـــى عِطْفِـــهِ مُجْســـدَا[7]
فَـــلَـــمْ يَـــرَ فـــي النَّاسِ مِثْلَيْهِما أَقَـــلَّ عِـــثَـــاراً وَ أَرْمَـــى يَـــدَا

1- النعف: أسفل الجبل، و الأضرب: يحتمل أن يكون اسم موضع، و أن يكون جمع ضرب، و هو الجبل الصغير.
2- الأنكب: المائل إلى الجهة.
3- المهذب: الخالص من العيوب، أو هو المسرع، و خليله هو صاحبه، و يروى "و خليلة" بتاء التأنيث، و هي الزوجة، و قوله: "لم يعقب" أي لم يرجع.
4- أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، مشهور باسمه و كنيته معا، و أمه ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت و ماتت بالمدينة، استعمله النبي صلى الله عليه و سلم على بعض اليمن كزبيد، و عدن و أعمالهما، و استعمله عمر على البصرة بعد المغيرة، فافتتح الأهواز ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين. تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة، 4/181-182.
5- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/130.
- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/365.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 4/90.
6- ذاهبة: يريد سيفا، و هبة السيف –بفتح الهاء و تشديد الياء- اهتزازه و وقع في بعض النسخ "و قد كان داهية"، و الأربد: الذي فيه طرائق.
7- المعرك: موضع العراك، و هو الحرب، و المجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران، يريد أن دمه سال حتى صبغ ثوبه.

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح[1]:

في هذه السرية بعث النبي صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي[2]، و معه بضعة عشر رجلا إلى بني الملوح، و هم قوم من العرب كانوا يسكنون بالكديد و كانوا يسيئون إلى المسلمين .

خرج غالب و صحبه لأداء ما كلفه به رسول الله – صلى الله عليه و سلم – و في الطريق التقى بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء، و كان الحارث خصا لدودا للمسلمين ، فأسره غالب و رفاقه.

ثم تابع غالب و صحبه سيرهم فوصلوا إلى ديار القوم عند غروب الشمس ، و مع مطلع الفجر شنوا عليهم الغارة فقتلوا عددا منهم و استاقوا ماشيتهم و قفلوا راجعين.

قال ابن اسحاق: و حدثني رجل من أسلم عن رجل منهم أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة "أمت أمت" فقال راجز من المسلمين و هو يحدوها[3]:

أَبَـــى أَبُـــو القَـــاسِـــمِ أَنْ تَـــعَـــزَّبَـــي فـــي خَـــضِـــلٍ نَـــبـاتُـــهُ مُـغْـلَوْلِـــــــبِ[4]

صُـــــفْرٍ أَعَاليـــــهِ كَلَـــــوْنِ المـــــذْهَبِ

قال ابن هشام و يروى "كلون الذَّهب".

---

1 ينظر هذه السرية بتفصيل في:

– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 234/4.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 205/2–206.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 282/4–284.

2– غالب بن عبد الله الليثي: غالب ابن عبد الله بن مسعر بن جعفر بن كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة الكلبي ثم الليثي، بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم، سرية إلى الكديد إلى بني الملوح و هم من بني ليث، و أمره أن يغير عليهم ففعل، و ظفره الله بهم. تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة، 242/5–244، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، 122/5.

3– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 234.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 284/4.

4 تعربي: تروى براء المهملة و بالزاي ، فأما من رواه بالراء المهملة فمعناه أن تتردى المرة بعد المرة ، تقول: عربت عليه القول إذا رددته ، و أما من رواه بالزاي فمعناه أن تقيمي في المرأة، تقول : تعزب في المرعى ، إذا أقام فيه ولم يرجع لأله ، الخضل : النبات الأخضر المبتل ،و المغلولب: الكثير الذي يغلب الماشية ، و البيت خطاب للنعم التي استاقوها

سريّة زيد بن حارثة إلى جذام[1]:

كان السبب فيها أن دحية الكلبي[2] "رضي الله عنه" كان قادم من بلاد الروم، و معه تجارة له و هدايا أهداها إليه قيصر ملك الروم، فلقيه في الطريق الهنيدي بن عارض و ابنه في ناس من جذام عند جسمى، فاستلبوا منه كل شيء كان معه، فسمع بذالك نفر من بني الضبيب و هم رهط رفاعة بني زيد الجذامي فأعادوا لدحية متاعه، و كان رفاعة قد أسلم.

و بعد أن عاد دحية إلى المدينة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث له من الهنيدي و أشياعه فغضب عليه الصلاة و السلام ، و بعث زيد ابن حارثة في خمسمائة رجل من بينهم دحية ، فكان زيد و من معه يسرون ليلا و يكمنون نهارا ، و كان معهم دليل من بني عدرة لكي يدلهم على منازل القوم.

وصل زيد و من معه مع الفجر فشنوا الغارة عليهم، و قتلوا الهنيدة و ابنه، و أخذو ماشيتهم و اسروا النساء و الصبيان.

وقال في هذا اليوم رفاعة بن زيد[3]:

هَـــلْ أَنْـــتَ حَـــيٌّ أَوْ تُنـــادِي حَيَّـــا

1 ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/235-236.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 4/285-290.

2- دحية الكلبي: ابن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضائى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى، ليوصله إلى هرقل أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها ، وكان يشبه بجبريل، بقي إلى زمن معاوية، تنظر ترجمته في:الذهبي: سير أعلام النبلاء، 3/276-277.

3- رفاعة بن زيد: رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية قبل خيبرفأسلم وحسن إسلامه وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما، تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة، 2/408.

و قال ابو جعال[1] حين فرغوا من شأنهم[2]: (من الطويل)

وَعاذِلَـــــةٍ وَلْمْ تَعْـــــذِلْ بِطِـــــبٍّ ... وَلَـــوْلا نَحْـــنُ حُـــشَّ بِهـــا السَّـــعيرُ[3]

تُـــــدافِعُ في الأَســـــارَى بِابْنَتَيْهـــــا ... وَلا يُرْجَـــــى لهـــــا عِتْـــــقٌ يَســـــيرُ

وَلَـــــوْ وُكِّلَـــــتْ إلى عُـــــوصٍ وَأَوْسٍ ... لحـــــارَ بهـــــا عَـــــنِ العِتْـــــقِ الأمـــــورُ[4]

وَلَـــــوْ شَـــــهِدَتْ رَكائِبَنـــــا بِمِصْـــــرٍ ... تُحـــــاذِرُ أَنْ يُعَـــــلَّ بهـــــا المسِـــــيرُ[5]

وَرَدْنـــــا مـــــاءَ يَثْـــــرِبَ عَـــــنْ حِفـــــاظٍ ... لِرَبْـــــعٍ إنَّـــــهُ قَـــــرَبٌ ضَـــــريرُ[6]

بِكُـــــلِّ مُجَـــــرَّبٍ كالسَّـــــيِّدِ نَهْـــــدٍ ... عَلـــــى أَقْتـــــادِ ناجِيَـــــةٍ صَـــــبُورِ[7]

فِـــــدًى لأبي سُـــــلَيْمى كُـــــلُّ جِـــــبْسٍ ... بِيَثْـــــرِبَ إذْ تَناطَحَـــــتِ النُّحـــــورُ[8]

غَـــــداةَ تَـــــرَى المجَـــــرِّبَ مُسْـــــتَكينًا ... خِـــــلافَ القَـــــوْمِ هامَتُـــــهُ تَـــــدُورُ

قال ابن هشام : قوله " ولا يرجى لها عتق يسير" وقوله " عن العتق الأمور" عن غير ابن اسحاق.

1- أبو جعال: ذكره الأموي في المغازي، عن ابن اسحاق في من وفد على النبي صلى الله عليه و سلم من ضمام يطلبون سبيهم الذين سباهم زيد بن حارثة و أنشد له في ذلك شعرا، تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة، 55/7.

2- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، ص236/4.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 289/4-290.

3- العاذلة: اللائمة، و الطب هنا: الرفق، و قوله "حش" بالبناء للمجهول أي أوقد، نقول: حششت النار إذا أوقدتها، و السعير: تلهب النار.

4- لحاربها: معنى حار هنا رجع، و منه قوله تعالى: "إنه ظن أن لن يحور"

5- يعل: يكرر، و أصل العل ما يقابل النهل، و النهل: الشرب أول مرة، و العل الشرب ثانيا.

6- الحفاظ: -بزنة كتاب- الغضب، و الربع: أن ترد الإبل الماء لأربعة أيام، و القرب: السير في طلب الماء، و ضرير: ههنا بمعنى ضار، فعيل بمعنى فاعل.

7- السيد: -بكسر السين- الذئب، و نهد: -بفتح فسكون- أي غليظ، و الأقتاد: أداة الرجل، و الناجية: السريعة، و أراد بها ناقة، و صبور: تروى هذه الكلمة بالضاد المعجمة، و تروى بالصاد المهملة، فأما من رواها بالمعجمة فأراد أنها موثقة الخلق، و هو من أوصاف الناجية، ففي البيت إقواء، وأما من رواها بالمهملة فهو صيغة مبالغة من الصبر.

8- الجبس: -بالجيم و الباء و السين المهملة- الجبان اللئيم، و النحور: الصدور.

سرية زيد بن حارثة بني فزارة ومصاب أم قرفة[1]:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة[2] على رأس عدد من أصحابه لتأديب بني فزارة، لأنهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه، فلما وصل زيد المدينة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان معهم، فأرسله ليقتص منهم وكانوا يقيمون في وادي القرى.

وقد استطاع زيد ومن معه أن ينتصروا على أعدائهم، وأن يقتلوا عددا كبيرا منهم وأن يأسروا بعض زعمائهم، وكانت من بين الأسرى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر وبنت لها، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة، فقتلها قتلا عنيفا، ثم قدموا على رسول الله بابنة أم قرفة، وكانت في بيت شرف من قومها.

فقال قيس بن المسحر[3] في قتل مسعدة[4]: (من الطويل)

سَعَيْتُ بِوَرْدٍ مِثْلَ سَعْيِ ابْنِ أُمِّهِ ... وَإِنِّي بِوَرْدٍ فِي الحَيَاةِ لَثَائِرُ[5]

كَرَرْتُ عَلَيْهِ المِهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ ... عَلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغَاوِرِ[6]

فَرَكَّبْتُ فِيهِ قَعْضَبِيًّا كَأَنَّهُ ... شِهَابٌ بِمِعْرَاةٍ يُذَكَّى لِنَاظِرِ[7]

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 237/4.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 156/2-157.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 290/4-292.

2- زيد بن حارثة سبق ترجمته في ص29.

3 - قيس بن المسحر: سبق ترجمته في ص57.

4 - السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 237.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 291/4-292.

5 - ورد : يجوز أن يكون اسم فرسه، ويجوز أن يكون وصفا، تقول فرس ورد : إذا كان بين الكميت والأشقر، وثائر : آخذ بالثأر.

6- على بطل : هذا بدل من قوله في أول البيت "عليه"، والبطل : الشجاع، والمغاور : الكثير الغارة على الأعداء.

7- القعضبي: السنان، منسوب إلى قعضب، بزنة جعفر، وهو رجل كان يصنع الأسنة، والمعراة: الموضع الذي لا يستره شيء، وهي بفتح الميم وسكون العين المهملة، ويذكى: يوقد.

سريّة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي[1]:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس[2] رضي الله عنه لقتل واحد من أشد العرب وشياطينها، يدعى خالد بن سفيان الهذلي، لأن معلومات وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يحشد عددا كبيرا من الأحابيش والأعراب ليغزو بهم المدينة، مع إظهار العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهجائه وشتمه، وعلى هذا الأساس استدعى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس وكلفه بهذه المهمة، فقام بها على أحسن وجه، حيث أمكنه الله منه فقتله.

قال ابن هشام: و قال عبد الله بن أنيس في ذلك[3]: (من الطويل)

تَرَكْـــتُ ابْـــنَ ثَـــوْرٍ كَـــالحُوارِ وَ حَولَـــهُ ... نَـــوائِحُ تَفْـــري كُـــلَّ جَيْـــبٍ مُقَـــدَّدِ[4]

تَناوَلْتُـــهُ وَ الظُّعْـــنُ خَلْفـــي وَ خَلْفَـــهُ ... بِـــأَبْيَضَ مِـــنْ مـــاءِ الحديـــدِ مُهَنَّـــدِ[5]

عَجُـــومِ لِهـــامِ الـــدّارِعينَ كَأَنَّـــهُ ... شِـــهابُ غَضًـــا مِـــنْ مُلْهَـــبٍ مُتَوَقِّـــدِ[6]

أقـــولُ لـــهُ و السَّـــيْفُ يَعْجُـــمُ رَأْسَـــهُ ... أنـــا ابْـــنُ أُنَـــيْسٍ فارِسًـــا غَيْـــرَ قُعْـــدَدِ[7]

أنـا ابـنُ الَّـذي لَمْ يُـنْـزِلِ الـدَّهْـرُ قِـدْرَهُ ... رَحيـــبُ فِنـــاءِ الـــدَّار غَيْـــرُ مُزَنَّـــدِ[8]

---

1 – ينظر هذه السرية بتفصيل في:

– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 238.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/59-61.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/152-153.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 4/293-296.

2– عبد الله بن أنيس: بن حرام أبو يحي الجهني ، صحابي مشهور، كبير القدر، كان فيمن شهد العقبة، وشهد ةأحدا والخندق، و ما بعد ذلك، وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور ،وقيل توفي سنة أربع وخمسين والله أعلم ، انظر ترجمته : ابن كثير : البداية والنهاية ،4/153.

3 – السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 238.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/60.

– ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/153.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 4/295-296.

4 – الحوار : ولد الناقة ذا كان صغيرا، وتفري : تقطع.

5 – بأبيض : يريد به سيف، والمهند : المنسوب إلى الهند.

6 – عجوم : هو من صاف الأبيض، وهذه صيغة مبالغة من عجم، والغض : وهو العض وزنا ومعنى، والهام هاهنا : الرؤوس، والشهاب: القطعة من النار، والغضى : شجر يشتد التهاب النار فيه.

7 – القعدد : اللئيم الدنيء القاعد عن ... والمكارم

8 – رحيب : متسع، وأصله من الرحب وهو الفضاء، والمزند : الضيق البخيل.

وَ قُلْتُ لَهُ خُذْها بِضَرْبَةِ ماجِدٍ حَنيفٍ على دين النَبِيِّ مُحَمَّدِ[1]
وَ كُنْتُ إذا هَمَّ النَبِيُّ بكافِرٍ سَبَقْتُ إليهِ باللِّسانِ وَ اليَدِ

سريّة عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم[2]:

كان من حديث هذه السرية أن رسول الله بعث إليهم عيينة بن حصن[3]، في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، فكان يسير اليل ويكمن النهار ، حتى أغار عليهم، فأصاب منهم أناسا وسبى منهم أناسا، قال ابن اسحاق : فلما قدم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفد من بني تميم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، فأعتق بعضا وأفدى بعضا.

فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عتاب[4]:[5] (من الطويل)

لَعَمْري لَقَدْ لاقَتْ عَدِيُّ بْنُ جُنْدبٍ مِنَ الشَّرِّ مَهْواةً شَديدًا كَؤُدُها[6]
تَكَنَّفَها الأَعْداءُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ وَغُيِّبَ عَنْها عِزُّها وَ جُدودُها[7]

1 – الماجد : الشريف، والحنيف هنا : الذي نزع عن الشرك إلى دين الإسلام.

2– ينظر هذه السرية بتفصيل في:

– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق،238/4.

– ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 273/2-276.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 296/4-298.

3– عيينة بن حصن: بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية ابن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري، ابو مالك، يقال: كان اسمه حذيفة فلقب عيينة، لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه، أسلم قبل الفتح، وشهدها، وشهد حنينا، والطائف، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني تميم فسبى بعض بني العنبر، ثم كان ممن ارتد في عهد أبي بكر، ومال إلى طلحة، فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه ، تنظر ترجمته في: ابن حجر: الاصابة638/4-641، الذهبي: سير أعلام النبلاء، 173/2.

4 – سلمى بنت عتاب:شاعرة من شواعر العرب ذكرها ابن هشام.

5– السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 239.

– ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 297/4.

6 – المهواة الكؤود : المكان المنخفض الشديد الانحدار.

7 – تكنف الشيء : أحاط به، وتكنفها الأعداء : أحاطوا بيها من كل جانب، أي تكاثروا عليها.

و ذكر ابن اسحاق ما وقع بين الزبرقان بن بدر[1] و حسان بن ثابت من المفاخرة نظما فأنشد الزبرقان[2]:

(من البسيط)

نَحْنُ الكِرَامُ فلا حَيَّ يُعَادلنا ... منا الملوك و فينا تنصب البِيَعُ[3]

و كم قسرنا من الأحياء كلِّهمُ ... عند النِّهَابِ و فضلُ العزِّ يُتَّبَعُ[4]

و نحنُ يُطعم عندنا القحط مُطعمُنَا ... من الشِّواء إذا لم يُؤنسِ القزعُ[5]

أما ترى الناسَ يأتينا سَراتُهم ... من كلِّ أرضٍ هُوِيّاً ثم نصطنعُ[6]

فننحرَ الكُومَ عُبْطاً في أرومتنا ... للنازلينَ إذا ما أُنزلوا شَبعوا[7]

فلا ترانا إلى حيٍّ نُفاخرُهم ... إلا استقادُوا فكانوا الرأسَ يُقتطعُ[8]

فمنْ يُفَاخرنا في ذاك نعرفه ... فيرجعُ القومُ و الأخبار تُستمعُ

إنَّا أبينا و لا يأبى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخر نرتفعُ

1- الزبرقان بن بدر: بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم بن مر التيمي السعدي. يقال كان اسمه الحصين ، ولقب الزبرقان لحسن وجهه ، وهو من أسماء القمر، وقيل : إنما قيل له ذلك لأنه لبس عمامة مزبرقة بالزعفران .وقيل : كان اسمه القمر، وكان سيدا في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم ،فأسلموا ، وأحسن جوائزهم تنظر ترجمته في ابن حجر :الإصابة، 2/454-455.وابن الأثير:أسد الغابة 405-406

2- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/273-275.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، مصدر سابق، ص301-307. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

3- البِيَعُ: جمع بيعة، بكسر الباء، مواضع الصلوات و العبادات. و عند البرقوقي: يقسم الربع، كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، و ذلك الربع يسمى المرباع.

4- النهاب: جمع نهب، و النهب الغنيمة.

5- القزع: فالقزع ههنا الغيم إذا لم ير المطر و ذلك آية القحط.

6- هُوِيّاً: سراعاً.

7- الكوم: جمع كوم و كوماء، و بعير أكوم عظيم السنام طويلة و ناقة كوماء ضخمة السنام و أصل الكوم العظم في كل شيء قد غلب على السنام سنام أكوم عظيم و قوله عبطا: أي ننحرها من غير علة بها و لا كسر و الأرومة الأصل.

8- استقادوا: أي أعطوا مقادتهم أي سلموا لنا.

و أنشد لحسان مجيبا له[1]: (من البسيط)

إنَّ الـــذوائبَ مـــن فهـــرٍ و إخـــوتِهم ... قـــد بيَّنـــوا سُـــنّة للنـــاس تُتَّبَـــعُ[2]

يرضـــى بهـــم كـــلُّ مـــن كانـــت ســـريرتُه ... تقـــوى الإلـــه، و كـــلُ الخـــير يُصـــطنعُ[3]

قـــومٌ إذا حـــاربوا ضـــرُّوا عـــدوَّهم ... أو حـــاولوا النفـــع في أشـــياعِهم نفعُـــوا[4]

ســـجيةٌ تلـــك مـــنهم غـــيرُ محدثـــةٍ ... إنَّ الخلائـــقَ –فـــاعلم- شـــرُّها البـــدعُ[5]

إن كـــان في النـــاس ســـبَّاقونَ بعـــدَهم ... فكـــلُّ سَـــبْقٍ لأدنى سَـــبْقِهم تبـــعُ

لا يرفـــعُ النـــاسُ مـــا أوهـــت أكفُّهـــم ... عنـــد الـــدفاع، و لا يُوهـــون مـــا رَفعـــوا

إن ســـابقوا النَّـــاسَ يومـــاً فـــاز ســـبقُهم ... أو وَازنـــوا أهـــلَ مجـــدٍ بالنَّـــدَى مَتعـــوا

أعفـــةٌ ذُكـــرتْ في الـــوحي عِفّـــتُهم ... لا يَطبعـــون، و لا يُـــرديهم طَمَـــعُ[6]

لا يَبخلـــون علـــى جـــار بفضـــلهم ... و لا يَمسُّـــهم مـــن مطمـــعٍ طَبَـــعُ[7]

إذا نصَـــبنا لحـــيٍّ لم نَـــدِبَّ لـــه ... كمـــا يَـــدِبُّ إلى الوحشـــية الـــذَّرَعُ[8]

نســـمو إذا الحـــربُ نالتنَـــا مَخالبُهـــا ... إذا الزعـــانفُ مـــن أظفارهـــا خَشَـــعوا[9]

لا يفخـــرونَ إذا نـــالوا عـــدوَّهمُ ... و إن أصـــيبوا فـــلا خـــورٌ و لا هُلُـــعُ

كـــأنهم في الـــوغى و المـــوتُ مكتنـــعٌ ... أُسْـــدٌ بحليـــةَ في أرســـاغِها فَـــدَعُ[10]

1- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/273-275.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، مصدر سابق، ص301-307. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

2- الذوائب: الأعالي و المراد هنا السادة، و فهر أصل قريش و هو فهر بن غالب بن النضر بن كنانة و قريش كلهم ينسبون إليه و لعله يريد بأخوة فهر الأنصار و بالذوائب من فهر المهاجرين و لك أن تجعل و اخوتهم عطفا على الذوائب و المراد باخوتهم الأنصار.

3- السريرة: كالسر و السر ما أخفيت، و قال الليث السر ما أسررت به، و السريرة عمل السر من خير أو شر

4- حاولوا: راموا و طلبوا، الأشياع: جمع شيعة و هي الأنصار و الأتباع، تقع على الواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث.

5- سجية: الغريزة و ما جبل عليه الانسان، الخلائق: جمع خليقة و هي الطبيعة هنا، البدع: جمع بدعة و المراد بها ههنا مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها.

6- أعفة: جمع عفيف و تقول رجل عف و عفيف و الأنثى عفيفة و عفة و العفة الكف عن ما لا يحل و يجمل، لا يطبعون: أي لا يفعلون ما يدنسهم، لا يرديهم الطمع: لا يطمعون طمعا يؤدي بهم إلى الهلاك.

7- طَبَع: الطبع: الدنس، و هو من باب فرِح، و في جميع النسخ و المطبوع اضطراب في البيتين، و التصحيح من السيرة النبوية لابن هشام.

8- يقول إذا حاربنا قوما لم نخاتلهم كما تختل الوحشية، لا ندب لهم: من الدبيب، و الذرع: كل ما استترت به من بعير أو غيره حتى تدنو من الوحشية فترميها أو تضربها، و الذريعة مثل الدريئة: جمل يختل به الصيد يمشي الصياد إلى جنبه فيستتر به و يرمي الصيد إذا أمكنه و ذلك الجمل يسيب أولا مع الوحش حتى تألفه.

9- الزعانف: سفلة الناس و من لا خير فيهم.

10- مكتنع: دان، و حلية: مأسدة باليمن، و الفَدَع: اعوجاج الرسغ من اليد و الرجل، و هو في الأسود محمود؛ لأنه يدل على قوتها و تمكنها في مشيها.

خذ منهم ما أتى عفواً إذا غضبوا و لا يكن همُّكَ الأمرُ الذي منعوا
فإنَّ في حربهم –فاتركْ عداوتَهم– شراً يُخاض عليه السُّم و السَلَعُ[1]
أكرمْ بقومِ رسولُ الله شِيعتُهم إذا تفاوتتِ الأهواءُ و الشِّيَعُ[2]
أهدي لهم مِدحتي قلبٌ يُؤازرُه فيما أُحِبُّ لسانٌ حَائِك صَنَعُ[3]
فإنَّهم أفضلُ الأحياء كلِّهمُ إن جدَّ بالنَّاسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[4]

سرية عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب[5]:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري[6]، بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان ابن حرب[7]، وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري ، ولما وصلا مكة، طافا بالبيت ليلا، فانكشق أمرهما، واشتدت قريش في طلبهما ، وكانوا يخافون من عمرو لأنه كان فاتكا في الجاهلية وقالوا : لم يأت بخير، وقد هرب وصاحبه فصعدا للجبل ، واختبيا في الكهف ، وفي الصباح رأيا رجلا من قريش يقود فرسا وهما بالغار، فخرج عمرو له بالخنجر الذي أعده لأبي سفيان، فصربه على يده ، وصاح الرجل صيحة جمعت من مكة الرجال ، وقد وجدوه برمقه الأخير ، وقد علموا منه أن من ضربه هو عمرو ، فاشتدوا في طلبه

1- فاترك عداوتهم: جملة معترضة بين قوله في حربهم هو خبر إن مقدم و بين شرا و هو اسمها مؤخر، و السام: عند البرقوقي: الصاب و السلع ظربان من الشجر.

2- شيعتهم: ناصرهم. فقد تقدم أن الشيعة يقع على الواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث بلفظ واحد.

3- صنع: أي صانع حاذق.

4- شمعوا، أي لم يجدوا و الشمع و الشموع و الشماع و الشماعة و المشمعة الطرب و الضحك و المزاح و اللعب.

5- ينظر هذه السرية بتفصيل في:

- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 243.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 2/158-159.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 4/76-78.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 4/310-312.

6- عمرو بن أمية الضمري: عمرو بن أمية الضمري ابن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشزة بن كعب بن جدي بن ضمرة الضمري، أبو أمية، شهد مع المشركين بدرا وأحدا ، أسلم حين انصرف المشركون عن أحد، وكان شجاعا مقداما ،بعثه رسول الله سرية واحدة، وبعثه رسولا إلى النجاشي، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم وروى أحاديث، توفي زمن معاوية رصي الله عنه بالمدينة، تنظر ترجمته في :ابن حجر: الإصابة 4/496، والذهبي : سير أعلام النبلاء3، /411-412.

7- أبو سفيان: سبقت ترجمته في ص 29.

مجددا ، فخرج عمرو وصاحبه ليلا من مكة يريدان المدينة ، فمرا بالحرس الذين يحرسون خشبة خبيب بن عدي فقال أحدهم: لولا أن عمرو بالمدينة لقلت إنهذا الماشي ، يقول عمرو : فلما حاذيت الخشبة شددت عليها فحملتها واشتديت أنا وصاحبي فخرجوا وراءنا، فألقيت الخشبة فغيبه الله عنهم ، ولما أتعبهما المسير دخلا كهفا ،فقال عمرو : فبينا أنا فيه ، إذ ذخل على شيخ من بني الديل أعور ، في غنيمة له ، فقال : من الرجل ؟فقلت من بني بكر، فقلت: مرحبا، فاضطجع، ثم رفع عقيرته فقال[1]: (من الوافر)

وَ لَسْـــتُ بمُسْـــلِمٍ مـــا دُمْـــتُ حَيًّـــا وَ لا دانٍ بـــــــــدينِ المُـــــــــسْلِمينا

فقلت في نفسي: ستعلم، فأمهلته، حتى إذا نام أخذت قوسي، فجعلت سيتها في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم.

1- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 243.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 159/2.

- ابن كثير: البداية و النهاية، مصدر سابق، 76/4-78.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 311/4.

سريّة سالم بن عمير لقتل أبي عفك:[1]

قال ابن اسحاق: و غزوة سالم بن عمير[2] و هو أحد البكائين أبا عفك[3] أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عبيدة، و كان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحارث بن سوي بن صامت، فقال:[4]

(من المتقارب)

لَقَـــدْ عِشْـــتُ دَهْـــرًا وَ مـــا إنْ أَرَى ... مِـــنَ النّـــاسِ دارًا وَ لا مَجْمَعـــا
أَبَـــرَّ عُهـــودًا وَ أَوْفى لِمَـــنْ ... يُعاقِـــدُ فـــيهِمْ إذا مـــا دَعـــا
مِـــنْ أَولادِ قَيْلَـــةَ في جَمْعِهِـــمْ ... يَهُـــدُّ الجِبـــالَ وَ لَـــنْ يَخْضَـــعا
فَصَـــدَّعَهُمْ راكِـــبٌ جـــاءَهُمْ ... حَـــلالٌ حَـــرامٌ لَشَـــتَّى مَعـــا
فَلَـــوْ أَنَّ بـــالعِزِّ صَـــدَّقْتُمْ ... أَوِ المُلْـــكِ تـــابَعْتُمُ تُبَّعـــا

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من لي بهذا الخبيث"؟ فخرج سالم بن عمير أخو بني عمرو بن عوف، و هو أحد البكائين، فقتله، فقالت أمامة المزيرية[5] في ذلك[6]: (من الطويل)

تُكَـــذِّبُ ديـــنَ اللهِ وَ المَـــرْءَ أَحْمَـــدا ... لَعَمْـــرُ الّـــذي أَمْنـــاكَ أَنْ بِـــئْسَ مـــا يُمْـــني
حَـــباكَ حَـــنيـــفٌ آخـــرَ اللَّيْـــلِ طَعْـــنَـــةً ... أبـــا عَـــفَـــكٍ خُـــذْهـــا عـــلى كِبَـــرِ السِّـــنِّ

1- ينظر هذه السرية بتفصيل في:
- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 244.
- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 442/1-443.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 4/-312-313.

2- سالم بن عمير : ويقال ابن عمرو، ويقال بن عبد بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة، ويقال في نسب جده ثابت بن كلفة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي، شهد بدرا ومابعدها، ومات في خلافة معاوية، تنظر ترجمته في: ابن حجر: الإصابة، 8/3-9.

3- أبو عفك :

4- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، ص244/4.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 313/4.

5- أمامة المزيرية: أمامة الربذية ذكر لها ابن هشام شعرا في مقتل أبي عفك المنافق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تنظر ترجمته في ابن حجر: الإصابة ،238/4.

6- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 4/ 244.
- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 443/1.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 313/4.

سرية عمير بن عدي الخطمي لعصماء بنت مروان:[1]

كانت سرية عمير بن عدي الخطمي[2] لقتل عصماء بنت مروان، و هي من بني أمية بن زيد، فلما قتل أبو عفك نافقت، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، قال: و كانت تحت رجل من بني خطمة يقال له يزيد بن زيد، فقالت تعيب الإسلام و أهله فأمر النبي صلى الله عليه و سلم بقتلها[3]: (من المتقارب)

بِاسْتِ بَنِي مالِكٍ و النَّبيتِ ... وَ عَوْفٍ وَ بِاسْتِ بَنِي الخَزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أتاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ ... فَلا مِنْ مُرادٍ وَ لا مَذْحِجِ
تُرَجُّونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤوسِ ... كَما يُرْتجى مَرَقُ المُنْضِجِ
أَلا أَنِفٌ يَبْتَغي غِرَّةً ... فَيَقْطَعَ مِنْ أَمَلِ المِرْتَجي[4]

قال: فأجابها حسّان بن ثابت[5]، فقال:[6] (من المتقارب)

بَنُو وَائِلٍ وَ بَنُو واقِفٍ ... وَ خَطْمَةَ دُونَ بَنِي الخَزْرَجِ
مَتى ما دَعَتْ سَفَهًا وَيْحَها ... بِعَوْلَتِها وَ المنايا تَجي
فَهَزَّتْ فَتًى ماجِدًا عِرْقُهُ ... كَريمَ المَداخِلِ وَ المخْرَجِ[7]
فَضَرَّجَها مِنْ نَجيعِ الدِّمَا ... ءِ بَعْدَ الهُدُوِّ فَلَمْ يَحْرَجِ

1- انظر هذه السرية بتفصيل في:
- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، ص244/4-245.
- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، مصدر سابق، 441/1-442.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 313/4-314.

2- عمير بن عدي الخطمي: عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة، كان أبوه شاعرا، وأخوه الحارث بن عدي قتل بأحد ،وهو الأنصاري الخطمي، وهو البصير الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزوره في بني واقف، ولم يشهد بدرالضرارته، كان أول من أسلم من بني خطمة ، مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، تنظر ترجمته: ابن حجر: الا صابة،598/4-600.

3- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، ص244/4.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 314/4.

4- الأنف: المترفع، غرة: غفلة، أي أليس من بينكم أنف يرفض حكم الغريب لقومه فيقتله غيلة و يقطع رجاء من يرتجون وجوده بينكم (أي المهاجرين) ليسودوا عليكم.

5- حسان بن ثابت: سبق ترجمته في ص30.

6- السهيلي: الروض الأنف، مصدر سابق، 244/4.
- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، مصدر سابق، 314/4.

7- فهزت: أثارت بفعلها و قولها، كريم المداخل و المخارج: كريم النسب و الفعال.

الفصل الثاني:

الجانب الموضوعاتي في شعر السرايا

- شعر السرايا و علاقته بالحرب
- أغراض شعر السرايا

المبحث الأول: شعر السرايا

و علاقته بالحرب

- الشعر و موقف الإسلام منه
- مفهوم السرايا
- أهداف السرايا
- مواكبة شعر السرايا للحرب

المبحث الأول: شعر السرايا و علاقته بالحرب

1- الشعر و موقف الإسلام منه:

بعث النبي صلى الله عليه و سلم في بيئة كان للكلمة وزنها، و للشعر حضوره و قيمته، فالشعر مرآة صافية تنعكس على صفحاتها حياة الأمة -سياسيا و اجتماعيا وثقافيا- مجليا آمالهم و آلامهم، فهو ديوان العرب يسجلون به تاريخهم و قيمهم، و عن مكانة الشعر عند العرب يقول ابن سلام: "و كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم، و منتهى حكمهم، به يأخذون، و إليه يصيرون"[1]، و يعد من أشرف الكلام عند العرب وأقدسه، يقول ابن خلدون: "اعلم أن فن الشعر بين العلوم كان شريفا عند العرب، و لذلك جعلوه ديوان علومهم و أخبارهم، و شاهد صوابهم و خطئهم، و أصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم و حكمهم"[2].

كان رؤساء العرب منافسين فيه، و كانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده، و عرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن و أهل البصر لتمييز حَوْلِهِ* حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم، و بيت إبراهيم كما فعل امرؤُ القيس ابن حجر، و النابغة الذبياني، و زهير بن أبي سلمى، و عنترة بن شداد، و طرفة بن العبد، و علقمة بن عبدة، و الأعشى و غيرهم من أصحاب المعلقات السبع"[3]. و كان للشعر تأثير كبير في نفوس الناس و مشاعرهم لما يستعملونه من كلام مؤثر ساحر، يترك أثرا خطيرا في نفس سامعه، ولهذا عدوا السحرة في جملة أوائل من كان ينظم الشعر من القدماء[4].

لما كانت الحياة العربية قائمة على نظام القبيلة كان لزاما على من ينطق باسمها و يدافع عنها و يمجد مآثرها أن يعبر عن ذلك، و من هنا كانت أهمية الشاعر، و في ذلك يقول ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، و صنعت الأطعمة، و اجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس

1- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، المطبعة السعودية بمصر، القاهرة، مج1، ص24.

2- عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004، مج2، ص396.

*- يعني لاختبار مقدرته. المصدر نفسه، ص413.

3- المصدر نفسه: ص413.

4- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد ط2، 1994، مج9، ص69.

و يتباشر الرجال، و الولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، و ذب عن أحسابهم، و تخليد لمآثرهم، و إشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج"[1]. و كان الشعراء ألسنة قبائلهم، و ذوي الرأي فيهم، يندبونهم عند الملمات، و يستعينون بهم وقت الشدائد، و يلجئون إليهم في الحروب[2].

في هذا المناخ ظهر الإسلام، فأحدث تغييرات كبيرة في الحياة الدينية و الفكرية و الأدبية، يقول سليمان بن عبد الرحمن الزهير:" وجاء الإسلام بالحد الذي لا يعرفه العرب في العمل للدنيا والآخرة، فامتلأت أوقات المسلمين المؤمنين منهم بالانشغال في تحصيل الدين أو نشر دعوته"[3]، و كانت معجزة محمد صلى الله عليه و سلم معجزة لغوية، متمثلة في القرآن الكريم الذي نزل: "**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**"[4]، فأدهش العرب بفصاحته و بلاغته، فليس هو بالشعر الذي عرفوه، أو الذي اهتموا و احتفلوا به كثيرا، و ليس هو بالنثر الذي ألفوه في خطبهم و أمثالهم وغيرها، و من ثم تحدى هؤلاء العرب، و هم أهل لغة و أرباب فصاحة وأصحاب بيان على أن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالى: "**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَّأتُوا بِمِثْلِ هُذَا الْقُرْءَانِ لَا يَاتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**"[5]، فكان عجز البلغاء والفصحاء قديما وحديثا أمرا جليا، و هذه هي معجزة القرآن الكريم الخالدة؛ لأنه جاء بنظم غير النظم الذي ألفه العرب.

لقد أثر القرآن الكريم إذا في سلوك العرب و أخلاقهم ، فدعاهم إلى التحلي بالفضائل وحرم عليهم الرذائل ، فقال تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَ الإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآءِىْ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**"[6]، كما أثّر في لغتهم إذ نزل القرآن الكريم بها و أثراها بالمعاني الاسلامية الجديدة

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1981، 65/1.

2- سامي مكي العاني: الاسلام و الشعر، سلسة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت عالم المعرفة، 1996 ص8.

3 -سليمان بن عبد الرحمان الزهير: الحركة الأدبية في المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و الخلفاء الراشدين ،ط1996،2،ص97

4- سورة الشعراء: الآية 195.

5- سورة الإسراء: الآية 88.

6- سورة النحل: الآية 90.

الجديدة يقول تعالى: "**حم (1) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ايَٰتُهُ قُرْءانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**"[1].

كما أثر القرآن الكريم أيضا في مزاجهم و خيالهم، و تصوّرهم للحياة، تصوّرا جديد يحمل طابع العبودية و التكليف؛ بمعنى أن كل حياتهم أصابها التغيير، و من ذلك لغتهم، و علاقتهم بعدها بالكلام و فن القول، الذي هو الشعر على أكثر الاحتمالات[2]، و كان للإسلام موقف من الشعر و الشعراء، و هو ما سنتناوله بالدراسة والتحليل في هذا المبحث، فما موقف الإسلام من الشعر و الشعراء؟

1-1- موقف القرآن الكريم من الشعر:

إن موقف القرآن الكريم من الشعر و الشعراء جاء منسجما مع ما تمليه تعاليم الدين الجديد، و مع خطورة الشعر، فإن الاسلام لم يرفض الشعر على إطلاقه، و لم يقبله على علاته، فالإسلام يقبل من الشعر ما يدعو إلى التوحيد و مكارم الأخلاق، و يرفض ما يخرج عن هذه التعاليم، فرفض الغزل الفاحش، و سب الأعراض، أو انتهاك الحرمات، أو لمز مجالس الخير، أو السخرية من تعاليم الدين و غيرها. يقول الجبوري: "إن الإسلام حرم أكثر الأعمال التي يجود فيها الشعر و تنشط القرائح كذكر الخمر، و مغازلة المرأة، و إثارة الضغائن و الأحقاد والثأر"[3]. فما موقف القرآن الكريم من الشعر؟

ففي القرآن الكريم ينفي الله عز و جل عن نبيه قول الشعر، و أبعد صفة الشعر كذلك عن القرآن الكريم فقال سبحانه: "**وَمَا عَلَّمْنَٰهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ**"[4]، و قال أيضا: "**فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا**

1- سورة فصلت: الآيات 1-4.

2- محمد حجازي: شعر المعارك من البعثة النبوية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب القديم، جامعة باتنة، معهد اللغة و الأدب العربي 1990، ص210.

3- يحي الجبوري: الإسلام و الشعر، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1964، ص31.

4- سورة يس: الآية 69.

تُومِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42)"[1]، و قال أيضا: "**بَلْ قَالُواْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ بَلِ اِفْتَرَيٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَاتِنَا بـايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ اَلاَوَّلُونَ**"[2]، و قال أيضا: "**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**"[3] وقال أيضا: "**اَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**"[4]، و هذه الآيات في مجموعها تنفي صفتي الشعر والشاعر عن القرآن الكريم و مبلغه الأمين صلى الله عليه وسلم ، و هي في الآن ذاته رد على مزاعم المشركين المتأفكة على النبي صلى الله عليه و سلم بأنه شاعر و كاهن و ساحر و مجنون.

أما في قوله تعالى: "**وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُۥنَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا اَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (227)**"[5]، قال مقاتل بن حيان و قتادة هي مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة[6]. يقول شوقي ضيف عن هذه الآية الأخيرة: "أن القرآن إنما يهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول و يثبطون عن دعوته، فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر، و إنما هاجم شعرا بعينه كان يؤذي الله و رسوله"[7].

فالقرآن الكريم قسم الشعراء إلى فريقين: فريق يدعو إلى الله و ينشر السعادة و ينتصر للمظلومين، و ينافح عن عقيدة الدين، و آخر يدعو إلى الشر و إثارة النعرات، و يشهر بالأعراض و يقتحم المنكرات.

كان الاعتقاد السائد لدى كثير من الشعوب الأولى في نظرتهم إلى الأدباء و الفنانين سيئا، و كانوا يظنون بعقول الشعراء الظنون، فيعتقدون أحيانا أن ما بهم يشبه الجنون، أو أن بهم مسا من الجن، أو أن بعض الشياطين يوحون إليهم بما يجري على ألسنتهم من شعر، و تلك الآراء لو ألصقت بالرسول صلى الله عليه و سلم كانت

1- سورة الحاقة: الآيات 38-42.
2- سورة الأنبياء: الآية 5.
3- سورة الصافات: الآية 36.
4- سورة الطور: الآية 30.
5- سورة الشعراء: الآيات 224-227.
6- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق ابراهيم أطفيش، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر، 1967، مج13، ص87.
7- شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، ط7، ص44.

جديرة بأن تناقض معنى الرسالة و الوحي، يقول عبد الله الحامد: "أن لتنزه القرآن الكريم عن الشعر، وبعده عن طرائقه أسبابا منها ما في أذهان العرب من قرن الشعر بالشيطنة، والشر ، وصلة الشعر بالموسيقى واغناء ، ولمكان القرآن من التحدي ، لأن روح الشعر بعيدة عن الالتزام، وقد كان القرآن دعوة روحية ملتزمة بمنهج، خالفت الشعر في الغاية فبعدت عن مناهجه وطرائقه"[1].

من المعروف كذلك أن كثيرا من الشعراء في الجاهلية قد عرفوا بمسلك خلقي يتسم بكثير من الإسراف في اللهو والإقبال على الملذات المادية من خمر و ميسر و غير ذلك حتى برئت بعض القبائل من مثل هؤلاء الشعراء[2] وهذا ما يتنافى مع سمو الرسالة، و مقام النبوة، و لحكمة ربانية خالصة اختار الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يعلمه الشعر، ومقامه الأعظم في النبوة يقتضي ألا يزاول الشعر أو يمارسه ، وذلك حتى لا يختلط بالوحي الرباني الخالص الذي أنزله على قلبه بلسان عربي مبين ليكون من المنذرين[3].

بذلك يتضح معنى القرآن الكريم أنه لم يصدر حكما بعينه على الشعر و لم يتخذ منه موقفا خاصا، و إنما نفى عن النبي صلى الله عليه و سلم مرة بعد أخرى أن يكون شاعرا من الشعراء، و أن تكون رسالته كرسالتهم[4] **"إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ"**[5]؛ فهو ينفي عن القران أن يكون أضغاث أحلام أو قول كاهن ،كما ينفي أن تتنزل عليه الشياطين، و هذه كلها تتصل بالصناعة الشعرية على نحو ما كان يعيها أصحابها من الشعراء، بل على نحو ما كانت تعيها هذه البيئة الجاهلية عند ظهور الإسلام[6]؛ فالقرآن لم يعارض الشعر لذاته ، وإنما عرض بشعراء بشعراء الغواية والضلال لخطرهم على البشر، وبذلك وقع الاستثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا.

1-عبد الله الحامد: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض ، ط2، 1981، ص23.

2- عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي و الأموي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1979، ص11.

3- منير محمد الغضبان: المنهج الإعلامي للسيرة النبوية، دار الوفاء، المنصورة-مصر، ط1، 2007، مج1، ص50.

4- عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي و الأموي، مرجع سابق، ص12.

5- سورة يس: الآية 69.

6- عبد الرحمان الشناوي و محمود الرضواني: الأدب في صدر الاسلام و بني أمية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الدراسات الأدبية، 2018 ص10.

1-2- موقف الرسول صلى الله عليه و سلم من الشعر:

كان موقف الرسول صلى الله عليه و سلم من الشعر و الشعراء منسجما تماما مع ما جاء في القرآن الكريم في هذا الصدد، و كان النبي صلى الله عليه و سلم واضحا في إدراك مقاصد الشعراء، و له مواقف كثيرة تدل على تقديره للشعر، و كثيرا ما استنشد الشعر[1]، فأحاديث المصطفى صلى الله عليه و سلم لا تخرج عن الأهداف و الغايات التي دعت إليها الآيات الكريمة، و هي كثيرة نذكر منها قوله صلى الله عليه و سلم: "**إن من الشعر لحكمة**"[2]، و قال أيضا: "**إن من البيان لسحرا**"[3] و كان يقول صلى الله عليه و سلم لحسان بن ثابت شاعر الإسلام: "**نافح عنا و روح القدس يؤيدك**"[4]، و في رواية: "**أجب عني اللهم أيده بروح القدس**"[5]، و في رواية رواية أخرى: "**أهجهم أو هاجهم و جبريل معك**"[6]، و قال لكعب بن مالك: "**أهجهم، فو الذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل**"[7]، و قال كذلك: "**ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه**

1- عبد الرحمان الشناوي و محمود الرضواني: الأدب في صدر الاسلام و بني أمية، مرجع سابق، ص11.

2- رواه البخاري : الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، من حديث أبي بن كعب، برقم6145، تحقيق أحمد زهوة و أحمد عناية، دار الكتاب العربي، لبنان، 2011. ص1257

3- رواه البخاري : الصحيح، كتاب النكاح، باب الخطبة، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم 5146، مرجع سابق، ص1082.

4- راوه أبوداود: السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، من حديث عائشة رضي الله عنها، برقم 5015، اعتنى به مشهور بن حسن، مكتبة مكتبة المعارف، السعودية، ط1، دت.ص751، والترمذي : السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، من حديث عائشة رضي الله عنها، برقم 2846، اعتنى به مشهور بن حسن، مكتبة المعارف، السعودية، ط1، دت. ص636.

5- رواه البخاري : الصحيح، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ،برقم 3212، مرجع سابق، ص655، ومسلم : الصحيح كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان ، برقم 2485، تحقيق أحمد زهوة و أحمد عناية، دار الكتاب العربي، لبنان، 2010. ص1073.
وتمامه : مر عمر في المسجد وحسان ينشد ، فقال : كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله، أسمعت رسول الله يقول وذكر الحديث.

6-رواه البخاري : الصحيح، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ، من حديث البراء بن عازب، برقم3213، مرجع سابق ص655، ومسلم: الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت ، من حديث البراء بن عازب ، برقم 2486، مرجع سابق ص1037.

7- رواه مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، برقم 2490، مرجع سابق ص1038.

بألسنتهم"[1] ، فالرسول عليه الصلاة والسلام اتخذ من الشعر سلاحا يدافع به عن دين الله، و يهاجم خصومه اللذين اتخذوا من الشعر أداة لهجاء الإسلام و رسوله؛ لأنه كان يدرك أهمية الشعر فقال: "**لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين**"[2].

أما قوله صلى الله عليه و سلم: "**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا أو دما حتى يريه خير من أن يمتلئ شعرا**"[3]، فظاهر الحديث أنه ينهى نهيا قاطعا عن قول الشعر، و هو ما يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم في هذا المجال، و لذلك فإن عائشة رضي الله عنها صححت هذا الحديث و أضافت إليه عبارة: "**هجيت به**"[4] وهكذا يصبح الحديث صحيحا، و يتغير الموقف تماما، وقد أورد البخاري في باب (**ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم و القرآن**)[5].

لعل رواية الإمام البخاري تكون الجواب الشافي عما يدور في أذهان كثير من الباحثين حول موقف الرسول صلى الله عليه و سلم من رواية الشعر، كما تكون إجازة صريحة بجواز روايته، باستثناء ذلك النوع الذي أشارت إليه أم المؤمنين، و بذلك تكون الأخبار المخالفة لهذا الموقف، إنما تقتصر على نوع محدد منه، أو أن هذا النهي كان آنيا، يزول بزوال المحظور[6]؛ فهو يمنع نوعا محددا من الشعر الذي يسيء إلى الإسلام، كما أنه توعد الشعراء

1- رواه ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992. في ترجمة حسان رضي الله عنه 342/1.

2- ذكره السبكي :طبقات الشافعية الكبرى، في فصل :الأحاديث التي وقعت في كتاب الإحياء للغزالي ولم يجد لها إسناد ، ثم قال : وأصل الحديث عند مسلم مختصرا، تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، دط، دت، 338/6،
والرواية التي أشار إليها السبكي، رواها مسلم، في الصحيح، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام و تصبر من قوي إيمانه ، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، وليس فيها : "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين "،برقم 1060، مصدرسابق، ص408.

3- رواه البخاري : الصحيح ،كتاب الأدب ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله و العلم والقرآن ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، برقم 6155، مصدر سابق، ص1259، ومسلم: الصحيح، كتاب الشعر ، باب في إنشاد الشعر وبيان أشعر كلمة وذم الشعر ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، برقم 2257، مصدر سابق، ص955.

4- رواه الطحاوي : شرح معاني الأثار ،كتاب الكراهة ، باب رواية الشعر ، برقم 6988، 296/4.

5- البخاري: الصحيح، كتاب الأدب ، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن ، مصدر سابق ص1259.

6- نايف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، دار النفائس للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1990، ص140.

الهجائين الذين ينهشون أعراض الناس بالباطل "**من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر**"[1]؛ فهو ينهى عن استغلال الشعر و اتخاذه أداة للهجاء الفاحش و النيل من أعراض المسلمين؛ فقد أصدر حكمه على هذا النوع من الشعر، بقطع لسان صاحبه[2].

و مما يدل كذلك على أن النبي عليه الصلاة و السلام لم يكن معاديا للشعر، سماعه له، فقد روى جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "**جالست النبي صل الله عليه و سلم أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر و يتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت وربما تبسم**"[3]، و سماع الرسول وصحابته أشعار الشعراء كان سبيلا لتعديل رسالة الشعراء، و توجيه رسالة الشعر في إطار رسالة الإسلام، إدراكا منه لما للشعر من دور في خدمة الإسلام ومقارعة الأعداء.

هكذا يتبين أن الإسلام لم يذم الشعر على الإطلاق، بل ذم نوعا خاصا منه. هو الشعر الذي يذكي روح العصبية و يثير الحروب و يرفع من شأن العادات و القيم التي حاربها الإسلام. بل على العكس امتدح الشعر وكرم الشعراء- أصحاب الدعوة الإسلامية- الذين وقفوا إلى جانبه يدافعون عنه بسلاحهم و لسانهم ، ويذودون عن الإسلام وحياضه بمقاتلة أعدائه و هجاء المشركين[4]، ولذا من الظلم للإسلام أن يقال إنه كف العرب عن الشعر وأوقف نشاطه، فقد كان ينشد على كل لسان، و ساعدت الأحداث على ازدهاره لا على خموله سواء في معركة الإسلام مع الوثنيين و المرتدين أو في الفتوح أو في معركة علي مع خصومه في العراق، و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن الإسلام أذكى جذوته و أشعلها إشعالا، فإن أحداثه حلت من عقدة الألسنة و أنطقت بالشعر كثيرين لم يكونوا ينطقونه، فإذا بنا نجد مكة التي لم تعرف في الجاهلية بشعر كثير يكثر شعراؤها، و إذا بنا إزاء عشرات من الشعراء

1- ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، من غير إسناد، مصدر سابق، 170/2.

2- واضح الصمد: واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1994، ص77

3-رواه الترمذي : السنن، كتاب الآداب ، باب ما جاء في إنشاد الشعر، من حديث جابربن سمرة رضي الله عنه ، برقم 2850، مرجع سابق ص637، والنسائي: السنن، كتاب الصلاة ، باب قعود الإمام في مصلاه بعد التسليم ، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، برقم 1358 مصدر سابق، ص222.

4- مندور معاليقي: أدب عرب الجاهلية والإسلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2012، ص136.

في الفتوح لم يشتهروا بالشعر و نظمه قبلها، و هم يسمون جميعا مخضرمين من الخضرمة و هي الاختلاط لأنهم خلطوا في حياتهم بين الجاهلية و الإسلام فعاشوا في العصرين معا[1].

ذلك أن الإسلام ينظر إلى الشعر باعتباره فنا جميلا، يطلب فيه الامتاع والرواء أولا، ويستحسن فيه الاقناع والاعتماد على الدعوة الهادفة، والاسلام ينظر إلى الشعراء باعتبارهم محلقين في أودية الخيال يهيمون، يتخيلون ما يكون وما لا يكون ، فيعطي الشاعر الحرية في أن يقول ما يشاء ما لم تصطدم حريته بحرية الآخرين أو بهدم خلق قويم أو النيل من العقيدة أو الأخلاق بأسلوب صريح أو غير مباشر[2]، و بعد كل هذا التحليل والنقاش يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن الإسلام لم يحارب الشعر، و إنما المنهج الذي سلكه بعض الشعراء، و هو منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها.

2- مفهوم السرايا و أهدافها:

2-1- مفهوم السرية: طائفة مختارة من الجيش يرسلها الإمام لقتال أعدائه، أو إرهابهم، أو استكشاف أحوالهم، أو غير ذلك من المقاصد التي تعود بالخير على المسلمين، و سميت سرية لأنها تسري خفية، أي تتحرك في تكتم و تستر، و تبدأ من خمسة أشخاص و قد تصل إلى أربعمائة[3].

قال صاحب لسان العرب: "و السرية: ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة، و قيل: هي من الخيل نحو أربعمائة. و السرية: قطعة من الجيش؛ يقال: خير السرايا أربعمائة رجل. و سميت سرية لأنها تسري ليلا في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا أو يمتنعوا". يقال: سرى قائد الجيش سرية إلى العدو إذا جردها و بعثها إليهم، و هو التسرية، و في الحديث: "يرد متسريهم على قاعدهم"؛ و معنى الحديث أن الإمام أو أمير الجيش يبعثهم و هو خارج إلى بلاد العدو، فإذا غنموا شيئا كان بينهم و بين الجيش عامة لأنهم ردء لهم و فئة، فأما إذا بعثهم و هو

1- شوقي ضيف :العصر الاسلامي ، مرجع سابق، ص46

2- عبد الله الحامد: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، مرجع سابق،ص34.

3- محمد سيد طنطاوي: السرايا الحربية في العهد النبوي، الزهراء للإعلام العربي، قسم النشر مدينة نصر-القاهرة، 1990، ص19.

مقيم فإن القاعدين معه لا يشاركونهم في المغنم، و إن كان جعل لهم نفلا من الغنيمة لم يشركهم غيرهم في شيء منه على الوجهين معا[1].

و من كلامه عن مادة (بعث): "بعثه يبعثه بعثا أرسله وحده، و بعث به أرسله مع غيره، و ابتعثه أيضا أي أرسله فانبعث... و البعث: الرسول، و الجمع بعثان، و البعث: بعث الجند إلى الغزو... و البعث: يكون بعثا للقوم يبعثون إلى وَجه من الوجوه مثل السفر و الركب و قولهم: كنت في بعث أي فلان أي في جيشه الذي بعث معه، و البعوث الجيوش"[2].

لقد جرت عادة المحدثين و أهل السير، و اصطلاحاتهم غالبا أن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه و سلم بنفسه غزوة، و ما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو سرية و بعثا[3]. و ربما سموا بعض السرايا غزوة كما في مؤتة، حيث قالوا: غزوة مؤتة، و كما في سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطي في "الخصائص" بغزوة الرجيع، و عن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر، و ربما سموا الواحدة سرية و هو في الأصل كثير، و ربما سموا الاثنين فأكثر بعثا، و منه قول الأصل كالبخاري بعث الرجيع[4].

ذكر ابن حجر أن ما افترق من السرية يسمى بعثا[5]، و كان يبعث بالسرية فرسانا تارة، و رجالا أخرى وذكر الحلبي أنه من ظاهر كلام أهل المغازي أنهم لا يفرقون بين كون إرسال تلك السرايا و البعوث للقتال، أو لغير القتال كتجسس الأخبار، أو تعليمهم الشرائع، كما في بئر معونة و الرجيع، أو حتى للتجارة كما في سرية زيد بن

1- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق مجدي فتحي السيد، و ياسر سليمان أبو شادي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دط، دت، مادة (سرى)، مج6 ص281-282.

2- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة (بعث)، مج1، ص536-537.

3- الزرقاني: شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، ضبطه و صححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1996، مج2، ص220.

4- علي بن برهان الدين الحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المطبعة الأزهرية مصر، ط3، 1932، 212/3.

5- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مكتبة دار السلام الرياض، ط8، 2000، 70/3.

حارثة رضي الله تعالى عنه حيث ذهب مع جماعة بالتجارة للشام فلقيه بنو فزارة فضربوه و ضربوا أصحابه و أخذوا ما كان معهم[1].

هذا و قد اختلف في السرية معنى و عددا، فقال في اللسان:" السرية من سرايا الجيوش، فإنها فعيلة بمعنى فاعلة، سميت السرية لأنها تسري ليلا في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا أو يمتنعوا، يقال: سرّى قائد الجيش سرية إلى العدو، إذا جردها و بعثها إليهم و هو التسرية"[2].

و ذكر المسعودي نقلا عن ذوي المعرفة بسياسة الحروب بأنها هي التي تخرج بالليل، فأما التي تخرج بالنهار فتسمى السوارب[3]، و ذلك قوله عز و جل: "**وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**"[4].

وعند ابن الأثير أن :"السرية: الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو و جمعها السرايا سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر و خيارهم ، من الشيء السري النفيس"[5]، وقال ابن حجر: "و السرية السرية قطعة من الجيش تخرج منه و تعود ، وهي من مائة إلى خمسمائة ، فما زاد على خمسمائة يقال له منسر، فإن زاد على الثمانمائة يسمى جيشا، فإن زاد على أربعة آلاف يسمى جحفلا ،فإن زاد فجيش جرار. و الخميس: الجيش العظيم، و ما افترق من السرية يسمى بعثا"[6] وقد تطلق السرية على العدد الذي يقل عن الخمسة الخمسة ، إذا رأى الإمام ذلك ،لما روي من أنه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن أنيس سرية

اختلف أهل العلم من أصحاب المغازي و غيرهم في عدد السرايا و البعوث التي بعثها النبي صلى الله عليه و سلم منذ دخوله في حرب مع قريش، فكانت عن ابن اسحاق ثلاث روايات: رواية نقلها الطبري والمسعودي

1- علي بن برهان الدين الحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، مرجع سابق، 212/3.

2- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة (سرا)، مصدر سابق، مج6،ص281.

3- المسعودي: التنبيه و الإشراف، طبع في مدينة ليدن، 1893، ص279.

4- سورة الرعد: الآية 10.

5- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث و الأثر، أشرف عليه علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط1، 1421هـ، ، ص427.

6-ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، 70/8.

ذكرا عنه أن عددها كان خمسا و ثلاثين بعثا و سرية[1]، بينما ذكر ابن هشام في روايته عنه: أنها كانت ثمانية وثلاثين بعثا و سرية، أورد منها سبعة و عشرين فقط وحده[2]

ويبدو لمحمد سيد طنطاوي أن رأى ابن سعد هو الرأي الراجح ؛ لأن المحصي بدقة و عناية للسرايا والبعوث التي تمت يجدها قريبة مما قاله رحمه الله[3].

2-2- أهداف السرايا:

مرت الدعوة المحمدية بمرحلتين: المرحلة المكية، و المرحلة المدنية؛ فأما المرحلة المكية، فتنقسم بدورها إلى مرحلتين: مرحلة سرية دامت ثلاث سنوات، و مرحلة جهرية صدع فيها محمد صلى الله عليه و سلم بالدعوة امتثالا لأمر ربه "**فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**"[4]، دامت عشر سنوات، دعا فيها قومه إلى عبادة الله وحده لاشريك ، ونبذ عبادة الأصنام ،فلاقى في سبيل ذلك الصد والإعراض ، بل ذهبوا معه إلى أبعد من ذلك، فصبوا عليه ألوانا من العذاب، وضيقوا على أصحابه، وعذبوا و قتلوا بعضهم، كل ذلك و الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو صابرا محتسبا إلى أن أذن الله بالهجرة من مكة إلى المدينة.

أما في المرحلة المدينة فقد أصبح للمسلمين شوكة و دولة ،و دخلوا مرحلة جديدة في صراعهم مع قريش كيف لا و قد أذن لهم ربهم بذلك: "**اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ**

1- انظر: الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، دت، مج3، ص154، و المسعودي: التنبيه والإشراف، طبع في مدينة ليدن، 1893، ص278.

2- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، 2012م ، 199/4.

3- محمد سيد طنطاوي: السرايا الحربية في العهد النبوي، مرجع سابق، 1990، ص23.

4- سورة الحجر: الآية 94.

صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)"[1].

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبعث سراياه إلا بعد الإذن بالقتال إلى أماكن مختلفة لمقاصد سامية وغايات نبيلة ،و أهداف عالية منها مايلي:

- معاملة قريش بالمثل، و هي التي أخرجتهم من ديارهم بغير حق إلا إن يقولوا ربنا الله ، واستولت ظلما وعدوانا على أموالهم و ديارهم، فكانت مطاردة المسلمين لقوافلهم التجارية عند ذهابها إلى بلاد الشام أو رجوعها منه، ومصادرتها لصالح المسلمين تعويضا لهم عما سلبته قريش منهم ،

- بث الرعب في صفوف المشركين، للقول أن وقت الضعف بالنسبة للمسلمين قد ولى ، و أنهم قادرون على شل الاقتصاد القرشي المبني على التجارة ، و إلحاق الضرر به ،مما يدفع قريشا أن تختار مسالك أخرى هي أكثر أمانا لقوافلها التجارية ، وهذا تحول جديد فرضه المسلمون على مشركي قريش.

- أهداف و مهمات مختلفة أوكلت للسرايا بحسب الظروف المحيطة بها، فكان منها السرايا الاعتراضية التي توقع الخوف و الاضطراب في القوافل التجارية للمشركين ، ثم تطورت إلى القيام بضرب رؤوس الكفر ، ومن شايعهم ، بعد ما كانت عبارة عن دوريات استطلاعية و استكشافية و جس نبض

- انزال الرعب في قلوب الذين يتربصون بالمسلمين من اليهود و المنافقين حتى لا يستبيحوا بيضة المسلمين ويستهينوا بهم ، فكانت هذه السرايا أكبر رادع لهم.

- والهدف الأسمى من هذا كله إعلاء كلمة الله ، وفتح الطريق لدخول الناس في دين الله دون إكراه وتأمين نشر دعوة الاسلام ، وتأمين حرية الاعتقاد ،و رد كل من يقف في وجه مبادئ هذا الدين.

1- سورة الحج: الآيات 39-40.

3- مواكبة شعر السرايا للحرب:

و هنا يفرض السؤال نفسه في هذا البحث، هل كان شعر السرايا مواكبا لتلك الأحداث بشكل واضح و مؤثر؟، و الإجابة عن هذا السؤال تتضح من خلال هذا التحليل:

مكث النبي عليه الصلاة و السلام ثلاثة عشر عاما، و هو يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، و نبذ عبادة الأصنام، فما كان من زعماء قريش إلا العناد و إلحاق الأذى بالمسلمين، و بخاصة المستضعفين منهم، فأذن الله عز و جل لنبيه صلى الله عليه و سلم و المسلمين بالهجرة إلى المدينة، و بمقدمه للمدينة دخلت الدعوة المحمدية مرحلة أخرى في صراعها مع قريش، فاشتدت المواجهة بينهما، و طبيعي أن يشارك الشعر في هذا الصراع، و أن يواكبه في جميع مراحله، فوقف فريق من الشعراء إلى جانب الرسول صل الله عليه وسلم، و فريق آخر إلى جابب قريش[1].

إذا كان العرب عرفوا حروبا في الجاهلية قاسوا منها بشكل كبير، ورغم بشاعتها كانوا يعتبرونها جزءا كبيرا من ثقافتهم و موقعهم الاجتماعي، و لكن رسالة الإسلام بمجيئها رسمت للعرب مثلا عليا جديدة في التشريع و سائر نواحي حياتهم، موجهة إياهم إلى البر و العمل الصالح، فجعلت باعث الرجولة و البطولة ليس السلب و النهب والإغارة على المجاورين و الآمنين، بل الجهاد في سبيل الله، و القتال من أجل فتح طريق للدخول في الإسلام فالحرب فرضت على المسلمين، لأن قريشا وقفت في وجه الرسالة النبوية ، وآذت المسلمين، واستولت على أموالهم، وأخرجتهم من ديارهم ،فنزل قوله تعالى يأذن بالقتال :" **اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**"[2].

يقول ابن القيم في هذا الباب: "فلما استقر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة، و أيده الله بنصره و عباده المؤمنين الأنصار، و ألف بين قلوبهم بعد العداوة و المحن التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود و الأحمر، و بذلوا نفوسهم دونه، و قدموا محبته على محبة الآباء و الأبناء و الأزواج

1- سامي مكي العاني: الاسلام و الشعر، مرجع سابق، ص23.
2- سورة الحج: الآية 39.

وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب و اليهود على قوس واحدة، و شمروا لهم عن ساق العداوة و المحاربة وصاحوا بهم من كل جانب، و الله سبحان و تعالى يأمرهم بالصبر و العفو و الصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ بالقتال"[1].

تغير مفهوم القتال لدى المسلمين، فهو إما النصر أو الشهادة، قال تعالى: "**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمُ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**"[2]، فدعاهم إلى الجهاد في سبيل الله _نشرا لرسالة الإسلام ،و ذودا عن حياضه_ "**وقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ اَلدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ**"[3]، و حثهم على دفع الظلم وإقامة العدل والضرب على أيدي القتلة، ودعاهم إلى تأمين العجزة والضعفاء من الشيوخ و النساء و الولدان من اعتداء الكافرين" **وَمَالَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَٰنِ اِلذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ اِلْقَرْيَةِ اِلظَّالِمِ أَهْلُهَا**"[4]، ومن هذا المنطلق فإن الجهاد في الشريعة الإسلامية يمثل حربا عادلة منصفة، فهو مفروض على المسلمين من أجل إزالة العراقيل التي تحول دون السماح بتبليغ دعوة الإسلام إلى كافة الخلق، وهو من أجل تأمين حرية العبادة للناس جميعا، ومنع الفتنة في الدين و الاضطهاد فيه ، أو حجر المعتقد، فلا إكراه في الدين ، وهو كذلك من أجل الدفاع عن الحرمات من أرض وعرض ومال، فلا مجال في حروب الإسلام للشر و العدوان، ولا للظلم والفساد وانتهاك الحرمات وهضم الحقوق[5].

أصبح هذا النهج هو الدافع القوي للتضحية و الاستشهاد لغاية سامية، و هي نشر الدين، و لم يكن الشعراء الذين أخذوا على أنفسهم مهمة الدفاع عن الدين الجديد بعيدين عن هذا التصور الذي فتح عقولهم

1- ابن القيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد، شرح و تعليق عبد العزيز بن باز و محمد حامد الفقي، دار ابن الجوزي القاهرة، ط2، 2012 .26/2

2- سورة التوبة: الآية 52.

3- سورة الأنفال: الآية39.

4- سورة النساء: ص75.

5- وهبة الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الاسلامي، دار الفكر بدمشق، ط3، 1998، ص31.35

للاستنارة بهدي الدعوة فأسلموا نفوسهم رخيصة لله، و باعوا حياتهم لنشر رسالته المباركة، و وضعوا قدراتهم و ما يحيطون به من علم و ثقافة و معرفة في تأكيد مبادئ الدعوة، و توضيح أبعادها المختلفة و توسيع آفاق حدودها التي عرفتها، و تزويد أصحابها بما يجعلهم أكثر قدرة على المقاومة و أشد صبرا على الجهاد، و أصدق التزاما على مصاولة المشركين[1].

لم تبق قريش وسيلة لمحاربة الإسلام إلا سلكتها، و لا سلاحا إلا شهرته، و بدأت شاعريتها تستيقظ وتقوى بعد أن كانت قليلة الشعر في جاهليتها، خاملة الذكر فيه[2]، و هذا ما دفع ابن سلام إلى أن يقول "والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة، و لم يحاربوا"[3]، و شعورا منها بالخطر الذي يهددها فعّلت سلاح الشعر في وجه الدعوة الإسلامية لدوره في تشويه العقيدة، و التحريف لتعاليم الإسلام ، و التنفير مما يقوم به الدعاة فيؤثر ذلك في الذين لم تستقر في عقولهم بعد الملامح الجديدة لعقيدة الإسلام و الذين يعطون لهذا الشعر الذي يصدر عن مكة و عن شعراء من قوم النبي أهمية خاصة[4]،

ثبت لقريش بما لا يدع مجالا للشك ضرورة أن تستنفر سلاحي السيف و الشعر معا في حربها ضد المسلمين، فكان بين الفريقين معارك شاركت فيها الألسنة و الأسنة، و حناجر الشعراء سواعد الفرسان[5]، و لقد واكب شعر السرايا هذه المرحلة و سجل خصوصيتها بكل صدق، بل و بدقة و تفصيل كما عبرت عن ذلك بعض المقاطع و القصائد التي رجّعت أصداء تلك الأزمنة الاستثنائية من تاريخ الإسلام المجيد، فلعبت الكلمة دورها ، و جندت لإذكاء هذا الصراع ، فسارت جنبا إلى جنب مع المقاتلين في هذه المعركة، لقد ترجم شعر السرايا الأحداث فعبر عن المشاهد التاريخية المتشعبة الملامح، و صور المعارك و الجولات المختلفة، و سجل التدافع الحضاري بين قوى متعارضة و متناقضة.

1- نوري حمودي القيسي: شعر الحرب في عصر الرسالة، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1982، ص30.

2- سامي مكي العاني: الاسلام و الشعر، مرجع سابق، ص23.

3- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، مصدر سابق، مج1، ص24.

4- عبد الرحمان خليل ابراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1971 ص267

5- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، دار الفكر دمشق، ط1، 2007، ص184

أرخ الشعر لأهم الأحداث التي خاضها المسلمون في حربهم ضد جحافل الشرك، فيعرض علينا الماضي بكل جوانبه في كلمات و أوزان، و كأنه مجاميع من شهود شاهدوا ذلك الماضي بأبصارهم، يقول نايف معروف "يعد الشعر الإسلامي سجلا حافلا بالأحداث التاريخية الخطيرة، إذ رافق الدعوة الإسلامية منذ بواكير عهدها فكان الشاهد الأمين لما جرى في المحطات الفاصلة والوقائع البارزة في حياة الإسلام و المسلمين. ولما كان شعراء الإسلام الأوائل هم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ما خلفوه لنا يأتي في مرتبة عالية من حيث الصدق والتوثيق، وبخاصة أن كبار المؤرخين و أصحاب السير قد أثبتوه في كتبهم وسجلاتهم"[1]،و لعل سرية عبيدة بن الحارث، واحدة من هذه الأحداث التي ينساب سلاح الشعر فيها على لسان أبي بكر الصديق رضي الله عنه هاجيا قريشا لوقوفها في وجه الإسلام، و محذرا لها في الوقت نفسه من عواقب الكفر و العقوق، مستهلا قصيدته بمقدمة غزلية على عادة الشعراء:

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمى بِالبِطاحِ الدَّمائِثِ ... أَرِقْتَ وَ أَمْرٍ في العَشيرةِ حادِثِ
تَرَى مِنْ لُؤيٍّ فُرْقَةً لا يَصُدُّهَا ... عَنِ الكُفْرِ تَذْكيرٌ وَ لا بَعْثُ باعِثِ
رَسولٌ أَتاهُمْ صادِقٌ فَتَكَذَّبُوا ... عَلَيْهِ وَ قالُوا: لَسْتَ فِينَا بِماكِثِ
إِذا ما دَعَوْناهُمْ إِلى الحَقِّ أَدْبَرُوا ... وَ هَرُّوا هَريرَ المُحْجِراتِ اللَّواهِثِ
فَكَمْ قَدْ مَتَتْنا فيهِمُ بِقَرابَةٍ ... وَ تَرْكُ التُّقى شَيْءٌ لَهُم غَيْرُ كارِثِ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَ عُقُوقِهِمْ ... فَما طَيِّباتُ الحِلِّ مِثْلَ الخَبائِثِ
وَ إِنْ يَرْكَبُوا طُغْيانَهُمْ وَ ضَلالَهُمْ ... فَلَيْسَ عَذابُ اللهِ عَنْهُمْ بِلابِثَ
وَ نَحْنُ أُناسٌ مِنْ ذُؤابَةِ غَالِبٍ ... لَنا العِزُّ مِنْهَا في الفُرُوعِ الأَثائِثِ

في السرية نفسها ينطق شعر سعد بن أبي وقاص بأنه أول من رمى بسهم في الإسلام، كما ضمن شعره جملة من القيم التي جاء بها الإسلام، فهو يدافع عنها برمحه و لسانه.

أَلا هَلْ أَتَى رَسولَ اللهِ أَنِّي ... حَمَيْتُ صَحابَتي بِصُدورِ نَبْلِي

1- نايف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، دار النفائس للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1990. ص233

أَذودُ بِـــــها أَوائِلَهُـــــمْ ذِيـــــادًا ... بِكُـــلِّ حُزونَـــةٍ وَ بِكُـــلِّ سَـــهْلِ
فَمـــــا يَعْتَـــــدُّ رامٍ في عَـــــدُوٍّ ... بِسَـــهْمٍ يـــا رَســـولَ اللهِ قَبْلـــي
وَ ذَلِـــكَ أَنَّ دينَـــكَ ديـــنُ صِـــدْقٍ ... وَ ذُو حَـــقٍّ أَتَيْـــتَ بِـــهِ وَ عَـــدْلِ
يُنَجِّـــى المؤمنـــونَ بِـــهِ وَ يُخْـــزَى ... بِـــهِ الكُفّـــارُ عِنْـــدَ مَقـــامِ مَهْـــلِ
فَمَهْـــلاً قَـــدْ غَوَيْـــتَ فـــلا تَعِبْـــنِي ... غَـــوِيَّ الحَـــيِّ وَيْحَـــكَ يـــا ابْـــنَ جَهْـــلِ

كما سجل الشعر الملاسنة التي وقعت بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، و عبد الله ابن الزبعرى، مما يعبر عن قوة الحرب الكلامية التي دارت رحاها على ألسنة الشعراء متخذين من الشعر سلاحا مشهرا في الدفاع عن العقيدة و المبادئ التي يحملها كل فريق، فهو يسير جنبا إلى جنب مع سلاح الحرب، و هكذا أثارت هذه السرية شاعرية قريش، فأتى الرد على لسان عبد الله ابن الزبعرى:

أَمِـــنْ رَسْـــمِ دارٍ أَقْفَـــرَتْ بِالعَثاعِـــثِ ... بَكَيْـــتَ بِعَـــيْنٍ دَمْعُهـــا غَيْـــرُ لابِـــثِ
وَ مِـــنْ عَجَـــبِ الأَيَّـــامِ وَ الـــدَّهْرُ كُلُّـــهُ ... لَـــهُ عَجَـــبٌ مِـــنْ ســـابِقاتٍ وَ حـــادِثِ
لـــِجَيْشٍ أَتانَـــا ذِي عُـــرَامٍ يَقُـــودُهُ ... عُبَيْـــدَةُ يُـــدْعَى في الهِيـــاجِ ابْـــنَ حَـــارِثِ
لِنَتْـــرُكَ أَصْـــنامًا بِـــمَكَّةَ عُكَّفًـــا ... مَواريـــثَ مَـــوْرُوثٍ كَـــرِيمٍ لِـــوارِثِ
فَلَمَّـــا لَقِينـــاهُمْ بِسُـــمْرٍ رُدَيْنَـــةٍ ... وَ جُـــرْدٍ عِتـــاقٍ في العَجـــاجِ لَواهِـــثِ
وَ بـــيضٍ كَـــأَنَّ الـــمِلْحَ فَـــوْقَ مُتُونِهَـــا ... بِأَيْـــدِي كُمَـــاةٍ كَـــاللُّيُوثِ العَوائِـــثِ
نُقـــيمُ بِـــهَا إِصْـــعَارَ مَـــنْ كـــانَ مـــائِلاً ... وَ نَشْـــفِي الـــذُّحُولَ عـــاجِلاً غَيْـــرَ لابِـــثِ
فَكَفُّـــوا عَلَـــى خَـــوْفٍ شَـــدِيدٍ وَ هَيْبَـــةٍ ... وَ أَعْجَـــبَهُمْ أَمْـــرٌ لَهُـــمْ أَمْـــرُ رَائِـــثِ

في سرية عبد الله بن جحش وقعت معركة إعلامية انبرى لها فرسان الكلمة و البيان يدافعون فيها عن خياراتهم في قتال العدو الذي طالما اعتدى عليهم، فسلب أموالهم و أخرجهم من ديارهم بغير وجه حق، حيث أرسل النبي صلى الله عليه و سلم عبد الله بن جحش على رأس سرية استطلاعية لرصد تحركات قريش، و كانت مؤلفة من ثمانية رجال من المهاجرين، على رأسهم عبد الله بن جحش. نزلت هذه السرية بنخلة، فمرت بها عير لقريش محملة بالتجارة بقيادة عمرو بن الحضرمي، فوقع قتال سريع و خاطف، و كان ذلك في الشهر الحرام.

انتهزت قريش هذه الفرصة للتشهير بمحمد صلى الله عليه و سلم و أصحابه، و إظهارهم بمظهر المعتدي الذي لا يراعي الحرمات، فقامت بدعاية كبيرة لإثارة الرأي العام العربي، و قد كان لدعايتها صدى كبير و أثر ملموس حتى في المدينة نفسها[1]، مفادها أن محمدا قد استحل و أصحابه الشهر الحرام و سفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، و أسروا فيه الرجال.

لكن قريش تعامت عن الجرائم البشعة التي ارتكبتها بغير وجه حق تجاه المسلمين، وسيأتي الجواب على لسان عبد الله بن جحش مستلهما ذلك من وحي القرآن: "**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ اِلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اِللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ اِلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اَللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ اَلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَـٰعُواْ وَمَن يَّرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**"[2] ، ذلك بأن كفرهم بالله و الرسول، و صدهم عن سبيل الله، و إخراجهم المؤمنين من المسجد الحرام، و منعهم فيه أدهى و أعتى وأقبح وأفدح، و أن سريته ترمي إلى التأديب لا التخريب[3]، فأخذ الشعر دور الأعلام في تفنيد مزاعم قريش:

تَعُـــدُّونَ قَـــتْلاً فِي الحَـــرامِ عَظِيمَـــةً ... وَ أَعْظَـــمُ مِنْـــهُ لَـــوْ يَـــرَى الرُّشْـــدَ راشِـــدُ

صَـــدُودُكُمُ عَمَّـــا يَقُـــولُ مُحَمَّـــدٌ ... وَ كُفْـــرٌ بِـــهِ وَ اللهُ رَاءٍ وَ شـــاهِدُ

وَ إِخْـــراجُكُمْ مِـــنْ مَسْـــجِدِ اللهِ أَهْلَـــهُ ... لِـــئَلاَّ يُـــرَى للهِ فِي البَيْـــتِ ســـاجِدُ

فَإِنَّـــا وَ إِنْ عَيَّرْتُمُونـــا بِقَتْلِـــهِ ... وَ أَرْجَـــفَ بالإِسْـــلامِ بـــاغٍ وَ حاسِـــدُ

سَـــقَيْنا مِـــنَ ابْـــنِ الحَضْـــرَمِيِّ رِماحَنـــا ... بِنَخْلَـــةَ لَمَّـــا أَوْقَـــدَ الحَـــرْبَ واقِـــدُ

دَمًـــا وَ ابْـــنُ عَبْـــدِ اللهِ عُثْمـــانُ بَيْنَنـــا ... يُنازِغُـــهُ غُـــلٌّ مِـــنَ القِـــدِّ عانِـــدُ

1- أحمد إبراهيم الشريف: مكة و المدينة في الجاهلية و عهد الرسول، دار الفكر العربي، ص445

2- سورة البقرة: الآية 217.

3- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص165.

تأتي سرية الرجيع، فيكون المسلمون على موعد مع التاريخ، ويسجلون أروع البطولات في سماء المجد متمثلة في أنبل صور التضحيات التي غرست في نفوسهم، طمعا في ما عند الله عز وجل ، و بهذا استطاع الشعر أن يواكب هذه الأحداث الحرجة من حياة المسلمين في جهادهم و صبرهم .

حفظ الشعر هذه المواقف الخالدة، و راح يسجل في هذا الحادث الاستهانة بالمسلمين والإحساس بضعفهم، و قد أثار شاعرية المسلمين فانبرى حسان بن ثابت في تصوير هذا الحادث الأليم، و تعداد شهدائه في أسلوب ينم عن الأسى، و يبعث على الحسرة و يعبر عن قوة إيمان هؤلاء الشهداء، مسيطرة على حسان الروح الإسلامية و النزعة الدينية[1]، فكانت أبياته عبارة عن وثيقة تاريخية حاملة لأسماء الشهداء:

صَلّى الإلهُ على الّذينَ تتابعوا ... يَوْمَ الرَّجيعِ فَأَكْرِموا وَ أَثيبُوا

رأْسُ السَرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَ أَميرهمْ ... و ابْنُ البُكَيْرِ أَمامهُمْ وَ خَبيبُ

و ابنٌ لطارِقَ و ابنُ دَثْنَةَ مِنْهُمُ ... وافاهُ ثَمَّ حِمامُهُ المِكْتوبُ

و العاصِمُ المقْتولُ عِنْدَ رَجيعِهِمْ ... كَسَبَ المعالي إنَّهُ لَكسوبُ

مَنَعَ المقادَةَ أَنْ يَنالوا ظَهْرَهُ ... حتَّى يُجالِدَ إنَّه لَنجيبُ

حفظ التاريخ بين جنباته صورة الأبطال المسلمين، و هم بين أيدي جلاديهم في مشهد إيماني يفيض قوة وصبرا في جنب الله، و وقف الشعر ليخلد هذه الذكرى بلسان أحد شهداء هذه السرية خبيب بن عدي في تصوير واضح في الانتقام وصورة ناطقة عن التعذيب، و لكن ذلك لم يضعف من إيمانه بالله، فالكل يهون في سبيل الله طالما كان الله راضيا عنه[2]:

لَقَدْ جَمَعَ الأَحْزابُ حَوْلي وَ أَلَّبُوا ... قَبائِلَهُمْ وَ اسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ

وَ كُلُّهُمُ مُبْدِي العَداوَةِ جاهِدٌ ... عَلَيَّ لأَنِّي في وِثاقٍ مُضَيَّعِ

وَ قَدْ جَمعوا أَبْناءَهُمْ وَ نِساءَهُمْ ... وَ قُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ

إلى اللهِ أَشْكي غُرْبَتي ثُمَّ كُرْبَتي ... وَ ما أَرْصَدَ الأحزابُ لي عِنْدَ مَصْرَعي

1- عبد الرحمن خليل إبراهيم :دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه و سلم، مرجع سابق، ص338.
2- المرجع نفسه، ص339.

فَـذَا العَـرْشِ صَـبِّرْنِي عَلَـى مـا يُـرادُ بِي ... فَقَـدْ بَضَـعُوا لحْمـي وَ قَـدْ يـاسَ مَطْمَعـي
وَ ذَلِـكَ فِي ذاتِ الإلـهِ وَ إنْ يَشَـأْ ... يُبـارِكْ عَلـى أَوْصـالِ شِـلْوٍ مُمَـزَّعِ
وَ قَـدْ خَـيَّرونِي الكُفْـرَ وَ المـوتُ دُونَـهُ ... وَ قَـدْ هَمَلَـتْ عَيْنـاي مـنْ غـيْرِ مَجْـزَعِ
وَ مـا بِي حِـذَرُ المـوْتِ إنّي لَمَيِّـتٌ ... وَ لكـنْ حَـذاري جَحْـمُ نـارٍ مُلَفَّـعِ
فـوالله مـا أرجـو إذا مـت مسـلما ... علـى أيِّ جَنْـبٍ كـان في الله مَصْـرَعي
فَلَسْـتُ بِمُبْـدٍ لِلْعَـدُوِّ تَخَشُّـعًا ... و لا جَزَعًـا إنّي إلى الله مَرْجعـي

تتوالى الجراح على المسلمين، و هذه المرة مع سرية بئر معونة، حيث غدر أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري بالنفر الذين أرسلهم الرسول صلى الله عليه و سلم معه لتعليم بني عامر الإسلام، و كانوا سبعين من القراء برئاسة المنذر بن عمرو، فماتوا جميعا عدا واحدا ، ما كان الشعر أن يغيب عن هذه الحادثة التي رزئ بها النبي صلى الله عليه و سلم، و ظل يدعو على من قتلهم شهرا فيقول عنها شاعر الإسلام حسان بن ثابت مخلدا ذكراها:

عَلَـى قَتْلَـى مَعونَـةَ فَاسْـتَهِلِّي ... بِـدَمْعِ العَـيْنِ سَـحًّا غَيْـرَ نَـزْرِ
عَلـى خَيْـلِ الرَّسـولِ غَـداةَ لاقَـوْا ... وَ لاقَـتْهُمْ مَنايـاهُمْ بِقَـدْرِ
أَصـابَهُمُ الفَنـاءُ بِعَقْـدِ قَـوْمٍ ... تُخُـوِّنَ عَقْـدُ حَـبْلِهِمُ بِغَـدْرِ
فَيـا لَهْفـي لِمُنْـذِرٍ إذْ تَـوَلَّى ... وَ أَعْنَـقَ فِي مَنِيَّتِـهِ بِصَـبْرِ
وَ كـائِنْ قَـدْ أُصـيبَ غَـداةَ ذاكُـمْ ... مِـنَ أَبْـيَضَ ماجِـدٍ مِـنْ سِـرِّ عَمْـرِو

و في سرية مؤتة وقف الشعر يستنهض الهمم و يقوي العزائم و يشير إلى ما ينشده المسلمون من النصر أو الشهادة في سبيل الله، فألهب المشاعر، و جعل المسلمين يقبلون على الجهاد حاملين راية الإسلام يبذلون في ذلك النفس و النفيس، و من الثابت أن الشعر كان يأخذ دوره الرائد في تسجيل هذه المواقف، و يحقق الأهداف التي

كانت تختفي وراء المطامح المشروعة و قدرة الرجال الصناديد الذين كانوا يسألون الرحمن مغفرة، و استشهادا[1] وهذا ما حفل به شعر عبد الله بن رواحة:

لَكِنَّـــــني أَسْـــــأَلُ الـــــرَّحْمنَ مَغْفِـــــرَةً ... وَ ضَـــــرْبَةٌ ذاتَ فَـــــرْغٍ تَقْـــــذِفُ الزَّبَـــــدا
أَوْ طَعْنَـــــةً بِيَـــــدَيْ حَـــــرَّانَ مُجْهِـــــزَةً ... بِحَرْبَـــــةٍ تُنْفِـــــذُ الأَحْشـــــاءَ وَ الكَبِـــــدا
حَـــــتَّى يُقَـــــالَ إذا مَـــــرُّوا علـــــى جَـــــدَثي ... أَرْشَـــــدَهُ اللهُ مِـــــنْ غـــــازٍ وَ قَـــــدْ رَشَـــــدا

سار جيش المسلمين بقيادة :زيد بن حارثة حتى وصل معان بأرض الشام، و راعه ما بلغه من قوة الروم التي تقدر بمائتي ألف أو تزيد فدب الخوف في قلوبهم، و سيطر على تفكيرهم، وجاء وقوفهم ليلتين في معان دليلا على الخوف و لكن قوة الإيمان و حرارة العقيدة أغرت المؤمنين باستئناف السير للقتال[2]، و هنا يأتي الشعر ليأخذ دوره في هذه المعركة و يسجل هذه المواقف بأحرف من نور على لسان أحد قادة الجيش عبد الله ابن رواحة، فقام خطيبا في القوم: "يا قوم: و الله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة، و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوة و لا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: قد و الله صدق ابن رواحة فمضى الناس[3]، فقال عبد الله بن رواحة في ذلك:

جَلَبْنـــــا الخَيْـــــلَ مِـــــنْ أَجَـــــإٍ وَ فَـــــرْعٍ ... تُغَـــــرُّ مِـــــنَ الحَشـــــيشِ لَهَـــــا العُكـــــومُ
حَـــــذَوْناها مِـــــنَ الصَّـــــوّانِ سِـــــبْتًا ... أَزَلَّ كَـــــأَنَّ صَـــــفْحَتَهُ أَديـــــمُ
أقامَـــــتْ لَيْلَتَـــــيْنِ عَلَـــــى مُعـــــانٍ ... فَأُعْقِـــــبَ بَعْـــــدَ فَتْرَتِهـــــا جمُـــــوم
فَرُحْنـــــا وَ الجِيـــــادُ مُسَـــــوَّماتٌ ... تَـــــنَفَّسُ في مَناخِرِهـــــا السُّمـــــومُ
فَـــــلا وَ أَبي مَـــــآبَ لَنَأتينْهـــــا ... وَ إنْ كانَـــــتْ بِهـــــا عَـــــرَبٌ وَ رُوم
فَعبَّأْنـــــا أَعِنَّتَهـــــا فَجـــــاءَتْ ... عَـــــوابِسَ و الغُبـــــارُ لَهـــــا بَريـــــمُ
بِـــــذي لَجَـــــبٍ كَـــــأَنَّ البَـــــيْضَ فيـــــهِ ... إذا بَـــــرَزَتْ قَوانِسُـــــها النُّجـــــومُ
فَراضـــــيةُ المِعيشَـــــةِ طَلَّقَتْهـــــا ... أَسِـــــنَّتُها فَتَـــــنْكِحُ أَوْ تَئِيـــــمُ

1- نوري حمودي القيسي: شعر الحرب في عصر الرسالة، مرجع سابق، ص9.
2- عبد الرحمن خليل ابراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص408
3- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق سعيد محمد اللحام، مصدر سابق، 8/4.

و في قلب المعركة حين حمى وطيسها، و اشتد لهيبها سجل المسلمون صورا بطولية بقت على مر التاريخ في سجل الخلود، فاحتفى الشعر بتخليد مآثرهم في نصرة الإسلام، و كيف حرك الإيمان في نفوسهم معاني التضحية و الجهاد، فأسلموا نفوسهم رخيصة لله ، وباعوا حياتهم لنشر الرسالة المباركة و وضعوا قدراتهم ، وما يحيطون به من علم وثقافة ومعرفة في تأكيد مبادئ الدعوة، وتوضيح أهدافها المختلفة وتوسيع آفاق حدودها التي عرفتها وتزويد أصحابها بما يجعلهم أكثر قدرة على المقاومة ، وأشد صبرا على الجهاد ، وأصدق التزاما على مصاولة المشركين[1]، فأنشد ابن رواحة أبياتا تحمل معاني السمو و التضحية:

أقْسَـــمْتُ يـــا نَفْـــسُ لَتَنْزِلِنَّـــهْ لَتَنْـــــــــزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّـــــــــهْ
إنْ أَجْلَـــبَ النّـــاسُ وَ شَـــدُّوا الرَّنَّـــهْ مـــــا لِي أَرَاكِ تَكْـــــرهينَ الجَنَّـــــهْ
قَـــدْ طالمـــا قَـــدْ كُنْـــتِ مُطْمَئِنَّـــهْ هَـــلْ أَنْـــتِ إلاَّ نُطْفَـــةٌ في شَـــنّهْ

يتابع الشعر مرافقته لهذه المعركة الخالدة، مسجلا بفخر و اعتزاز تتابع القادة على حمل الراية حتى سقطوا جميعا في ساحة الشرف شهداء امتثالا لوصية رسول الله صلى الله عليه و سلم، إن قتل زيد بن حارثة، فجعفر، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، و يستلم الراية ابن وراحة فيتقدم و يقاتل، و عندما تعالت أصوات الصيحات وحمى وطيس المعركة، و احمرت أسنة الرماح، و تهاوت السيوف، و اشتد وقع النبال كان يقتحم الموت[2] و هو يقول:

يـــا نفـــسُ إلاَّ تُقْتلـــي تمَـــوُتِي هـــذا حِمـــامُ المِـــوْتِ قَـــدْ صَـــليتِ
وَ مـــا تَمَنَّيْـــتِ فَقَـــدْ أُعْطيـــتِ إنْ تَفْعَلـــي فِعْلَهُمـــا هُديـــتِ

1- نوري حمودي القيسي: شعر الحرب في عصر الرسالة، مرجع سابق، ص30.
2- المرجع نفسه، ص13.

أدى شعر عبد الله بن رواحة في سرية مؤتة دوره في دفع المؤمنين إلى الجهاد بقوة العقيدة وروح الإيمان فانطلقوا يواجهون الروم في عزم و إيمان، و كانت المواجهة للقائهم دليلا على قوة الإيمان التي أنست المؤمنين حياتهم و أهليهم فباعوها لله مشترين بها الجنة ونعيمها فكان الاستشهاد[1]، و هكذا سجل الشعر صور التضحية و الجهاد معبرا عن الإيمان الذي سكن في قلوب الصحابة ، وكيف استعذبوا كل شيء من أجل نصرة العقيدة ونشرها بين الناس.

يحدثنا الشعر كذلك عن جفر بن أبي طالب كيف ظل يقاتل ببسالة متنقلا من فرس إلى فرس حتى استشهد مرددا قوله:

يـــــا حبَّـــــذا الجنَّـــــةَ و اقْترابُهـــــا طَيِّبَـــــــةً و بـــــــارِدًا شـــــــرابُها
وَ الـــــرّومُ رومٌ قَـــــدْ دَنـــــا عَـــــذابُها كـــــــافِرَةٌ بَعيـــــــدَةٌ أَنْســـــــابُها

عَلَـــــــيَّ إذْ لاقَيْتُهـــــــا ضِـــــــرابُها

بعد استشهاد القادة الثلاثة زيد و جعفر و عبد الله استلم القيادة خالد بن الوليد ،واستطاع بخطته الحكيمة أن ينسحب بجيش المسلمين قافلا إلى المدينة ،و قد استولى عليهم الحزن لفراق الشهداء فجاءت مراثي الشعراء تعكس هذا الحزن في الإشادة بشجاعتهم و إقدامهم في القتال وفوزهم بنعيم الجنة[2]، و قد صور الشعر حجم الأسى الذي أصاب المسلمين ، فرثاهم حسان بن ثابت بأبيات لاتزال خالدة:

رَأَيْـــتُ خِيـــارَ المـــؤمنينَ تَـــوارَدُوا شَـــعوبَ وَ خَلْفًـــا بَعْـــدَهُمْ يَتَأَخَّـــرُ
فَـــلا يُبْعِـــدَنَّ اللهُ قَتْلـــى تَتـــابعُوا بِمُؤْتَـــةَ مِـــنْهُمْ ذُو الجَنـــاحَيْنِ جَعْفَـــرُ
وَ زَيْـــد وَعَبْـــدُ اللهِ حـــينَ تَتَـــابعوا جَميعًـــا وَ أَسْـــبابُ المَنِيَّـــةِ تَخْطِـــرُ
غَـــداةَ مَضَـــوا بـــالمؤمنينَ يَقُـــودُهُمْ إلى المِـــوْتِ مَيْمـــونُ النَّقيبـــةِ أَزْهَـــرُ

1- عبد الرحمن خليل ابراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص415
2- عبد الرحمن خليل ابراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، مرجع سابق ، ص412

أَغَـــرُّ كَضَـــوْءِ البَـــدْرِ مِـــنْ آلِ هاشِـــمٍ ... أَبِيٌّ إذا سِـــــيم الظُّلامَـــــةَ مِجْسَـــــر
فَطـــاعَنَ حَـــتَّى مـــالَ غَيْـــرَ مُوَسَّـــدٍ ... بِمُعتَـــــرَكٍ فيـــــهِ قَنًـــــا مُتكَسِّـــــرُ
فَصـــارَ مَـــعَ المسْتَشْـــهِدينَ ثَوابُـــهُ ... جِنـــانٌ وَ مُلْتَـــفُّ الحـــدائِقِ أَخْضَـــرُ
وَ كُنَّـــا نَـــرَى في جَعْفَـــرٍ مِـــنْ مُحَمَّـــدٍ ... وَفـــاءً وَ أَمْـــرًا حازِمـــا حـــينَ يَـــأْمُرُ
و مـــا زالَ في الإسْـــلامِ مـــنْ آلِ هاشِـــمٍ ... دَعـــائِمُ عِـــزٍّ لا يَـــزُلْنَ وَ مَفْخَـــرُ
هُـــمُ جَبَـــلُ الإسْـــلامِ و النَّـــاس حَـــوْلَهُمْ ... رِضـــامٌ إلى طَـــوْدٍ يَـــروقُ وَ يَبْهَـــرُ
بَهاليـــلُ مِـــنْهُمْ جعْفَـــرٌ و ابْـــنُ أمِّـــهِ ... عَلـــيٌّ وَ مِـــنْهُمْ أَحْمَـــدُ المتَخَيَّـــرُ
وَ حَمْـــزَةُ وَ العَبَّـــاسُ مِـــنْهُمْ وَ مِـــنْهُمُ ... عَقيـــلٌ وَ مـــاءُ العـــودِ مِـــنْ حيـــثُ يُعْصَـــرُ
بِهِـــمْ تُفْـــرَجُ الـــلَّأْواءُ في كُـــلِّ مَـــأْزِقٍ ... عَمـــاسٍ إذا مـــا ضـــاقَ بالنَّـــاسِ مَصْـــدَرُ
هُـــمُ أَوْلِيـــاءُ اللهِ أَنْـــزَلَ حُكْمَـــهُ ... عَلَـــيْهِمْ وَ فـــيهِمْ ذا الكِتـــابُ المطَهَّـــرُ

رافق الشعر سرية عبد الله بن أنيس، فصور بطولة الفرسان، و إقدامهم في ساحة الوغى، و صور المعركة وبما دار فيها من قتال، و منازلات بين فرسان الطرفين المتحاربين، بالرماح والسيوف[1]، فانساب الشعر على لسان عبد الله بن أنيس مفتخرا بقتله خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي قائلا:

تَرَكْـــتُ ابْـــنَ ثَـــوْرٍ كَـــالحُوارِ وَ حَولَـــهُ ... نَـــوائِحُ تَفْـــري كُـــلَّ جَيْـــبٍ مُقَـــدَّدِ
تَناوَلْتُـــهُ وَ الظُّعْـــنُ خَلْفـــي وَ خَلْفَـــهُ ... بِـــأَبْيَضَ مِـــنْ مـــاءِ الحديـــدِ مُهَنَّـــدِ
عَجُـــومٍ لِهـــامِ الـــدّارِعينَ كَأَنَّـــهُ ... شِـهابُ غَضًا مِـنْ مُلْهَـبٍ مُتَوَقِّـدِأنا ابْـنُ أُنَـيْسٍ
أقـــولُ لـــهُ و السَّـــيْفُ يَعْجُـــمُ رَأْسَـــهُ ... فارِسًـــــا غَيْـــــرَ قُعْـــــدَدِ
أنـا ابـْنُ الَّـذي لَمْ يُـنْـزِلِ الـدَّهْـرُ قِـدْرَهُ ... رَحيـــبُ فِنـــاءِ الـــدَّار غَيْـــرُ مُزَنَّـــدِ
وَ قُلْـــتُ لَـــهُ خُـــذْها بِضَـــرْبَةِ ماجِـــدٍ ... حَنيـــفٍ علـــى ديـــن النَـــبِيِّ مُحَمَّـــدِ
وَ كُنْـــتُ إذا هَـــمَّ النَـــبِيُّ بكَـــافِرٍ ... سَـــبَقْتُ إليـــهِ باللِّسَـــانِ وَ اليَـــدِ

هكذا اقترن الشعر بكثير من مواقف البطولة و الاستبسال ، فنجد الشاعر المسلم يعبر عن مشاعره وأحاسيسه في المواقف التي تمر به تعبيرا وجدانيا صادقا يترجم ما في خلجات نقسه من إخلاص لعقيدته، و إيمان

1- محمد مهداوي : شعر الغزوات أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أغراضه وخصائصه الفنية ، ديوان المطبوعات الجا معية،2009، ص93

بما ينتظره من حسن الجزاء، كما صور الفروسية الإسلامية في أسمى مظاهرها، فجاء شعره سلسلة ملحمية تنظمها فكرة الجهاد في سبيل الله والطمع في جنات النعيم ، مع ما يرافق ذلك من إنسانية الإنسان في بعض المواقف الحاسمة[1]، كما واكب الشعر هذه الأعمال البطولية للصحابة رضي الله عنهم ، فخلد على جبين التاريخ ما سجله هؤلاء العظام من سمو ومجد في سبيل الله.

هكذا واكب شعر السرايا هذه المرحلة المهمة من حياة الأمة الإسلامية، سجل أحداثها، و وقائعها مترجما بذلك حقيقة الصراع العنيف الذي دار بين قوى متناقضة ، و متعارضة جعلها تدخل في أتون حرب بخلفية عقدية، قوى عرفت الحق، فانتصرت له، و أخرى جائرة وقفت في وجهه، و كان من الطبيعي أن يشارك الشعر في هذه الحرب، فأخذ الشعراء على عاتقهم هذه المهمة، و خاضوا غمارها، مستمدين أوزانه من صليل السيوف، وصهيل الخيول ،كما استمدوا أخيلته من النقع المثار، وأفكاره من العقيدة القوية، وعواطفه من الحماسة الملتهبة، وليس من سبب لكثرة هذا الشعر و سعة مجراه، إلا أن هذا العصر كان عصر تأسيس للدولة ، ونشر للدين، فلم يكن وسمه وسم الأناقة والترف، على النهج الذي آلفه بعض الجاهليين، إنما كان شعر منافحة ودفاعا عن الدعوة[2].

و سجل بذلك شعراء الدعوة الإسلامية وقوفهم بجانب النبي صلى الله عليه و سلم في دفاعهم عن رسالة الإسلام السامية، و رفعوا بذلك صوت الإسلام عاليا، لا يستطيع أن يسكته أحد، فشق طريقه نحو البلاغ.

1- نايف معروف : الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين ،مرجع سابق ، ص 221

2- عبد الله الحامد: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، مرجع سابق،ص184.

المبحث الثاني: أغراض شعر السرايا

- الفخر
- الرثاء
- الهجاء
- النقائض

المبحث الثاني: أغراض شعر السرايا

جاء الإسلام فأحدث تغييرا جذريا في مناحي الحياة كلها، و لم يكن الشعر بمنأى عن ذلك، فتأثر الشعر و الشعراء بالرسالة السامية التي جاء بها محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم، الداعية إلى مكارم الأخلاق، و التزام الصدق في دروب الحياة –اعتقادا و قولا و عملا– و تبعا لهذه الروح، سارت أغراض الشعر في الالتزام بمبادئ هذا الدين الجديد، و الدفاع عن قضاياه و نصرته، و بالتالي لم يلتزم شعراء صدر الإسلام بكل الأغراض الشعرية الموجودة آنذاك من التغني بالخمريات و الغزل الصريح، و الهجاء المقذع، و الفخر المجاني للواقع وتمجيد القبيلة، و مجالس اللهو و الغناء، لأنها تنافي روح الإسلام، و لذا جاءت أغراض شعر السرايا تتماشى والقيم النبيلة التي جاء بها الإسلام، و برزت في شعرهم الأغراض النبيلة الجادة التي أملتها طبيعة المتغيرات الحياتية التاريخية الجديدة كمدح رسول الله صلى الله عليه و سلم، الذي أرسله الله سبحانه و تعالى رحمة للعالمين، و الفخر بشجاعة المسلمين و حسن بلائهم، و رثاء عظماء الإسلام الذين سقطوا في سبيل الله شهداء، و هجاء كفار قريش و الرد على شعرائهم الذين هجوا النبي صلى الله عليه و سلم[1]، و من أهم الأغراض التي سنتناولها بالدراسة الفخر، المدح، الهجاء و النقائض، و أغراض أخرى.

1– الفخر:

1–1– لغة:

الفَخْرُ و الفَخَرُ، مثل نَهْرٍ و نَهَرٍ، و الفُخْر و الفَخار و الفَخارةُ، و الفخِّيرى و الفخِّيراءُ: التمدُّح بالخصال و الافتخار و عد القديم، و قد فَخَرَ يَفْخَرُ فَخْرًا و فَخْرَةً حسنة، عن اللحياني، فهو فاخِرٌ و فَخُورٌ، و كذلك

1– سعد بوفلاقة: شعر الصحابة، دراسة موضوعية فنية، منشورات مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات، عنابة–الجزائر، 2007، ص89.

افْتَخَرَ، و تَفَاخَرَ القوم: فَخَرَ بعضهم على بعض، و التفاخُرُ: التعاظم، و الفِخِّير: الكثير الفَخْر، و قوله تعالى "**إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**"[1]، الفَخُور: المتكبر[2].

1-2- اصطلاحا:

عرفه ابن رشيق بقوله: "الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه و قومه، و كل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، و كل ما قبح فيه، قبح في الافتخار"[3]، فالفخر على حد تعبير ابن رشيق هو ضرب من المدح الذاتي يعدد فيه الشاعر مناقبه أو مناقب قومه، و الفخر في الاصطلاح النقدي غرض من أغراض الشعر ينطوي على زهو الشاعر و اعتزازه بنفسه و قومه و هو وليد الأثرة و الإعجاب بالذات، و إذا كان الإنسان مفطورا على حب نفسه و الإدلال بها و بمآثرها، فالشاعر المتميز برهافة الحس، و فصاحة اللسان، و جمال التعبير و التصوير أقدر من سواه على التفاخر و أجدر به[4].

ذهب غازي طليمات و غيره إلى أن الفخر توأم المدح لا يفصل بينهما إلا الاختلاف في الضمائر فالفخر ليس له إلا ضمير المتكلم مفردا و مجموعا، و المدح له الضمائر الأخرى مفردها و جمعها، و مخاطبها وغائبها وعن هذا الزعم ينجم أن كل ما يحسن في المدح من أفكار و صور يحسن في الفخر، و أن كل ما يقبح في أحدهما يقبح في الآخر، و على الزعم المزعوم أكثر النقاد لا كلهم و قدماؤهم أقرب إليه من المحدثين[5].

جاء الإسلام فتسامى بالشعر عن الفخر المذموم بشقيه الفردي و القبلي و تشرب بروح الإسلام و لم يعد يفتخر بالعصبية القبلية و كسب المغنم بل راح يركز على معان جديدة تتمثل في الحرص على نيل الشهادة والفخر بانتصار المؤمنين و بتأييد الملائكة، و التغني بالقيم و الأخلاق التي حبب إليها الإسلام، هكذا كان المسلم يفخر بأقرب وأبعد صلة تصله بالمبادرة إلى الإسلام ، من إسلامه، أو إسلام والديه، أو إسلام أحد أقاربه، لأنه

1 سورة لقمان: الآية 18.

2- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة (فخر)، مج10، ص220-221.

3- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط5، 1981، مج2 ص143.

4- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه – أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الفكر دمشق، ط2، 2007، ص163.

5- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص464.

يعلم أن السبق إلى الإسلام شيء عظيم ، وإن كانت صلة المفتخر بالسابق بعيدة ، فهي جد قريبة في عمل لا يتكرر مرتين[1].

1-3- نماذج من الفخر في شعر السرايا:

في سرية عبيدة بن الحارث يرفع سعد بن أبي وقاص صوته في رميته تلك بأحق الفخر، و فضل السبق وأنبل الذكر، بأنه كان يحمي الصحابة و يذود عنهم بقوة و شجاعة، و أنه أول من رمى بسهم في الإسلام فيقول:

أَلا هَـــــلْ أَتَـــــى رَســـــولَ اللهِ أنِّي حَمَيْـــتُ صَـــحابَتي بِصُـــدورِ نَبْلِـــي
أَذودُ بِـــــها أَوائِلَهُـــــمْ ذِيـــــادًا بِكُـــلِّ حُزونَـــةٍ وَ بِكُـــلِّ سَـــهْلِ
فَمـــــا يَعْتَـــــدُّ رامٍ في عَـــــدُوٍّ بِسَـــهْمٍ يـــا رَســـولَ اللهِ قَبْلـــي

يواصل سعد افتخاره و اعتزازه، و لكن هذه المرة ينوه بالإسلام و الدعاية له حتى يدخل فيه الناس، فهو يفتخر بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم، فهو دين صدق و ذو حق و عدل، فبه ينجى المؤمنون و به يخزى الكافرون فيقول:

وَ ذَلِـــكَ أَنَّ دينَـــكَ ديـــنُ صِـــدْقٍ وَ ذُو حَـــقٍّ أَتَيْـــتَ بِـــهِ وَ عَـــدْلِ
يُنَجِّـــى المؤمنـــونَ بِـــهِ وَ يُخْـــزَى بِـــهِ الكُفّـــارُ عِنْـــدَ مَقـــامِ مَهْـــلِ

فالشاعر حينما يفتخر، فهو ينطلق من روح الدين الإسلامي الذي يدعو إلى الجهاد و الكفاح في سبيل العقيدة، فيجاهر بالإيمان الكامل، و يصدح به مبتغيا بذلك مرضاة الله تبارك و تعالى.

و عن هذا القوس نزع حمزة بن عبد المطلب في سريته إلى سيف البحر، فهو يعتز و يفاخر بأن لواءه أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول:

1- عبد الله الحامد: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، مرجع سابق،ص204.

بِـــــأَمْرِ رَســـــــولِ اللهِ أَوَّلُ خـــــــافِقٍ عَلَيْـــهِ لِـــواءً لَمْ يَكُـــنْ لاحَ مِـــنْ قَبْلِـــي
لِـــواءٌ لَدَيْـــهِ النَّصْـــرُ مِـــنْ ذِي كَرامَـــةٍ إِلـــهٍ عَزيـــزٍ فِعْلُـــهُ أَفْضَـــلُ الفِعْـــلِ

فراح الشاعر يباهي بهذه المكانة التي اختص بها و بالصدق الذي ناله، فالشرف الذي يتفاخر به الشاعر هو الطاعة لله و التفاني في التضحية، و هذا كله ناجم عن الإيمان العميق الذي يتحلى به الشاعر في جهاده وكفاحه.

و اعتز عاصم بن ثابت في يوم الرجيع، و بنى اعتزازه و فخره على ما يملكه من شجاعة و إقدام و صبر ويقين، يحركه في ذلك كله إيمان بالقضاء و القدر الذي كتبه الله عليه فيقول:

مـــا عِلَّـــتي وَ أنـــا جَلْـــدٌ نابِـــلُ وَ القَـــوْسُ فيهـــا وَتَـــرٌ عُنابِـــلُ
تَـــزِلُّ عَـــنْ صَـــفْحَتِها المِعابِـــلُ المِـــوْتُ حَـــقٌّ وَ الحيـــاةُ باطِـــلُ
وَ كُـــلُّ مـــا حَـــمَّ الإلـــهُ نـــازِلُ بِـــالمَرْءِ وَ المَـــرْءُ إلَيْـــهِ آئِـــلُ

إِنْ لَمْ أُقَـــاتِلْكُمُ فـــأُمِّي هابِـــلُ

فالشاعر يفتخر و يفاخر، لكن بروح جديدة مفعمة بالإيمان الصادق، و الإذعان للقدر المكتوب بنفس تأبى الخنوع و الاستسلام و تصر على القتال بقوة و صلابة.

و في القضاء على ابن الأشرف و ابن الحقيق يفتخر حسان بن ثابت بقتلهما، إذ لطالما آذيا رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمين، فبنى افتخاره و اعتزازه هذا على أحداث دونها التاريخ ، و سطر أحداثها المسلمون، راسما الصورة التي ساروا عليها ليلا حاملين أسيافهم الحادة منتصرين لدين الله، فيقول:

للهِ دَرُّ عِصـــــــــابَةٍ لاقَيْـــــــــتُهُمْ يـــا ابْـــنَ الحُقَيْـــقِ وَ أَنْـــتَ يـــا ابْـــنَ الأَشْـــرَفِ
يَسْـــرونَ بـــالبيضِ الخِفـــافِ إلـــيكُمُ مَرَحًـــا كأُسْـــدٍ في عَـــرينٍ مُغْـــرَفِ
حَـــتَّى أَتَـــوْكُمْ في مَحَـــلٍّ بِلادِكُـــمْ فَسَـــقَوْكُمُ حَتْفًـــا بِبِـــيضٍ ذُفَّـــفِ
مُسْتَنْصِـــرينَ لِنَصْـــرِ ديـــنِ نَبِـــيِّهِمْ مُسْتَصْـــغِرينَ لِكُـــلِّ أَمْـــرٍ مُجْحِـــفِ

فتتمثل بصمات الشاعر في فخره و اعتزازه على أنغام من صنعت أيديهم البطولة الممزوجة بالإيمان مستصغرين بذلك لكل أمر مجحف.

في قتل عبد الله ابن أنيس لخالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، الذي كان شديد الأذى للنبي صلى الله عليه و سلم يفتخر عبد الله بحزه لرأس خالد الهذلي، و كيف لبى نداء رسول الله صلى الله عليه و سلم لهذه المهمة مقبلا غير مدبر مستذكرا أمجاد أبيه من قرى الضيوف لا من و لا أذى، و حينما أومضت في ذهنه هذه الصورة المشرقة زادت سيفه حدة و إيمانه شدة ففصل عنق الهذلي، و هو يهتف باسم النبي، و يعاهده على نصرة الإسلام بسنانه و لسانه، و شجاعته و فصاحته[1] قال عبد الله:

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالحُوارِ وَ حَولَهُ ... نَوائِحُ تَفْري كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ
تَناوَلْتُهُ وَ الظُّعْنُ خَلْفي وَ خَلْفَهُ ... بِأَبْيَضَ مِنْ ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ
عَجُومٍ لِهامِ الدّارِعينَ كَأَنَّهُ ... شِهابُ غَضًا مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ
أقولُ لهُ و السَّيْفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ ... أنا ابْنُ أُنَيْسٍ فارِسًا غَيْرَ قُعْدَدِ
أنا ابْنُ الَّذي لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرُ قِدْرَهُ ... رَحيبُ فِناءِ الدَّار غَيْرُ مُزَنَّدِ
وَ قُلْتُ لَهُ خُذْها بِضَرْبَةِ ماجِدٍ ... حَنيفٍ على دين النَبِيِّ مُحَمَّدِ
وَ كُنْتُ إذا هَمَّ النَبِيُّ بكافِرٍ ... سَبَقْتُ إليهِ باللِّسانِ وَ اليَدِ

اتجه الفخر في شعر السرايا اتجاها تشرب بروح الاسلام، فكانت موضوعاته إسلامية الجوانب ، وأكثر ما افتخر الشعراء المسلمون به السبق إلى الاسلام ،والجهاد في سبيل الله، وافتخار الأنصار باحتضان الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة ، وتحول بذلك الفخر من الولاء القبلي وتمجيد القبيلة إلى الولاء للإسلام ونصرته.

1- غازي طليمات و عرفان الأشقر، الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، مصدر سابق، ص469.

2- الرثاء:

2-1- لغة:

الرثاء بكاء الميت و مدحه، جاء في لسان العرب: "رثى فلان فلانا يرثيه رثيا و مرثية إذا بكاه بعد موته قال: فإن مدحه بعد موته قيل: رثاه يرثيه ترثية... و رثوت الميت إذا بكيته، و عددت محاسنه، و كذلك إذا نظمت فيه شعرا"[1].

2-2- اصطلاحا:

الرثاء من الفنون التي جود فيها الشعراء لأنه تعبير عن خلجات قلب حزين، و فيه لوعة صادقة و حسرات حرى، و لذلك فهو من الموضوعات القريبة إلى النفس، لأن الرثاء الصادق تعبير مباشر قلما تشوبه الصنعة أو التكلف[2]، ذلك أنه تصوير حزن الشاعر لموت انسان و استثارة نفس الحزن في السامع أو القارئ[3]، كما عرف كذلك بأنه صناعة الشعر في المرثي بكاءا و ندبا و عزاءا[4]، فهو حزن و بكاء و لوعة و تفجع، و بين الرثاء والمديح نسب، فكلاهما يقوم على الإطراء و ذكر المناقب، فالرثاء يوافق المدح في المعاني، و يخالفه في المشاعر.

و قد سلك الشعراء في رثائهم إحدى ثلاث طرق هي:

أ- الندب: و هو التعبير عن المشاعر في لوعة و تحسر، يقول ابن منظور: "و نَدَبَ الميّت بعد موته من غير أن يقيد ببكاء، و هو من الندب للجراح لأنه احتراق و لذع من الحزن"[5]؛ لأن الندب بكاء الفقيد، فيئن الشاعر و يتفجع و تتفجر دموعه مدرارا، و كأنها لا تريد أن تجف، و تتدفق كلماته بكية حزينة، ثم تنتظم أشعارا تفيض بالحزن و الألم[6].

1- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة (رثا)، مج5، ص160.

2- يحي الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه و فنونه، مؤسسة الرسالة بيروت، ط5، 1986، ص311.

3- محمد النويهي: ثقافة النقد الأدبي، مكتبة الخانجي و دار الفكر، بيروت، ط2، 1969، ص388.

4- حسين جمعه: الرثاء بين الجاهلية و الاسلام، دار و مؤسسة رسلان، سوريا، 2017، ص23.

5- ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، مادة (ندب)، مج14، ص94.

6- عبد الرحمان الشناوي و محمود الرضواني: الأدب في صدر الاسلام و بني أمية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الدراسات الأدبية، 2018 ص45.

ب– التأبين: و هو شكل من أشكال الرثاء، يقول فيه الزمخشري: "أَبَّنَهُ، مدحه و عدّ محاسنه، و هو من باب التفزيع و قد غلب في مدح النادب، تقول: لم يزل يُقَرِّظُ أحياكم و يُؤَبِّنُ موتاكم"[1]، و هناك علاقة نسب بين التأبين و المدح، و هو ليس نواحا و لا نشيجا بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، فالشاعر فيه لا يعبر عن أحزانه هو، و إنما يعبر عن أحزان الجماعة و ما فقدته في هذا الفرد المهم من أفرادها، و لذلك يسجل فضائله و يلح في هذا التسجيل، و كأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفرا، حتى لا تنسى على مر الزمان[2].

ج– العزاء: و فيه يقول المبرد: "و تعزيك الرجل تسليتك إياه، و العزاء هو السلو و حسن الصبر على المصائب و خير من المصيبة العوض منها و الرضى بقضاء الله و التسليم لأمره تنجزا لما وعد من حسن الثواب"[3] و تعني هذه الطريقة أن ينفذ الشاعر من حادثة الموت الفردية، التي هو بصددها، إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، و قد ينتهي به هذا التفكير إلى معاني فلسفية عميقة[4].

2–3– نماذج من الرثاء في شعر السرايا:

كان الرثاء من الأغراض التي لها شأن في شعر السرايا، فالحرب مستعرة و الفتن تتهدد المسلمين، و فقد الرجال تصحب تلك المهمة الجليلة، ألا و هي الجهاد في سبيل الله، و من أهم ما قيل في الرثاء في هذه الفترة قول حسان بن ثابت و هو يبكي خبيبا الذي صلب بمكة:

مـــا بـــالُ عيْنَيْـــكَ لا تَرْقـــا مَـــدامِعُها ... سَـــحًّا علـــى الصَّـــدْرِ مِثْـــلَ اللُّؤْلُـــؤِ القَلِـــقِ
علـــى خُبَيْـــبٍ فَـــتَى الفِتْيـــانِ قَـــدْ عَلِمُـــوا ... لا فَشِـــلٍ حـــينَ تَلْقـــاهُ و لا نَـــزِقِ
فاذْهَـــبْ خُبَيْـــبُ جَـــزاكَ اللهُ طيْبـــةً ... وَ جَنَّـــةَ الخُلْـــدِ عنْـــدَ الحـــورِ في الرُّفَـــقِ

إن هذا البكاء و التفجع نابع من قلب صادق عبر من خلاله عن هول المصاب الذي لامس شغاف قلبه على فقد رجل شهم شجاع لا يعرف الضعف و لا الذلة. و إلى جانب إظهار اللوعة لفراق خبيب، يظهر في

1– الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت–لبنان، ط1، 2006، ص10.
2– عبد الرحمان الشناوي و محمود الرضواني: الأدب في صدر الاسلام و بني أمية، مرجع سابق، ص45.
3– المبرد: كتاب التعازي و المراثي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1996، ص9.
4– عبد الرحمان الشناوي و محمود الرضواني: الأدب في صدر الاسلام و بني أمية، مرجع سابق، ص45.

رثائه التأثر بمعاني القرآن الكريم، و ذلك من خلال استعماله مفردات جديدة ذات طابع اسلامي مثل: "جزاك الله" و "جنة الخلد" و "الحور".

لحسان قطعة شعرية أخرى يجدد فيها بكاءه على خيب، مستعملا أسلوب النداء: "يا عين" لتسخى بدمع مدرار حزنا على زينة الفتيان، صاحب النسب الشريف، فرفع صوته بالشعر ليصور هول ذلك اليوم، و عظم مقتل خبيب، فقال:

يا عينُ جُودي بِدَمْعٍ مِنْكِ مُنْسَكِبِ ... و ابْكي خُبَيْبًا مَعَ الفِتْيانِ لمْ يَؤُبِ
صَقْرًا تَوَسَّطَ في الأنصارِ مَنْصِبَهُ ... سَمْحَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ
قَدْ هاجَ عَيْني على عِلاّت عَبْرَتِها ... إذْ قيلَ نُصَّ إلى جِذْعٍ منَ الخَشَبِ

و يبدو تأثر حسان في مراثيه بمعين القرآن واضحا، فيتوجه إلى الله بالدعاء لأصحاب الرجيع الذين فازوا بالشهادة قائلا:

صَلّى الإلهُ على الّذينَ تتابعوا ... يَوْمَ الرَّجيعِ فَأكْرِموا وَ أَثيبُوا
رأْسُ السَريَّةِ مَرْثَدٌ وَ أَميرهمْ ... و ابْنُ البُكَيْرِ أَمامهُمْ وَ خَبيبُ
و ابنٌ لطارِقَ و ابنُ دَثْنَةَ مِنْهُمُ ... وافاهُ ثَمَّ حِمامُهُ المِكْتوبُ
و العاصِمُ المقْتولُ عِنْدَ رَجيعِهِمْ ... كَسَبَ المعالي إنَّهُ لَكسوبُ
مَنَعَ المِقادَةَ أَنْ يَنالوا ظَهْرَهُ ... حتَّى يُجالِدَ إنَّه لَنجيبُ

فحسان و هو يبكي خبيبا و أصحابه، يبكيهم بروح المؤمن بقضاء الله و قدره، مبينا أن ما أصابهم هو قدرهم المكتوب، مستلهما ذلك من قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**"[1] و بذلك تكلم بلغة لم تكن في الجاهلية؛ فيها الثواب و الجزاء و الدعاء.

1- سورة آل عمران: الآية 145.

في حادثة بئر معونة أرسل حسان نفثات قلبه المكلوم على من سقطوا شهداء في هذه المعركة، موظفا المعاني الدينية و القيم الإسلامية، و عدد مناقب الشهداء في نصرة الإسلام و الذود عنه، فقال:

عَلَـــى قَتْلَـــى مَعونَـــةَ فَاسْـــتَهِلِّي ... بِـــدَمْعِ العَـــيْنِ سَـــحًّا غَيْـــرَ نَـــزْرِ
عَلَـــى خَيْـــلِ الرَّســـولِ غَـــداةَ لاقَـــوْا ... وَ لاقَـــتْهُمْ مَنايـــاهُمْ بِقَـــدْرِ
أَصـــابَهُمُ الفَنـــاءُ بِعَقْـــدِ قَـــوْمٍ ... تُخُـــوِّنَ عَقْـــدُ حَـــبْلِهِمُ بِغَـــدْرِ
فَيـــا لَهْفـــي لِمُنْـــذِرٍ إِذْ تَـــوَلَّى ... وَ أَعْنَـــقَ في مَنِيَّتِـــهِ بِصَـــبْرِ
وَ كـــائِنْ قَـــدْ أُصـــيبَ غَـــداةَ ذاكُـــمْ ... مِـــنَ أَبْـــيَضَ ماجِـــدٍ مِـــنْ سِـــرِّ عَمْـــرِو

كما رثى حسان شهداء مؤتة بقصائد ترجم فيها الأحزان و الآلام التي اختلجت في نفسه تجاه من سقطوا في ساحة الوغى، فاستهل قصيدته بنوع من الإبداع و الابتكار في وضع مطلع غزلي لقصيدة قيلت في الرثاء فذكرى الحبيب قد هيجت له أسباب البكاء و التذكر فقال:

تَـــأَوَّبَني لَيْـــلٌ بِيَثْـــرِبَ أَعْسَـــرُ ... وَ هَـــمٌّ إذا مـــا نَـــوَّمَ النَّـــاسُ مُسْـــهِرُ
لِـــذِكْرَى حَبيـــبٍ هَيَّجَـــتْ لي عَبْـــرَةً ... سَـــفُوحًا وَ أَسْـــبابُ البُكـــاءِ التَّـــذَكُّرُ
بَلَـــى إنَّ فقْـــدانَ الحبيـــبِ بَلِيَّـــةٌ ... وَ كَـــمْ مـــنْ كـــريمٍ يُبْتَلـــى ثُمَّ يَصْبِـــرُ

يمضي حسان في قصيدته مؤبنا أولئك الأبطال و معددا مناقبهم على ضوء الكتاب و السنة، فجاءت مرثيته لهم عامرة بالمعاني القرآنية، و القيم الإسلامية. متمنيا اللحاق بهم ليفوز بالحسنى و زيادة، مازجا ذلك بوجد يثير الأسى والحسرة، فقال:

رَأَيْـــتُ خِيـــارَ المـــؤمنينَ تَـــوارَدُوا ... شَـــعوبَ وَ خَلْفًـــا بَعْـــدَهُمْ يَتَأَخَّـــرُ
فَـــلا يُبْعِـــدَنَّ اللهُ قَتْلـــى تَتـــابعُوا ... بِمُؤْتَـــةَ مِـــنْهُمْ ذُو الجَنـــاحَيْنِ جَعْفَـــرُ
وَ زَيْـــد وَعَبْـــدُ اللهِ حـــينَ تَتَـــابعوا ... جَميعًـــا وَ أَسْـــبابُ المَنِيَّـــةِ تَخْطِـــرُ

إلى أن قال:

هُـــمُ أَوْلِيـــاءُ اللهِ أَنْـــزَلَ حُكْمَـــهُ ... عَلَـــيْهِمْ وَ فـــيهِمْ ذا الكِتـــابُ المطَهَّـــرُ

شارك كعب بن مالك بقية الشعراء الذين رثوا شهداء مؤتة بعبارات مملوءة بروح الإيمان و مفعمة بصدق المشاعر، فإذا هو شاعر إسلامي يستلهم أفكاره من الكتاب و السنة و يرسم صوره كما رسمتها سيوف الشهداء ورماحهم. مستمدا مشاعره الملتهبة من اصطراع التوحيد و الشرك، فالشهداء لم يحرصوا على فوت الموت، بل صدقوا ما عاهدوا الله و النبي عليه، فباركهم الله بالصلاة عليهم. ذلك أن ركب الشهداء سار في ركاب جعفر أعلى القادة راية، و أسمى الرادة غاية، و أعظمهم سؤددا، و أكرمهم محتدا، و حسبه نبلا و فضلا أن غصن نضير من أيكة بني هاشم التي عصم الله بها الأمة، و شرفها بالوحي المنزل و النبي المرسل[1]. جاء شعر كعب بن مالك معبرا بذلك عن أصدق المشاعر فقال:

نـــامَ العيـــونُ وَ دَمْـــعُ عَيْنِـــكَ يَهْمُـــلُ ... سَـــحًا كَمـــا وَكَـــفَ الطِّبـــابُ المِخْضِـــلُ
فِي لَيْلَـــــةٍ وَرَدَتْ عَلَـــــيَّ هُمومُهـــــا ... طَـــــوْرًا أَخِـــــنُّ و تـــــارَةً أَتَمَلْمَـــــلُ
وَ اعْتـــــادِنِي حُـــــزْنٌ فَبِـــــتُّ كـــــأَنَّنِي ... بِبَنـــــاتِ نَعْـــــشٍ و السَّـــــماكِ مُوَكَّـــــلُ
وَ كأَنَّمـــــا بَـــــيْنَ الجَـــــوانِحِ وَ الحَشـــــا ... ممّـــــا تَـــــأَوَّبَنِي شِـــــهابٌ مُـــــدْخَلُ
وَجْـــدًا علـــى النَّفَـــرِ الّـــذين تَتـــابعوا ... يَوْمًـــــا بمؤتـــــةَ أُسْـــــنِدوا لَمْ يُنْقلـــــوا
صَـــلَّى الإلـــهُ علـــيْهِمُ مـــنْ فِتْيَـــةٍ ... وَ سَـــقَى عِظـــامَهُمُ الغَمـــامُ المسْـــبِلُ
صـــبَروا بمؤْتَـــةَ للإلـــهِ نُفوســـهُمْ ... حَـــذَرَ الـــرِّدى وَ مخافَـــةً أنْ يَنْكُلـــوا

على هذا النحو من الاعتزاز بالإسلام و الدفاع عن الحق، و طلبا لإحدى الحسنيين: إما النصر و إما الشهادة، رخص في أعينهم كل ما يلاقونه في طريق الجهاد، فمن أصيب بجارحة رثاها و احتسبها عند الله و من لقى وجه ربه احتسبه ذوه، و شيعه الشعراء بما يليق به من تمجيد لم يظفر بمثله غير الشهداء[2]، والرثاء في العصر الإسلامي يختلف – في بعض جوانبه- عما عهدناه عند شعراء الجاهلية من ذرف للدموع وأسى في القلوب وحداد على الأموات، فالشاعر الإسلامي إنسان ملتزم بعقيدة دينية تحدد له موقعه في هذا الكون الفسيح ، وتبين له سبب وجوده في الحياة الدنيا التي لا تعدو أن تكون جسر عبور من عالم الفناء إلى عالم الخلود الأبدي ،حيث

1- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، دار الفكر – دمشق، ط1، 2007، ص214.
2- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص216.

تنصب الموازين بالقسط ،فإما إلى حياة النعيم وإما إلى عذاب الجحيم وهكذا ،فإن مضامين شعره ستكون مشبعة بالقيم والمعاني الإسلامية[1]، و هكذا حمل الرثاء في شعر السرايا معاني جديدة قائمة على التسليم بقضاء الله وقدره و الصبر على الاختبار احتسابا و طلبا للأجر.

3 – الهجاء

3-1- لغة:

هو الشتم بالشعر، جاء في لسان العرب : "هَجاه يَهْجُوه هَجْوًا و هجاء و تَهْجاء، ممدود: شتمه بالشعر و هو خلاف المدح، قال الليث: هو الوقيعة في الأشعار ... و هم يَتَهَاجَوْن: يهجو بعضهم بعضا، و بينهم أُهْجَوَّةٌ و أُهْجِيَّةٌ و مُهاجاةٌ يَتَهَاجَوْنَ بها"[2].

3-2- اصطلاحا:

يعد الهجاء من أهم الفنون الشعرية عند العرب، يقول واضح الصمد : "الهجاء من الأغراض الشعرية الهامة التي مارسها الشعراء العرب في الجاهلية، حيث تعرضوا فيه إلى الأعراض وذكروا المثالب والعورات، وعيّروا بعضهم بالأيام، وصبّوا فيه جامّ غضبهم، فازدهر كثيرا، وأصبح له أثره الكبير في نفوس الناس"[3].

في ذروة الصراع القائم بين المسلمين و المشركين، لجأ المشركون إلى الشعر يهجون به الاسلام و المسلمين مما استدعى أن يرد عليهم الشعراء المسلمون، و لكن وفق ما تمليه مبادئ الدين الجديد من عدم التعرض للإنسان بالكلمات النابية و المعاني الفاحشة، لأن الإسلام الذي يكرم الإنسان و أنزله مكانة عالية تمييزا له عن المخلوقات كافة قد أبطل قذفه بالكلمات النابية و اللاذعة، و المعاني الفاحشة، و أنكر التعرض لحرمات البشر و مس

1- نايف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، دار النفائس للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1990، ص225

2 – ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة (هجا)، مج15، ص48.

3 – واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، مرجع سابق، ص131.

كراماتهم[1]، و هكذا لم ينه الرسول صلى الله عليه وسلم شعراءه عن الهجاء، و لكن وجههم و ما يتماشى مع المعايير الشرعية و الخلقية لهذا الدين الحنيف.

إن طبيعة الحرب التي دارت بين الفريقين أدت إلى اقترن الهجاء بالقتال، فازدهر فن الهجاء بنوعيه الفردي والجماعي، وبرز فيه شعراء مسلمون في هذا الميدان، ولكن اختلف عن الهجاء القديم إذا لم يكن تسرعا بالشعر إلى أعراض الناس، ولا قذفا بألوان الشتائم والمساوئ، وإنّما كان هجاء لمن ضل عن طريق الحق وتنكب سبيل الهداية[2]، فعرض لأحوال المنافقين و سلوكهم فقرع أعمالهم، و صور ملذاتهم و أظهر انغماسهم في متع الدنيا الفانية، وأنب كذبهم و نفاقهم، من دون شتم و سباب و دعاهم إلى التوبة إلى الله و طلب مغفرته، مستعملا في النتيجة أسلوب الترغيب في دخول الإسلام[3].

لما كان للشعر دوره في هذه المعركة دفع كل فريق بشعرائه إلى هذه الحرب الكلامية، فانبرى لإسكات صوت الباطل فرسان الكلمة من أمثال حسّان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحة، فكان حسّان وكعب يعارضانهم و يهجوانهم بمثل قولهم بالوقائع و الأيّام و المآثر، و يعيرانهم بالمثالب، و كان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسّان وكعب، و أهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا و فقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة[4].

3-3- نماذج من الهجاء في شعر السرايا:

ظهر في شعر السرايا هذا اللون الهجائي عند شاعر الإسلام حسّان بن ثابت، وذلك في سرية الرجيع لما غدرت هذيل بخبيب وأصحابه وسلمتهم إلى قريش، ناقضة بذلك العهد والميثاق، فهجاها بأبيات يعيّرها فيها بالغدر والخيانة فيقول:

أَبْلِغْ بَني عَمْرو بأنَّ أخاهمُ شَراهُ امرؤٌ قدْ كانَ للغَدْرِ لازِما

1- مندور معاليقي: أدب عرب الجاهلية و الإسلام، مرجع سابق، ص167.
2- سامي مكي العاني: الاسلام و الشعر، مرجع سابق، ص116.
3- مندور معاليقي: أدب عرب الجاهلية و الإسلام، مرجع سابق، ص167.
4 - واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، المصدر السابق، ص 131-132.

شَـــراهُ زُهَيْـــرٌ بـــنُ الأَغَـــرِّ وَ جـــامِعٌ و كانـــا جميعًـــا يَرْكبـــانِ المحارِمـــا
أَجَـــرْتُمْ فَلَمّـــا أَنْ أَجَـــرْتُمْ غَـــدَرْتُمُ و كنْـــتُمْ بِأكْنـــافِ الرَّجيـــعِ لهاذِمـــا
فَلَيْـــتَ خُبَيْبًـــا لمْ تَخُنْـــهُ أَمانَـــةٌ وَ ليْـــتَ خُبَيْبًـــا كـــانَ بـــالقَوْمِ عالِمـــا

فالشاعر يُعَرِّض بهذه القبيلة التي خرجت بقضها و قضيضها على جماعة قليلة العدد قد أجاروهم فأمنوا لهم، لكنهم أخلفوا العهد والوعد، وكانوا بذلك سبّة العرب.

يواصل حسّان رميه عن هذا القوس بالتهجم والتهكم على القوم الذين لا وفاء لهم ولا ذمة، وسمتهم الغدر والخيانة، فخص بني هذيل بغدر محض لا يشوبه شوب من وفاء و رد هذا الغدر إلى الجذر، فجعله طبعا متوارثا فيهم ينقله الولد عن الوالد، و وصفهم بخيانة الجار، و عرض بنزوعهم إلى الفاحشة حين قرنهم بالكلاب و القرود و فضل عليهم التيوس[1]، فقال:

إنْ سَـــرَّكَ الغَـــدْرُ صِـــرْفًا لا مِـــزاجَ لَـــهُ فـــاتِ الرَّجيـــعَ فَسَـــلْ عَـــنْ دارِ لَحْيـــانِ
قَـــوْمٌ تَواصـــوا بأَكْـــلِ الجـــارِ بَيْـــنَهُمْ فالكَلْـــبُ و القِـــرْدُ و الإنســـانُ مِـــثْلانِ
لـــوْ يَنْطِـــقُ التِّـــيسُ يَوْمًـــا قـــامَ يَخْطُـــبُهُمْ و كـــانَ ذَا شَـــرَفٍ فـــيهِمْ و ذا شـــانِ

يُقذع حسّان في هجائه لدار بني لحيان، فالكلب أوفى ذمة بالعهد من بني لحيان، و لا يتورع حسان عن الإقذاع في شعره إذا كان الأمر يستوجب ذلك، و لقد ذكر ابن هشام أنه كان يترك بعض الأبيات من شعره لأنه أقذع فيها.

يتمادى حسان في التنديد بهذيل؛ لأنها حين أرادت الإسلام طلبت من رسول الله أن يحل لها الزنا، فهو يعيرهم بالفحش، فيقول:

ســـالتْ هُـــذَيْلٌ رَســـولَ اللهِ فاحِشَـــةً ضَـــلَّتْ هُـــذَيْلٌ بمـــا ســـالتْ وَ لمْ تُصِـــبِ
ســـالُوا رَسُـــولَهُمُ مـــا لَـــيْسَ مُعْطِـــيهِمْ حـــتَّى المِمـــاتَ وَ كـــانوا سُـــبَّةَ العَـــرَبِ
وَ لَـــئِنْ تَـــرَى لِهُـــذَيْلٍ داعِيًـــا أَبَـــدًا يـــدْعو لمَكْرُمَـــةٍ عَـــنْ مَنْـــزِلِ الحـــرْبِ
لَقَـــدْ أرادُوا خِـــلالَ الفُحْـــشِ وَيْحَهُـــمْ و أنْ يُحِلُّـــوا حَرامًـــا كـــانَ في الكُتُـــبِ

1- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص227.

و لحسان قصيدة أخرى استهلها بقبح ما صنعت هذيل، و العار الذي لحقها، و الجريمة التي ارتكبتها والغدر الذي وقعت فيه، و ذلك كله بسبب غدرها لخبيب و أصحابه، فكانوا بذلك أشد الناس حقارة و خسة فيقول:

لَعَمْري لَقَدْ شانَتْ هُذَيْلَ بنَ مُدْرِكٍ ... أحاديثُ كانَتْ في خُبَيْبٍ وَ عاصِمِ
أحاديثُ لَخْيانٍ صَلُوا بِقَبيحِها ... وَ لَخْيانُ جَرَّامونَ شَرَّ الجرائِمِ
أُناسٌ هُمُ مِنْ قَوْمِهِمْ في صَميمِهِمْ ... بمَنْزِلَةِ الزِّمْعانِ دُبْرَ القَوادِمِ
هُمُ غَدَروا يَوْمَ الرَّجيعِ و أَسْلَمَتْ ... أَمانَتُهُمْ ذَا عِفَّةٍ وَ مكارِمِ
رَسولَ رَسولِ اللهِ غَدْرًا وَ لَمْ تَكُنْ ... هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَراتِ المحارِمِ

أقذع حسان في قوله و أمعن في هجائه لبني لحيان لما استعمل كلمة "قُبَيْلَةَ" تحقيرا و تصغيرا لها، فهم قوم لا وفاء لهم و لا ذمة فيقول:

قُبَيِّلَةٌ لَيْسَ الوَفاءُ يَهُمُّهُمْ ... وَ إنْ ظُلِموا لَمْ يَدْفَعوا كَفَّ ظالِمِ
إذا النّاسُ حَلُّوا بِالفَضاءِ رَأَيْتَهُمْ ... بِمَجْرَى مَسيلِ الماءِ بَيْنَ المخارِمِ
مَحَلُّهُمُ دارُ البَوارِ وَ رَأْيُهُمْ ... إذا نابَهُمْ أمْرٌ كَرَأْيِ البَهائِمِ

لم يكن حسان وحده الذي هجا قريشا، فقد كان إلى جانبه كعب بن مالك، فها هو في بئر معونة يهجو بني جعفر بني كلاب، فيعيرهم بإخفار الذمة و نقض العهد، إشارة في ذلك إلى غدر عامر بن الطفيل بالمسلمين فأنشد يقول:

تَرَكْتُمْ جارَكُمْ لِبَني سُلَيْمٍ ... مَخافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزًا وَ هُونا
فَلَوْ حَبْلاً تناوَلَ مِنْ عُقَيْلٍ ... لَمَدَّ بحَبْلِها حَبْلاً مَتِينا
أَوِ القُرَطاءِ ما إنْ أَسْلَمُوهُ ... وَ قِدْمًا ما وَفَوْا إذْ لا تَفُونا

و أبرز ما يميز هجاء كعب طهارة العبارة و البراءة من البذاءة و مجانبة الخوض في الأعراض، و الاعتماد على السخر القاتل و التهكم الموجع[1]، لأن كعبا لم يكن يهجو ليثأر و يظهر بل ليؤدب و يهذب و يردع الأرعن عن كفره، و يحمله على الجادة[2].

4- النقائض:

4-1- لغة:

النقض لغة: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، و في الصحاح: النَّقْضُ نَقْضُ البناء و الحبل و العهد ... ونَاقَضْته، هي مفاعلة من نقض البناء و هو هدمه، و المناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه. و كذلك المناقضة في الشعر ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول، و النقيضة الاسم يجمع على النقائض[3].

4-2- اصطلاحا:

أن يتوجه الشاعر بقصيدة يهجو بها شاعرا آخر، و يسخر منه، و من قبيلته، و يفخر بنفسه و قومه، وبما لهم من أمجاد و مكانة، فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة -و غالبا ما تكون القصيدة الثانية على وزن القصيدة الأولى و على القافية نفسها- ناقضا ما جاء به الشاعر الأول من معان و صور مضيفا إليها فخرا أو هجاء[4].

جذور النقائض ضاربة في غور العصر الجاهلي صنعتها العصبيات المتفاخرة، و طورتها الأحداث المتعاقبة حتى أبلغتها ما بلغته من اكتهال في عصر النبوة[5]، و قدا ستغل الشعراء فن النقائض في الصراع الشعري بين مكة و المدينة في عصر الرسالة[6].

1- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص70.
2- المرجع نفسه: ص71.
3- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مادة (نقض)، 289/14.
4- الشايب أحمد: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1998، 1/ 3.
5- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، مرجع سابق، ص230.
6- عبد الرحمان الشناوي و محمود الرضواني: الأدب في صدر الاسلام و بني أمية، مرجع سابق، ص41.

4-3- نماذج من النقائض في شعر السرايا

في الحرب التي دارت بين أهل الإسلام و أهل الكفر ساهم الشعراء كذلك بدورهم في هذه المعركة، فدافع شعراء المسلمين على المبادئ و القيم التي جاء بها الإسلام، و في المقابل رفض المشركون هذا الدين الجديد ووقفوا في وجهه و وظفوا كل ما يملكون للحيلولة دون انتشاره، و في سرية عبيدة ابن الحارث إلى رابغ وقف أبو بكر الصديق يهدد و يتوعد قريشا لوقوفها في وجه الرسالة السامية التي جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، و التي مبناها الحق و التقوى، فقال:

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمى بِالبِطاحِ الدَّمائِثِ ... أَرِقْتَ وَ أَمْرٍ في العَشيرةِ حادِثِ
تَرَى مِنْ لُؤيٍّ فُرْقَةً لا يَصُدُّهَا ... عَنِ الكُفْرِ تَذْكيرٌ وَ لا بَعْثُ باعِثِ
رَسولٌ أَتاهُمْ صادِقٌ فَتَكَذَّبُوا ... عَلَيْهِ وَ قالُوا: لَسْتَ فِينَا بِماكِثِ
إذا ما دَعَوْناهُمْ إلى الحَقِّ أَدْبَرُوا ... وَ هَرُّوا هَريرَ المُحْجِراتِ اللَّواهِثِ
فَكَمْ قَدْ مَتَتْنا فيهِمُ بِقَرابَةٍ ... وَ تَرْكُ التُّقى شَيْءٌ لَهُم غَيْرُ كارِثِ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَ عُقُوقِهِمْ ... فَما طَيِّباتُ الحِلِّ مِثْلَ الخَبائِثِ
وَ إِنْ يَرْكَبُوا طُغْيانَهُمْ وَ ضَلالَهُمْ ... فَلَيْسَ عَذابُ اللهِ عَنْهُمْ بِلابِثَ
وَ نَحْنُ أُناسٌ مِنْ ذُؤابَةِ غالِبٍ ... لَنا العِزُّ مِنْهَا في الفُرُوعِ الأَثائِثِ

فأجابه عبد الله بن الزّبعرى بقصيدة من نفس البحر و القافية يدافع فيها عن قومه، و يفتخر بالشجاعة التي يمتازون بها، و بأنهم غير مكترثين لما قام به ابن الحارث، فقال مفتخرا بذلك:

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ أَقْفَرَتْ بِالعَثاعِثِ ... بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُها غَيْرُ لابِثِ
وَ مِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ وَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ... لَهُ عَجَبٌ مِنْ سابِقاتٍ وَ حادِثِ
لِجَيْشٍ أَتانا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ ... عُبَيْدَةُ يُدْعَى في الهِياجِ ابْنَ حَارِثِ
لِنَتْرُكَ أَصْنامًا بِمَكَّةَ عُكَّفًا ... مَواريثَ مَوْرُوثٍ كَريمٍ لِوارِثِ
فَلَمَّا لَقِيناهُمْ بِسُمْرٍ رُدَيْنَةٍ ... وَ جُرْدٍ عِتاقٍ في العَجاجِ لَواهِثِ
وَ بِيضٍ كَأَنَّ المِلْحَ فَوْقَ مُتُونِهَا ... بِأَيْدِي كُمَاةٍ كَاللُّيُوثِ العَوائِثِ
نُقِيمُ بِهَا إِصْعَارَ مَنْ كانَ مائِلاً ... وَ نَشْفِي الذُّحُولَ عاجِلاً غَيْرَ لابِثِ
فَكَفُّوا عَلَى خَوْفٍ شَديدٍ وَ هَيْبَةٍ ... وَ أَعْجَبَهُمْ أَمْرٌ لَهُمْ أَمْرُ رَائِثِ

في سرية حمزة إلى سيف البحر حين خرج و معه ثلاثون رجلا يعترض عيرا لقريش، و التقى الفريقان واصطفوا للقتال، فمشى بينهم مجدي بن عمر الجهني، و كان حليفا للفريقين، فلم يقتتلوا و فيها يقول حمزة بن عبد المطلب يفاخر بأمر الإسلام و يتعجب من إعراض القوم عنه، فقال:

أَلا يـــا لَقَـــوْمِي لِلـــتَّحَلُّمِ وَ الجَهْـــلِ ... و لِلـــنَّقْصِ مِـــنْ رَأيِ الرِّجـــالِ وَ لِلْعَقْـــلِ
و للرّاكِبِينَـــــا بِالمظـــــالِمِ لَمْ تَطَـــــأْ ... لَهُـــمْ حُرُمـــاتٍ مِـــنْ سَـــوامٍ وَ لا أَهْـــلِ
كَأَنَّـــا تَبَلْنـــاهُمْ وَ لا تَبْـــلَ عِنْـــدَنا ... لَهُـــمْ غَيْـــرُ أَمْـــرٍ بِالعَفـــافِ وَ بِالعَـــدْلِ
وَ أَمْـــرٍ بِإِسْـــلامٍ فَـــلا يَقْبَلُونَـــهُ ... وَ يَنْـــزِلُ مِـــنْهُمْ مِثْـــلَ مَنْزِلَـــةِ الهَـــزْلِ
فَمـــا بَرِحُـــوا حَـــتَّ ابْتَـــدَرْتُ لِغـــارَةٍ ... لَهُـــمْ حَيْـــثُ حَلُّـــوا أَبْتَغِـــي رَاحَـــةَ الفَضْـــلِ

فرد عليه أبو جهل بقصيدة يناصر فيها قومه و يفتخر بدين الآباء و الأجداد، و أنه و قومه واقفون لهم بالسيوف و النبل:

عَجَبْـــتُ لأَسْـــبابِ الحَفيظَـــةِ وَ الجَهْـــلِ ... وَ لِلشَّـــــاغِبينَ بِـــــالخِلافِ وَ بِالبُطْـــــلِ
وَ لِلتَّـــارِكِينَ مـــا وَجَـــدْنا جُـــدُودَنا ... عَلَيْـــهِ ذَوِي الأَحْســـابِ وَ السُّـــؤْدَدِ الجَـــزْلِ
أَتَوْنـــا بِإِفْـــكٍ كَـــيْ يُضِـــلُّوا عُقولَنـــا ... وَ لَـــيْسَ مُضِـــلاًّ إِفْكُهُـــمْ عَقْـــلَ ذِي عَقْـــلِ
فَقُلْنـــا لَهُـــمْ: يـــا قَوْمَنـــا لا تُخـــالِفُوا ... علـــى قَـــوْمِكُمْ إِنَّ الخِـــلافَ مَـــدَى الجَهْـــلِ
فَـــإِنَّكُمْ إِنْ تَفْعَلُـــوا تَـــدْعُ نِسْـــوَةٌ ... لَهُـــنَّ بَـــواكٍ بِالرَّزِيَّـــةِ وَ الثُّكْـــلِ

بعد غزوة بدر الكبرى ترامى الشعراء بالقصيد، فبكت قريش قتلاها، لما خلفته غزوة بدر من ألم كبير وجرح غائر في نفوس الكافرين، فرثى شعراء المشركين قتلى بدر، و شاركهم في هذا الرثاء كعب بن الأشرف اليهودي، حيث خاف كعب على مكانة قومه بالمدينة فأتى مكة، و أخذ ينشد الأشعار و يبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر، و يعدد بعض مآثرهم في الجاهلية[1] فقال:

طَحَنَـــتْ رَحـــا بَـــدْرٍ لِمُهْلَـــكِ أَهْلِـــهِ ... وَ لِمِثْـــلِ بَـــدْرٍ تَسْـــتَهِلُّ وَ تَـــدْمَعُ
قُتِلْـــتْ سَـــراةُ النّـــاسِ حَـــوْلَ حِياضِـــهِمْ ... لا تَبْعَـــــدُوا إِنَّ الملـــــوكَ تُصَـــــرَّعُ
كَـــمْ قَـــدْ أُصـــيبَ بِـــهِ مِـــنَ أَبْـــيَضَ ماجِـــدٍ ... ذِي بَهْجَـــةٍ تَـــأْوِي إِلَيْـــهِ الضُّـــيَّعُ

1- سعد بوفلاقة: شعر الصحابة، دراسة موضوعية فنية، مرجع سابق، ص210.

طَلْقِ اليَدَيْنِ إذا الكَواكِبُ أَخْلَفَتْ ... حَمَّالِ أَثْقالٍ يَسودُ وَ يَرْبَعُ
وَ يَقولُ أَقْوامٌ أُسَرُ بِسُخْطِهِمْ: ... إنَّ ابْنَ الأَشْرَفِ ظَلَّ كَعْبًا يَجْزَعُ

فأجابه حسان بن ثابت يرد عليه قائلا:

أَبْكاهُ كَعْبٌ ثُمَّ عُلَّ بِعَبْرَةٍ ... مِنْهُ وَ عاشَ مُجَدَّعًا لا يَسْمَعُ
وَ لَقَدْ رَأَيْتُ بِبَطْنِ بَدْرٍ مِنْهُمُ ... قَتْلَى تَسُحُّ لها العُيونُ وَ تَدْمَعُ
فَأَبْكي فَقَدْ أَبْكَيْتَ عَبْدًا راضِعًا ... شِبْهَ الكُلَيْبِ إلى الكُلَيْبَةِ يَتْبَعُ
وَ لَقَدْ شَفَى الرَّحْمنُ مِنَّا سَيِّدًا ... وَ أَهانَ قَوْمًا قاتَلوهُ وَ صُرِّعُوا
وَ نَجا وَ أَفْلَتَ مِنْهُمُ مَنْ قَلْبُهُ ... شَعَفٌ يَظَلُّ لِخَوْفِهِ يَتَصَدَّعُ

لم يقتصر شعر النقائض على الرجال فقط، و إنما شاركت فيه النساء، فهذه عصماء بنت مروان كانت تعيب الإسلام و تهجو المسلمين، فأمر النبي صلى الله عليه و سلم بقتلها حيث تقول:

بِاسْتِ بَني مالِكٍ و النَّبيتِ ... وَ عَوْفٍ وَ بِاسْتِ بَني الخَزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أتاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ ... فَلا مِنْ مُرادٍ وَ لا مَذْحِجِ
تُرَجُّونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤوسِ ... كَما يُرْتجى مَرَقُ المُنْضِجِ
أَلا أَنِفٌ يَبْتَغي غِرَّةً ... فَيَقْطَعَ مِنْ أَمَلِ المُرْتَجي

فتصدى لها شاعر الإسلام حسان بن ثابت بقطعة يهجو فيها من تحصنت بهم و يفخر بالفتى الذي قام بقتلها، فقال:

بَنُو وَائِلٍ وَ بَنُو واقِفٍ ... وَ خَطْمَةَ دُونَ بَني الخَزْرَجِ
مَتى ما دَعَتْ سَفَهًا وَيْحَها ... بِعَوْلَتِها وَ المنايا تَجي
فَهَزَّتْ فَتًى ماجِدًا عِرْقُهُ ... كَريمَ المَداخِلِ وَ المَخْرَجِ
فَضَرَّجَها مِنْ نَجيعِ الدِّمَا ... ءِ بَعْدَ الهُدُوِّ فَلَمْ يَخْرَجِ

و هذه الصحابية الجليلة ميمونة بنت عبد الله تجيب كعب بن الأشرف حينما رثى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر و التي مطلعها:

طَحَنَتْ رَحا بَدْرٍ لِمُهْلَكِ أَهْلِهِ وَ لِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَ تَدْمَعُ

فردت عليه بقولها:

تَحَنَّنَ هَذا العَبْدُ كُلَّ تَحَنُّنٍ يَبْكي عَلَى قَتْلَى وَ لَيْسَ بِناصِبِ
بَكَتْ عَيْنُ مَنْ بَكَّى لِبَدْرٍ و أَهْلِهِ وَ عُلَّتْ بِمِثْلَيْها لُؤَيُّ بْنُ غالِبِ
فَلَيْتَ الذينَ ضُرِّجُوا بِدِمائِهِمْ يَرَى ما بِهِمْ مَنْ كانَ بَيْنَ الأَخاشِبِ
فَيَعْلَمَ حَقًّا عَنْ يَقينٍ وَ يُبْصِرُوا مَجَرَّهُمْ فَوْقَ اللِّحَى وَ الحَواجِبِ

هكذا شاركت الشواعر، إلى جانب الشعراء في الحرب الكلامية التي دارت بين المعسكرين، و ساهمت المرأة المسلمة في هذه المعركة، و لقد كان دور المرأة واضحا منذ بداية الدعوة الاسلامية فكان منهن المناصرات للإسلام و المسلمين، و منهن من وقفن في وجهه يهجون المسلمين[1].

كان الصراع الفكري والديني –بين المسلمين والمشركين– ذا أثر فعال في تطوير الحياة الأدبية عامة، وفن الشعر – هجاء و رثاء، وتحفيزا للهمم وإلهاب القرائح، فكانت النقائض الشعرية في عصر النبوة حربا كلامية احتفظ فيها الشعراء بطبعهم الأصيل[2]مع اختلاف أو اضطراب ما بين قوة جاهلية ، وسهولة اسلامية، خضوعا للتجديد أو السرعة أو تغير الموضوع ومفاجآته. وانتصر كل فريق منهما للدفاع عن مشاربه و مذاهبه.

5– أغراض أخرى:

كما ظهرت أغراض أخرى كالوعظ الديني، والجهاد والشكوى، والتوجه إلى الله، وهذه أنماط فرضها الواقع الجديد، ففي الجهاد نجد معاني إسلامية حلت مكان القيم الجاهلية، فالجنة أمنية يتمناها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول في يوم مؤتة:

يا حَبَّذا الجَنَّةَ و اقْترابُها طَيِّبَةً و بارِدًا شَرابُها
وَ الرّومُ رومٌ قَدْ دَنا عَذابُها كافِرَةٌ بَعيدَةٌ أَنْسابُها

1– سعد بوفلاقة: شعر النساء في صدر الاسلام و العصر النبوي، دار المناهل، بيروت–لبنان، ط1، 2007، ص190.
2– سليمان بن عبد الرحمان الزهير: الحركة الأدبية في المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و الخلفاء الراشدين ،مرجع سابق، ص132

عَلَـيَّ إذْ لاقَـيْـتُـها ضِـرابُـهـا

أما في موضوع الشكوى، فهو غرض من أغراض الشعر، يعبر به الشاعر عن مصاب نزل به أو بقومه لعله يجد من يشكيه، ويعينه على الخلاص مما يعانيه[1] ووجد خبيب رضي الله عنه في صدق الالتجاء إلى الله مجالا رحبا لبث الشكوى و الحزن فقال يشكو غربته وكربته ويدعوا الله أن يصبره:

لَقَـدْ جَمَـعَ الأَحْـزابُ حَـوْلِي وَ أَلَّبُـوا ... قَبـائِلَهُمْ وَ اسْـتَجْمَعُوا كُـلَّ مَجْمَـعِ
وَ كُلُّهُـمُ مُبْـدِي العَـداوَةِ جاهِـدٌ ... عَلَـيَّ لأَنِّي في وِثـاقٍ مُضَيَّـعِ
وَ قَـدْ جَمعـوا أَبْنـاءَهُمْ وَ نِسـاءَهُمْ ... وَ قُرِّبْـتُ مِـنْ جِـذْعٍ طويـلٍ مُمَنَّـعِ
إلى اللهِ أَشْـكي غُـرْبَتي ثُمَّ كُـرْبَتي ... وَ مـا أَرْصَـدَ الأحـزابُ لي عنْـدَ مَصْـرَعي
فَـذَا العَـرْشِ صَـبِّرْني عَلَـى مـا يُـرادُ بي ... فَقَـدْ بَضَـعُوا لحْمـي وَ قَـدْ يـاسَ مَطْمَعـي
وَ ذَلِـكَ في ذاتِ الإلـهِ وَ إنْ يَشَـأْ ... يُبـارِكْ عَلـى أَوْصـالِ شِـلْوٍ مُمَـزَّعِ
وَ قَـدْ خَـيَّروني الكُفْـرَ وَ المـوتُ دُونَـهُ ... وَ قَـدْ هَمَلَـتْ عَيْنـاي مـنْ غـيْرِ مَجْـزَعِ
وَ مـا بي حِـذَرُ المـوْتِ إنّي لَمَيِّـتٌ ... وَ لكـنْ حَـذاري جَحْـمُ نـارٍ مُلَفَّـعِ
فـوالله مـا أرجـو إذا مـت مسـلما ... علـى أيِّ جَنْـبٍ كـان في الله مَصْـرَعي
فَلَسْـتُ بِمُبْـدٍ لِلْعَـدُوِّ تَخَشُّـعًا ... و لا جَزَعًـا إنّي إلى الله مَرْجعـي

بل أصبح المرء المسلم يطلب الموت بإيمان وصدق من أجل إحدى الحسنيين؛ إما النصر أو الشهادة، فقال عبدالله بن رواحة في سرية مؤتة:

لَكِنَّـني أَسْـأَلُ الـرَّحْمنَ مَغْفِـرَةً ... وَ ضَـرْبَةً ذاتَ فَـرْغٍ تَقْـذِفُ الزَّبَـدا
أَوْ طَعْنَـةً بِيَـدَيْ حَـرَّانَ مُجْهِـزَةً ... بِحَرْبَـةٍ تُنْفِـذُ الأَحْشـاءَ وَ الكَبِـدا
حَـتَّى يُقـالَ إذا مَـرُّوا علـى جَـدَثي ... أَرْشَـدَهُ اللهُ مِـنْ غـازٍ وَ قَـدْ رَشَـدا

1- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، مرجع سابق ، ص564.

هكذا لعب الإسلام دوره في التأثير على مضامين الشعر وتوجيه الشعراء، وكان هذا التأثر مما أجرى تعديلا و تحويرا و تجديدا و ابتكار، وحذفا و طرحا على كل أغراض الشعر[1]، فتركت أغراض وزالت، وهي الموضوعات التي نبذها الإسلام، فأحرق بأنواره طفيلياتها، كالغزل الفاحش والفخر الكاذب والحديث عن الخمر و الميسر والهجاء المقذع والمديح الكاذب، وأغراض بقيت كما كانت، وصحبها تحوير وتبديل يناسب الاتجاه الإسلامي كالفخر والرثاء والهجاء والنقائض ،وظهرت أغراض أخرى كالوعظ الديني، والجهاد وطلب الشهادة والشكوى .

1- عبد الله الحامد: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، مرجع سابق،ص161.

الفصل الثالث:

التشكيل الجمالي في شعر السرايا

- المعجم الدلالي في شعر السرايا
- الصورة البيانية في شعر السرايا
- موسيقى شعر السرايا

المبحث الأول: المعجم الدلالي

في شعر السرايا

- ظاهرة الإقتباس
- ألفاظ الحرب

المبحث الأول: المعجم الدلالي في شعر السرايا

يعتبر الشعر وعاء لتلك النفوس الثائرة التي تحاول أن تعبر عن تلك الأفكار التي تجيش في صدور الشعراء متخذا طرقا متعددة للتعبير عنها في قوالب فنية ذات أثر بالغ لدى المتلقي ، فالشعر ظاهرة لغوية في المقام الأول ،فهو فن أداته الكلمة الساحرة ، لذا فجوهر الشعر وسره في اللغة ابتداء بالصوت و مرورا بالمفردة ،وانتهاء بالتركيب ، ونظرا للتحول القائم في البيئة العربية بظهور الإسلام ، كان لزاما على الشعراء أن يواكبوا هذا التحول متأثرين بمعان الدين الجديد ، ولدراسة التشكيل الجمالي في شعر السرايا سأركز في دراستي على عدة مباحث أقف من خلالها على جمالية اللغة في الخطاب الشعري عند شعراء السرايا و البعوث، و هي: المعجم الدلالي، و الصورة البيانية، و موسيقى شعر السرايا.

و نبدأ بالمبحث الأول: المعجم الدلالي في شعر السرايا.

1- ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم في شعر السرايا:

شكل القرآن الكريم المصدر الأول للفصاحة و البلاغة في الإرث الإسلامي، و لذلك تأثر به الشعراء على مر العصور، فكان القرآن الكريم و الحديث الشريف رافدين مهمين أثريا ثقافة الشعر الإسلامي بكثير من الألفاظ و المصطلحات و المعاني القرآنية، و لذلك ترك القرآن الكريم الأثر العميق في نفوس شعراء المسلمين، فتغلغلت هذه المعاني في قلوبهم، و تركت آثارها البعيدة في حياتهم، فاستلهموها في أشعارهم ما كانوا يحفظونه من القرآن الكريم.

أ- تعريف الاقتباس:

لغة: قال ابن فارس في مقاييس اللغة[1]: "قبس القاف و الباء و السين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار ثم يستعار من ذلك القبس: شعلة النار، قال الله تعالى "**إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ اِمْكُثُواْ إِنِّيَ ءَانَسْتُ**

1- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط3، 2011، 381/2.

نَارًا لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ اَوَ اَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى"[1]. و قال الكسائي: "و اقتبست منه علما و نارا سواء"[2]، "و القوابس الذين يقبسون الناس الخير يعني يعلمون، و أتانا يقتبس العلم فأقبسناه أي علمناه"[3].

اصطلاحا: "هو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه"[4]، و عليه فلو أسند الكلام المقتبس من القرآن الكريم إلى الله عز و جل فلا يسمى اقتباسا، و عرفه السيوطي بقوله: "تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه بألا يقال فيه، قال الله تعالى و نحوه فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا"[5].

يعد الاقتباس ضربا من ضروب علم البديع، قال عبدالهادي الفكيكي: "و الاقتباس عند البلاغيين: ضرب من ضروب علم البديع الذي يكمل مع علمي (المعاني) و (البيان) قواعد البلاغة و علومها الثلاثة، فهو أحدها ويشتمل "علم البديع" على محسنات لفظية و أخرى معنوية، لتحسين و تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي و المعنوي"[6].

ليس المقصود بالاقتباس من القرآن الكريم تقليده في طريقة معالجته لموضوعاته، فالغرض الديني الواضح والأصيل في القرآن هو الذي يحكم موضوعاته و توجهاته التعبيرية، لكنه مع وفائه بالغرض الديني كاملا يحمل خصائص فنية تصل إلى حد الإبداع و الإعجاز، و ذلك إلى جانب المفاهيم التي يعرضها عن الكون و الحياة والإنسان، و حين نحاول الإفادة من القرآن في مجال الفن فسنلجأ إلى الناصيتين معا: المفاهيم و طرائق الأداء ولكن لا تقليدها، و إنما لالتقاء "التوجيه" الذي تحمله، و النسج على منواله فيما ننشئ من الفنون[7].

ب– أنواع الاقتباس: و الاقتباس نوعان و هذا ما ذهب إليه عبد الهادي الفكيكي[8]:

ب–1– الاقتباس النصي: و فيه يلتزم الشاعر بلفظ النص القرآني و تركيبه.

2– سورة طه، الآية 10.
3– ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، 9/11
4– المصدر نفسه، 11/ 9.
4– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2010، ص312.
5– السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1998، ص314.
6– عبد الهادي الفكيكي: الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، منشورات التميز للنشر و التوزيع، سوريا، ط1، 1996،
7– محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6، 1983، ص140.
8– عبد الهادي الفكيكي: مرجع سابق، ص 13–14.

ب-2- الاقتباس الإشاري: و هو أن يأخذ الشاعر من القرآن الكريم ما يشير به إلى آية أو آيات منه من غير الالتزام بلفظها و تركيبها.

انبهر العرب، و في مقدمتهم الشعراء ببلاغة القرآن الكريم و فصاحته، و بمعانيه الغزيرة، و شكل على مر الأزمنة و العصور موردا صافيا ملهما لهم، فتأثروا به، وأفادوا منه في المصطلحات و التراكيب و المعاني، يقول محمد بن الهادي المباركي: فقد تأثر الشعراء من الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم –بالقرآن الكريم وببديع أسلوبه وجمال معانيه، فكان أسلوبه المعجز محل اهتمامهم وإجلالهم، ولذا فقد عمدوا إلى الاستنارة بنوره، والإفادة من معانيه السامية في أشعارهم[1]، و من أوائل الشعراء الذين تأثروا بالقرآن الكريم شاعر الإسلام حسان بن ثابت ويتجلى هذا الأثر في الكثير من الألفاظ و المعاني الواردة في أشعاره التي قالها في مختلف السرايا.

في يوم الرجيع تأثر حسان بن ثابت لاستشهاد خبيب، فتحركت في نفسه معاني القرآن الكريم، مستلهما منه ما وعد الله به الشهداء من جنة الخلد، فيقول:

فاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزاكَ اللهُ طيْبَةً وَ جَنَّةَ الخُلْدِ عنْدَ الحورِ في الرُّفَقِ

مقتبسا ذلك من قوله تعالى: "**اِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرِيـٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ اَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**"[2]، فجنة الخلد من الألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم، قال تعالى: " **قُلَ اَذَٰلِكَ خَيْرٌ اَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا**"[3].

في مرثية أصحاب الرجيع يبكي حسان بن ثابت الصحب الكرام المغدور بهم، بما يوجبه الإسلام من الدعاء و الرحمة للميت قائلا:

1- محمد بن الهادي المباركي :شعر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم دراسة تحليلية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية ، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، السعودية ردمد7278-1658، ص 35.

2- سور التوبة الآية 111.

3- سورة الفرقان: الآية 15.

صَـــلّى الإلـــهُ علـــى الّـــذينَ تتـــابعوا يَـــوْمَ الرَّجيـــعِ فَـــأكْرِموا وَ أَثيبُـــوا

أفاد ذلك من قوله تعالى: " **أُولـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَ أُولـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**"[1].

و تطالعنا معاني القرآن الكريم في حديث حسان عن أصحاب الرجيع، و بأن ما أصابهم قدر الله المكتوب قائلا:

صَـــلّى الإلـــهُ علـــى الّـــذينَ تتـــابعوا يَـــوْمَ الرَّجيـــعِ فَـــأكْرِموا وَ أَثيبُـــوا
رأْسُ السَـــــرِيَّةِ مَرْثَـــــدٌ وَ أَمـــــيرهمْ و ابْـــنُ البُكَـــيْرِ أَمـــامهُمْ وَ خَبيـــبُ
و ابـــنٌ لطـــارِقَ و ابـــنُ دَثْنَـــةَ مِـــنْهُمُ وافـــــاهُ ثَمَّ حِمامُـــــهُ المِكْتـــــوبُ
و العاصِـــمُ المِقْتـــولُ عِنْـــدَ رَجـــيعِهِمْ كَسَـــبَ المِعـــالي إنَّـــهُ لَكســـوبُ
مَنَـــعَ المِقـــادَةَ أَنْ يَنـــالوا ظَهْـــرَهُ حـــتَّى يُجالِـــدَ إنَّـــه لَنجيـــبُ

أخذ ذلك من الآية الكريمة "**وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ اَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَـٰبًا مُّوَجَّلًا**"[2]، فهو مؤمن بأن النفوس جميعها متعلقة بآجالها بإذن الله و قدره و قضائه، و هذا المعنى يتكرر مع حسان و هو يبكي قتلى بئر معونة، فقال:

عَلَـــى قَتْلَـــى مَعونَـــةَ فَاسْـــتَهِلّي بِـــدَمْعِ العَـــيْنِ سَـــحًّا غَيْـــرَ نَـــزْرِ
عَلَـــى خَيْـــلِ الرَّســـولِ غَـــداةَ لاقَـــوْا وَ لاقَـــتْهُمْ مَنايـــاهُمْ بِقَـــدْرِ

استوحى هذا المعنى من روح القرآن الكريم في قوله تعالى: "**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ اَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**"[3]، فحسان يأخذ بمعاني القرآن الكريم و يترجمها في خلق شعري، و ذلك أن الموت لا يكون إلا بمشيئة الله و إرادته، و أن النفس لا تموت إلا بإذن الله.

1- سورة البقرة، الآية 157.
2- سورة آل عمران: الآية 145.
3- سورة الأعراف: الآية 34.

يأتي يوم مؤتة المشهود، و يستشهد فيه ثلاثة من قادة المسلمين: جعفر بن أبي طالب، و زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، فيرثيهم حسان بقصيدة تحمل معاني قرآنية، و يبشرهم بثواب الشهداء من جنان و حدائق فقال:

فَصـــــارَ مَـــــعَ المسْتَشْـــــهِدينَ ثَوابُـــــهُ جِنـــــانٌ وَ مُلْتَـــــفُّ الحـــــدائِقِ أَخْضَـــــرُ

استوحى هذا الثواب و ما أعده الله للشهداء من قوله تعالى: "**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**"[1]، كما بنى ذلك على قوله تعالى: "**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا**"[2]، و على قوله تعالى: " **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْر�ٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**"[3].

نهل حسان من موروثه الديني، من آيات القرآن الكريم و ألفاظه و معانيه، فنسجها من خلال أحاسيسه في صور متحركة تبدو أمام الناظر، فاستطاع بذلك أن يغني المعجم الشعري، و أن يرتفع به إلى مستوى آفاق بعيدة، فأغنى اللغة العربية بمفردات و تراكيب إسلامية استطاع أن يعجنها في ثوب من الإيمان.

من الذين تشربوا معاني القرآن الكريم، و اقتبسوا من جواهر ألفاظه في شعره أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ففي قوله تعالى: "**قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَـٰأُوْلِى الْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"[4]، فالخبيث و الطيب لا يستويان في ميزان العدل الإلهي و الشرع الرباني، لا في الحال و لا في المآل، و هذا المعنى أفاد منه أبو بكر الصديق –في موازنته بين الكفر و الإيمان– في سرية عبيدة بن الحارث بقوله:

فـــإنْ يَرْجِعُـــوا عَـــنْ كُفْـــرِهِمْ وَ عُقُـــوقِهِمْ فَمـــا طَيِّبـــاتُ الحِـــلِّ مِثْـــلَ الـــخَبائِثِ

1- سورة آل عمران: الآية 169-170.
2- سورة النبأ: الآية 31-32.
3- سورة الرحمان: الآية 76.
4- سورة المائدة: الآية 100.

القصيدة مليئة بالمعاني الإسلامية، و المصطلحات القرآنية: (ترك التقى) و (بأن يركبوا طغيانهم وضلالهم) و(عذاب الله)، و (لا ترأف الكفار).

في سرية عبد الله بن جحش يتناغم أبو بكر رضي الله عنه مع ما جاء في النص القرآني في الرد على افتراءات المشركين، و كذبهم ، و أن ما فعلته قريش بالمسلمين من إخراجهم من المسجد الحرام أكبر عند الله حيث يقول:

تَعُـــدُّونَ قَـــتْلاً في الحَـــرامِ عَظيمَـــةً ... وَ أَعْظَـــمُ مِنْـــهُ لَـــوْ يَـــرَى الرُّشْـــدَ راشِـــدُ
صَـــدُودُكُمُ عَمَّـــا يَقُـــولُ مُحَمَّـــدٌ ... وَ كُفْـــرٌ بِـــهِ وَ اللهُ رَاءٍ وَ شـــاهِدُ
وَ إِخْـــراجُكُمْ مِـــنْ مَسْـــجِدِ اللهِ أَهْلَـــهُ ... لِـــئَلاَّ يُـــرَى للهِ في البَيْـــتِ ســـاجِدُ

استلهم ذلك من قوله تعالى: "**يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَـٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ**"[1].

يطالعنا شاعر آخر يطفح شعره بمعان إسلامية تأثر بها و هو في ساحة الجهاد، فترجمها في ثوب شعري يقول سعد بن أبي وقاص في سرية عبيدة بن الحارث:

وَ ذَلِـــكَ أَنَّ دينَـــكَ ديـــنُ صِـــدْقٍ ... وَ ذُو حَـــقٍّ أَتَيْـــتَ بِـــهِ وَ عَـــدْلِ
يُنجَّـــى المؤمنـــونَ بِـــهِ وَ يُخْـــزَى ... بِـــهِ الكُفّـــارُ عِنْـــدَ مَقـــامِ مَهْـــلِ

1- سورة البقرة: الآية 217.

ففيه إشارة إلى قوله تعالى: "**وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18) وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَآءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**"[1]. فالشاعر يحاكي القرآن الكريم و يورد ما أعده الله للمؤمنين من جزاء، و ما للكفار من عقاب مستلهما ذلك كله من نبع القرآن الصافي.

من الشعراء كذلك الذين تأثروا بالقرآن الكريم و أخذوا من معينه العظيم عاصم بن ثابت، فقد كان شعره صدى للقرآن الكريم، الذي ألهب مشاعره الإيمانية، فأخرجها في قالب شعري حيث يقول في يوم الرجيع:

تَـــــزِلُّ عَـــــنْ صَـــــفْحَتِها المِعابِـــــلُ المِـــــوْتُ حَـــــقٌّ وَ الحيـــــاةُ باطِـــــلُ
وَ كُـــــلُّ مـــــا حَـــــمَّ الإلـــــهُ نـــــازِلُ بِـــــالمَرْءِ وَ المَـــــرْءُ إلَيْـــــهِ آئِـــــلُ

فهو يرسم بشعره صورة الإنسان المؤمن بقضاء الله و قدره، و أن كل ما قدره الله نافذ، مستلهما ذلك من قوله تعالى: "**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ**"[2]، و قوله تعالى: "**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**"[3]؛ فكان شعره مستوحيا من عقيدة القرآن و هداية الإسلام.

و إذا طالعنا شعر خبيب بن عدي الذي قاله قبل إعدامه، وجدنا أنه ينبض بمعاني القرآن و ألفاظه، و كأن القرآن نصب عينيه يستمد منه متى يشاء، فقال:

إلى اللهِ أشْـــــكي غُـــــرْبَتي ثُمَّ كُـــــرْبَتي وَ مـــا أَرْصَـــدَ الأحـــزابُ لي عنْـــدَ مَصْـــرَعي

فالشاعر يغرف من مشكاة القرآن و من قوله تعالى كما جاء على لسان يعقوب عليه السلام: "**قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**"[4]، فالقرآن الكريم أخذ بلب الشاعر و استأثر بخياله فكان حقا غذاء روحيا لخبيب يستلهم منه الصبر و الثبات، كأن يقول:

فَـــذَا العَـــرْشِ صَـــبِّرْني عَلَـــى مـــا يُـــرادُ بي فَقَـــدْ بَضَـــعُوا لحْمـــي وَ قَـــدْ يـــاسَ مَطْمَعـــي

1- سورة فصلت: الآية 18-19.
2- سورة القمر: الآية 49.
3- سورة الأحزاب: الآية 38.
4- سورة يوسف: الآية 86.

استوحى ذلك من قوله تعالى: "**رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**"[1]، و لأنه موصول بحبل الله منتظر لقاءه و فرح بجنته أتى شعره مفعما بالدعاء و الصبر و الثبات و التسليم لله تعالى، و الشكر على اختيار الشهادة، و الاستهانة بالموت قائلا:

فـــوالله مـــا أرجـــو إذا مـــت مســـلما علـــى أيِّ جَنْـــبٍ كـــان في الله مَصْـــرَعي

فقصيدة خبيب تفوح بعبير القرآن، و هي بذلك تستلهم الاسلام سلوكا و واقعا و تعبيرا.

يستوقفنا شاعر آخر تأثر بالقرآن الكريم، و سكنت معانيه سويداء قلبه، أعني عبد الله بن رواحة أحد شعراء الدعوة، ففي شعره نفحة قرآنية ظاهرة، حين نستمع إليه و هو يرثي نافع بن بديل الذي استشهد في بئر معونة:

رَحِـــمَ اللهُ نـــافِعَ بْـــنَ بُـــدَيْلٍ رَحْمَـــةَ المبْتَغـــي ثَـــوابَ الجِهـــادِ
صـــابِرٌ صـــادِقٌ وَفِيٌّ إذا مـــا أَكْثَـــرَ القَـــوْمُ قـــالَ قَـــوْلَ السَّـــدادِ

فالشاعر يقول أبياتا تتجلى فيها روح الإسلام بأبهى معانيه، و أرفع مراميه، فلفظة الجهاد مقتبسة من القرآن الكريم و من قوله تعالى: "**وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى الْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**"[2]، و كذلك فهي رجع صدى لقوله تعالى: "**مِّنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**"[3].

مثلما تأثر الشعراء المسلمون بمعين القرآن العظيم، و ظهر أثر ذلك في أشعارهم كذلك فعل شاعر آخر ذاك هو الشاعر كعب بن مالك، فشعره صدر عن إيمان عميق، و تأثر صادق بالإسلام، نلمح ذلك في غزوة مؤتة، و هو يرثي الشهداء قائلا:

صَـــلَّى الإلـــهُ علـــيْهمُ مـــنْ فِتْيَـــةٍ وَ سَـــقَى عِظـــامَهُمُ الغَمـــامُ المسْـــبِلُ

1- سورة الأعراف: الآية 126.
2- سورة النساء: الآية 95.
3- سورة الأحزاب: الآية 23

فالشاعر يستهدي بنور القرآن الكريم، و بما جاء به الدين القويم، و دستوره العظيم، متأثرا بقوله تعالى: "**أُوْلَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**"[1]، فالقرآن الكريم كان معينا فياضا ينهل منه كعب، و يستمد منه درر الألفاظ و بديع المعاني حيث يقول:

قَـــوْمٌ بِهِـــمْ عَصَـــمَ الإلـــهُ عِبـــادَهُ وَ عَلَـــيْهِمُ نَـــزَلَ الكتـــابُ المُنَـــزَّلُ

استوحى ذلك من قوله تعالى: "**اللَّهُ الَّذِى أَنزَلَ الْكِتَـٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**"[2]، فالشاعر وجد في القرآن الكريم رافدا مهما يمده بفيض الألفاظ و المعاني.

2- ألفاظ الحرب

أثرى شعراء السرايا المعجم اللغوي بمصطلحات و مفردات الحرب، و القتال، و المعارك، و أدوات الحرب وغيرها مما ساهم في تطوير اللغة العربية، و جعلها مطواعة تستطيع أن تعبر عن أغراض الحرب، و متطلباتها وتصفها بدقة[3]، فحفلت اللغة العربية بالحديث عن الحرب، و وصفها، و تصوير ما يدور في ساحة الوغى تصويرا دقيقا، و اغتنت بتلك الدلالات الجديدة التي تمثلت في الأدوات المستخدمة في تلك الحروب، و ما ينجر عنها من قتل و ضرب بالرماح و السيف في قوالب لفظية معبرة عن قوة و شجاعة المقاتل في سبيل ما يؤمن به، فاللغة العربية لغة حرب و ضرب و طعان و نزال في أروع بيانها و أبرع تشابيهها[4]، و لذا ركزت في دراستي على رصد مجموعة من ألفاظ الحرب في شعر السرايا، فجاءت موزعة كالتالي:

1- سورة البقرة: الآية 157.

2- سورة الشورى: الآية 17.

3- محمد مهداوي : شعر الغزوات أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أغراضه وخصائصه الفنية ، ديوان المطبوعات الجا معية،2009، ص166.

4- زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب ، مكتبة الدراسات الادبية ، دار المعارف مصر ، 1961، ص40.

أ- لفظ القتال:

لو تتبعنا لفظ "القتال" بحد ذاته عبر العصور من بداية العصر الجاهلي مرورا بعصر الاسلام، و انتهاء بعصرنا الحديث لوجدناه ورد بمعان حقيقية، و أخرى مجازية، فهو يعني لغة الإذلال و الإماتة، و إزالة الروح. لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل[1]، أما في الاصطلاح: هو فعل ما يزهق به الروح[2]، و ورد لفظ القتال في شعر السرايا بصيغ عدة أهمها: الفعل الماضي، و الفعل المضارع ، و فعل الأمر.

الفعل الماضي: قتل و جاء مسندا إلى ضمائر:

قَتَلُوا: مسندا إلى واو الجماعة على وزن فعل، و شاهده قول حسان يهجو هذيلا:

هُـــمُ قَتَلُـــوا يـــوْمَ الرَّجيـــعِ ابْـــنَ حُـــرَّةٍ أَخـــــا ثِقَـــــةٍ في وُدِّهِ وَ صـــــفاءِ

قَتَلْتُمْ: مسندا إلى ميم الجمع، و منه قول حسان و هو يرثي خبيبا:

فِـــيمَ قَتَلْـــتُمْ شـــهيدَ اللهِ في رَجُـــلٍ طـــاغٍ قَـــدْ أَوْعَـــثّ في البُلْـــدانِ و الرُّفَـــقِ

قُتِلُوا: مبنيا للمجهول مسند إلى واو الجماعة، و شاهده قول حسان:

فَلَـــوْ قُتِلُـــوا يَـــوْمَ الرَّجيـــعِ بِأَسْـــرِهِمْ بِـــذي الـــدَّبْرِ مـــا كـــانوا لـــهُ بِكِفـــاءِ

قَتَلَتْ: مسندا إلى تاء التأنيث نحو قول حسان:

فَقَـــدْ قَتَلَـــتْ لَخْيـــانُ أَكْـــرَمَ مِـــنْهُمُ و بـــــاعُوا خُبَيْبًـــــا وَيْلَهُـــــمْ بِلَفـــــاءِ

الفعل المضارع: جاء مسندا إلى ضمائر:

أُقَاتِلُكُمُ: بصيغة المتكلم، و شاهده قول عاصم بن ثابت في يوم الرجيع:

إِنْ لـــمْ أُقـــاتِـــلْـــكُـــمُ فـــأُمِّـــي هـــابِـــلُ

1- الاصفهاني: معجم ألفاظ القران الكريم ، تحقيق عدنان داودي ،دار القلم ، دمشق، ط2، 2004، ص655.

2- علي الجرجاني :كتاب التعريفات ، دار الرشاد، القاهرة ،ص196.

تُقْتلي: مسند إلى ياء المخاطبة، و منه قول عبد الله بن رواحة في مؤتة:

يـــا نفـــسُ إلاَّ تُقْتلـــي تمَـــوُتِي هـــذا حِمـــامُ المـــوْتِ قَـــدْ صَـــليتِ

الأسماء والمصادر:

قَتْلَى: جاء على وزن **فعلى**، و شاهده قول أبي بكر الصديق:

تُغـــادِرُ قَتْلَـــى تَعْصِـــبُ الطَّيْـــرُ حَـــوْلَهُمْ وَ لا تَـــرْأفُ الكُفَّـــارَ رَأْفَ ابـــنِ حـــارِثِ

القَتْلِ: جاء على وزن **فعل**، و منه قول أبي جهل:

وَ لكِنَّـــــهُ آلَى بـــــإِلٍّ فَقَلَّصَـــــتْ بِأَيْمانِنـــا حَـــدُّ السُّـــيوفِ عَـــنِ القَتْـــلِ

قَتْلًا: جاء على وزن **فعلا**، نحو قول عبد الله بن جحش:

تَعُـــدُّونَ قَـــتْلاً في الحَـــرامِ عَظيمَـــةً وَ أَعْظَـــمُ مِنْـــهُ لَـــوْ يَـــرَى الرُّشْـــدَ راشِـــدُ

قَتْلِ: جاء على وزن **فعل** و شاهده قول عبد الله بن جحش:

فَإِنَّـــــا وَ إِنْ عَيَّرْتُمونـــــا بِقَتْلِـــــهِ وَ أَرْجَـــفَ بالإِسْـــلامِ بـــاغَ وَ حاسِـــدُ

قَاتَلوهُ: جاء على وزن **فاعل**، نحو قول حسان بن ثابت:

وَ لَقَـــدْ شَـــفَى الـــرَّحْمنُ مِنَّـــا سَـــيِّدًا وَ أَهـــانَ قَوْمًـــا قـــاتَلوهُ وَ صُـــرِّعُوا

قَتِيلٌ: جاء على وزن **فعيل**، في قول حسان بن ثابت:

قَتيـــلٌ حَمَتْـــهُ الـــدَّبْرُ بَـــيْنَ بُيـــوتِهِمْ لَـــدَى أَهْـــلِ كُفْـــرٍ ظـــاهِرٍ وَ جَفـــاءِ

المَقْتُولُ: جاء على وزن **المفعول**، و شاهده قول حسان بن ثابت:

و العاصِـــمُ الـــمَقْتولُ عِنْـــدَ رَجـــيعِهِمْ كَسَـــبَ المعـــالي إنَّـــهُ لَكســـوبُ

ب- لفظ الحرب:

الحرب نقيض السلم، و لفظها مؤنث، و قد تذكر نادرا، و هي القتال بين فئتين، و تعني: السلب والمقاتلة والمنازلة، و التباعد، و البغضاء، و يقال: قتل حال الحرب، أي: حال القتال، و التحريب: التحريش، و إثارة الحرب، و دار الحرب: هي بلاد المشركين، الذين لا صلح بينهم و بين المسلمين[1].

و جاءت لفظة الحرب في شعر السرايا عشر مرات، فهي قليلة مقارنة بلفظ القتال.

حَرْبًا: جاء على وزن **فعلا**، و من ذلك قول الزبعرى في سرية عبيدة بن الحارث:

وَ لَمـــا تَجِـــبْ مِـــنِّي يَمِـــينٌ غَليظَـــةٌ تُجَـــدِّدُ حَرْبًـــا حَلْفَـــةً غَيْـــرَ حانِـــثِ

الحَرْبَ: بصيغة المصدر على وزن **فعل**، و شاهده قول عبد الله بن جحش:

سَـــقَيْنا مِـــنَ ابْـــنِ الحَضْـــرَمِيِّ رِماحَنـــا بِنَخْلَـــةَ لَمَّـــا أَوْقَـــدَ الحَـــرْبَ واقِـــدُ

الحَرْبَ: نحو قول حسان في يوم الرجيع، و هو يبكي خبيبا:

بَـــني كُهَيْنَـــةَ إنَّ الحَـــرْبَ قَـــدْ لَقِحَـــتْ مَحْلوبُهـــا الصَّـــابُ إذْ تُمْـــرَى لِمُحْتَلِـــبِ

الحَرْبِ: كقول حسان، و هو يهجو هذيلا:

وَ لَـــنْ تَـــرَى لِهُـــذَيْلٍ داعِيًـــا أَبَـــدًا يـــدْعو لِمَكْرُمَـــةٍ عَـــنْ مَنْـــزِلِ الحَـــرْبِ

الحُرُوبِ: بصيغة الجمع على وزن **فعول**، و منه قول حسان في بئر معونة:

أَبـــوكَ أَبُـــو الحُـــروبِ أبـــو بَـــراءٍ و خَـــالُـــك مَـــاجِـــدُ حَكَمُ بن سَعْـــدِ

حَرْبِهِمْ: مسندا إلى ضمير الغائب بصيغة الجمع، و شاهده قول كعب بن مالك:

1- ابن منظور : لسان العرب، مادة ح ر ب، مرجع سابق، 3/114-116.

تَـــــرَكْتُمْ جـــــارَكُمْ لِبَـــــني سُـــــلَيْمٍ مَخافَـــــةَ حَـــــرْبِهِمْ عَجْـــــزًا وَ هُونـــــا

حَارَبُوا: مسندا إلى واو الجماعة ، على وزن **فاعل،** وشاهده قول حسان في سرية عيينة بن حصن:

قـــــومٌ إذا حـــــاربوا ضـــــرُّوا عـــــدوَّهم أو حـــــاولوا النفـــــع في أشـــــياعِهم نفعُـــــوا

الحَرْبُ: بصيغة المصدر على وزن **فعل،** نحو قول حسان:

نســـــمو إذا الحـــــربُ نالتنَـــــا مَخالبُهـــــا إذا الزعـــــانفُ مـــــن أظفارهـــــا خَشَـــــعوا

حَرْبِهِمْ: مسندا إلى ضمير الغائب بصيغة الجمع، وشاهده قول حسان:

فـــــإنَّ في حـــــربهم –فـــــاتركْ عـــــداوتَهم- شـــــراً يُخـــــاض عليـــــه السُّـــــم و السَـــــلَعُ

ج- لفظ الضرب:

لغة: ضاربه أي جالده ، وضاربت الرجل مضاربة وضرابا وتضارب القوم ..وضاربني فضربته أضربه: كنت أشد ضربا .و يقال ضربه بالسيف[1].

لقد وردت لفظة الضرب في شعر السرايا تسع مرات، ست مرات بصيغة المصدر، ومعلوم أن صيغة المصدر لا يتقيد غالبا بزمن معين و كذلك لاسم الفاعل ، لذلك فإن الشاعر يحاول أن يجعل من عملية الضرب عملية دائمة غير منتهية ، لأن الاستمرار في الضرب دليل القوة والثبات، و ثلاث مرات بصيغة الفعل.

ضَرْبَةً: جاء على وزن **فعلة،** و شاهده قول عبد الله بن رواحة في سرية مؤتة:

لَكِنَّـــــني أَسْـــــأَلُ الـــــرَّحْمنَ مَغْفِـــــرَةً وَ ضَـــــرْبَةً ذاتَ فَـــــرْغٍ تَقْـــــذِفُ الزَّبَـــــدا

1-ابن منظور :لسان العرب، مادة ض ر ب، مصدر سابق، 38/8.

ضَرَبْتُ: جاء على وزن **فعلت**، و شاهده قول قطبة بن قتادة في سرية مؤتة:

ضَـــــرَبْتُ علـــــى جِيـــــدِهِ ضَرْبَـــــةً فمـــــالَ كَمـــــا مـــــالَ غُصْـــــنُ السَّـــــلَمْ

ضَرْبًا: جاء على وزن **فعلا**، نحو قول حسان بن ثابت في سرية

بـــالبيضِ حـــينَ تُسَـــلُّ مـــنْ أغْمادِهـــا ضَـــرْبًا وَ إنْهـــالِ الرِّمـــاحِ وَ عَلِّهـــا

أَضْرِبَنَّ: جاء على وزن **أفعلن**، كقول الشاعر في سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة:

لأضْـــرِبَنَّ اليَـــوْمَ ضَـــرْبًا وَعْسَـــا ضَـــرْبَ المِحِلِّـــينَ مَخاضًـــا قُعْسَـــا

ضَرْبَةِ: جاء على وزن **فعلة**، نحو قول عبد الله بن أنيس في سريته لقتل خالد بن سفيان:

وَ قُلْـــتُ لَـــهُ خُـــذْها بِضَـــرْبَةِ ماجِـــدٍ حَنيـــفٍ علـــى ديـــن النَـــبِيِّ مُحَمَّـــدِ

أَضْرِبُ: جاء على وزن **أفعل** نحو قول دريد بن سلمة وهو يرتجز لما رمى أبا عامر الأشعري بسهم، فأصاب ركبته فقتله:

إنْ تَـسْـأَلُـــوا عَـنِّـي فَـإنِّي سَـلَـمَـه ابْـــنَ سَـمـاديـرَ لِـمَـــنْ تَـوَسَّـمَـهُ

أَضْـــرِبُ بِـالـسَّـيْـفِ رُؤُوسَ الـمسْلِمَهْ

الأَضْرُبِ: **جمع ضرب**، كقول سلمة بن دريد و هو يسوق بامرأته:

نَسَّـــيْتِنِي مَـــا كُنْـــتِ غَيْـــرَ مُصَـــابَةٍ وَ لَقَـــدْ عَرَفْـــتِ غَـــدَاةَ نَعْـــفِ الأَضْـــرُبِ

د- لفظ الطعن:

لغة: طعنه بالرمح يطعنه ويطعنه طعنا فهو مطعون وطعين من قوم طعن وخزه بحربة ونحوها ..ورجل مطعن ومطعان كثير الطعن للعدو .. وتطاعن القوم في الحروت تطاعنا[1] ، وطعنه بالرمح ، وهو مطعان ، وطاعنته وتطاعنوا، واطعنوا، ورجل طعين[2].

وجاءت لفظة الطعن ست مرات في شعر السرايا، ونلاحظ غلبة صيغة المصدر حيث وردت خمس مرات والغالب على المصدر أنه لا يتقيد بزمن.

طَعْنَةٍ: جاء على وزن **فعلة،** مثاله قول كعب بن الأشرف:

صـــارَ الـــذي أَثَـــرَ الحـــديثَ بِطَعْنَـــةٍ أَوْ عـــاشَ أَعْمَـــى مُرْعَشًـــا لا يَسْـــمَعُ

طَعْنَةً: جاء على **وزن فعلة،** نحو قول عبد الله بن رواحة في سرية مؤتة:

أَوْ طَعْنَـــةً بِيَـــدَيْ حَـــرَّانَ مُجْهِـــزَةً بِحَرْبَـــةٍ تُنْفِـــذُ الأَحْشـــاءَ وَ الكَبِـــدا

طَعَنْتُ: جاء على وزن **فعلت،** كقول قطبة بن قتادة في سرية مؤتة:

طَعَنْـــتُ ابـــنَ زافِلَـــةَ بْـــنَ الإراشِ بِـــرُمْحٍ مَضَـــى فيـــهِ ثُمَّ انْحَطَـــمْ

الطِّعَانِ: جاء على وزن **فعال** على صيغة المبالغة، وتدل على كثرة الحدث و شاهده قول الجحاف بن حكيم في سرية خالد إلى بني جذيمة:

نُعـــرِّضُ للطِّعـــانِ إذا الْتَقَيْنـــا وُجوهًـــا لا تُعَـــرِّضُ للطِّئـــامِ

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة ط ع ن، مرجع سابق، 191/8.

2- الزمخشري : أساس البلاغة ، مرجع سابق ، ص390.

طَعْنَةً: جاء على وزن **فعلة**، و شاهده قول أمامة المزيرية في سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك:

حَبـــاكَ حَنيـــفٌ آخـــرَ اللَّيْـــلِ طَعْنَـــةً أبـــا عَفَـــكٍ خُـــذْها علـــى كِـــبَرِ السِّـــنِّ

طَاعَنَ:جاء على وزن **فاعل** يدل على من قام بالحدث نحو قول حسان بن ثابت في سرية مؤتة:

فَطـــاعَنَ حَـــتَّى مـــالَ غَيْـــرَ مُوَسَّـــدٍ بِمُعتَـــــرَكٍ فيـــــهِ قَنًـــــا مُتكَسِّـــــرُ

هـ- لفظ الغارة:

الغارة الاسم، الإغارة على العدو، و رجل مغوار بين الغوار: مقاتل كثير الغارات على العدد، أغار على القوم إ غارة، دفع عنهم الخيل[1]، و تختلف الغارة عن القتال، بأنها تأتي بغتة و خفية.

قد وردت لفظ الغارة أربعة مرات موزعة كالتالي:

غَارَةٌ: جاءت في قول أبي بكر الصديق:

لَتَبْتَـــــدِرَنْهُمْ غـــــارَةٌ ذاتُ مَصْـــــدَقِ تُحَـــرِّمُ أَطْهـــارَ النِّســـاءِ الطَّوَامِـــثِ

لغَارَةٍ: نحو قول حمزة:

فَمـــا بَرِحُـــوا حَـــتَّى ابْتَـــدَرْتُ لِغـــارَةٍ لَهُـــمْ حَيْـــثُ حَلُّـــوا أَبْتَغِـــي رَاحَـــةَ الفَضْـــلِ

بِغَارَةٍ: في قول أبي جهل:

تَيَمَّمْـــــتُهُمْ بالسَّـــــاحِلَيْنِ بِغـــــارَةٍ لَأَتْـــرُكَهُمْ كَالعَصْـــفِ لَـــيْسَ بِـــذي أَصْـــلِ

بِغَارَةٍ: نحو قول حسان، و هو يهجو هذيلا:

فـــإلاَّ أَمُـــتْ أَذْعَـــرْ هُـــذيْلاً بِغـــارَةٍ كَغـــادي الجِهـــامِ المُغْتَـــدي بِإفـــاءِ

1- ابن منظور : لسان العرب، مادة غ و ر، 157/10.

و- لفظ السلاح:

يعد السلاح أحد المحاور الأساسية في شعر الحرب، و لقد تعددت و تنوعت هذه الأسلحة من سيوف ونبال، و رماح، و غيرها، فهذه الأسلحة هي عدة المحارب يحارب بها و يدافع بها عن نفسه، و قد احتفى الشعراء القدامى بوصف السلاح في أشعارهم و بالغوا في ذكر بأسها و شدتها، كما نسبوا الأسلحة جيدة الصنع إلى أماكن مشهورة عرفت بصناعتها لأنواع السيوف و الرماح و الدروع، فتحدثوا عن المشرفيات، و هي السيوف المصنوعة في مشارف الشام، و المهندة المصنوعة بالهند، و الرماح الخطية و الصاعدية، و الدروع الجدلاء[1]، و تأتي في مقدمة هذه الأسلحة السيوف:

و-1- السيف:

و السيف في نظر العرب هو السلاح الرئيس الذي يحرص عليه، ويحمله العربي ، ويستعمله ، وقد كانت تعد الأسلحة الأخرى بالنسبة له أسلحة ثانوية، فالسيف ملازم له كظله لا يفارقه و لا غنية له عنه، فهو أشبه ما يكون بالسلاح الشخصي له[2]، لذلك تراهم أضفوا عليه من الأسماء و الصفات المختلفة ما يدل على شغفهم وتعلقهم به.

و قد ورد ذكر السيف في شعر السرايا باسمه و صفاته على لسان أكثر من شاعر نحو:

السَّيْفُ: و شاهده قول عبد الله بن أنيس:

أقـــولُ لـــهُ و السَّـــيْفُ يَعْجُـــمُ رَأْسَـــهُ أنـــا ابْـــنُ أُنَـــيْسٍ فارِسًـــا غَيْـــرَ قُعْـــدَدِ

السُّيُوفِ: و شاهده قول أبي جهل في سرية حمزة:

فَـــوَرَّعَني مَجْـــدِي عَـــنْهُمْ وَ صُـــحْبَتِي وَ قَـــدْ وَازَرُونِي بالسُّـــيوفِ وَ بِالنَّبْـــلِ

1- حميد قبايلي: شعر غزوات النبي صلى الله عليه و سلم، جمع و دراسة في الرؤية و الأداة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الأدب العربي القديم إشراف أ/د حسن كاتب، كلية الآداب و اللغات، قسم الأدب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة 1. 2013-2014، ص124.

2- علي أحمد الخطيب :فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2004، ص204.

و قوله أيضا:

وَ لكِنَّـــــهُ آلَى بـــــإِلٍّ فَقَلَّصَـــــتْ بِأَيْمانِنـــا حَـــدُّ السُّـــيوفِ عَـــنِ القَتْـــلِ

بِيضٍ: و شاهده قول عبد الله بن الزبعرى في سرية عبيدة بن الحارث:

وَ بـــيضٍ كَـــأَنَّ الـــمِلْحَ فَـــوْقَ مُتُونِهَـــا بِأَيْـــدِي كُمَـــاةٍ كَـــاللُّيُوثِ العَوائِـــثِ

البِيضِ: و مثال ذلك قول حسان بن ثابت في مقتل كعب بن الأشرف:

يَسْـــرونَ بـــالبيضِ الخِفـــافِ إلـــيكُمُ مَرَحًـــا كأُسْـــدٍ في عَـــرينٍ مُغْـــرَفِ
حَـــتَّى أَتَـــوْكُمْ في مَحَـــلٍّ بِلادِكُـــمْ فَسَـــقَوْكُمُ حَتْفًـــا بِبِـــيضٍ ذُفَّـــفِ

البِيضِ: نحو قول حسان في سرية مؤتة:

بـــالبيضِ حـــينَ تُسَـــلُّ مـــنْ أغْمادِهـــا ضَـــرْبًا وَ إنْهـــالِ الرِّمـــاحِ وَ عَلِّهـــا

و-2- النبال و السهام: و هي من أنواع السلاح الوارد في شعر السرايا

جاء في لسان العرب: والنبل: السهام، وقيل السهام العربية، وهي مؤنثة لا واحد له من لفظه، فلا يقال نبلة و إنما يقال سهم و نشابة؛ قال أبو حنيفة: وقال بعضهم واحدتها نبلة، والصحيح أنه لا واحد له إلا السهم التهذيب إذا رجعوا إلى واحده قيل سهم[1] ، وفي الباب قياس آخر يدل على رمي الشيء ونبذه وخفة أمره: منه النبل: السهام العربية، والنابل : صاحب النبل ، والنبال: الذي يعمله، ونبلته: رميته بالنبل ...والنبيلة: الجيفة وسميت بها لأنها ترمى[2].

نَبْلِي: و شاهده قول سعد بن أبي وقاص في سرية عبيدة بن الحارث:

أَلا هَـــــلْ أَتَـــــى رَســـــولَ اللهِ أنِّي حَمَيْـــتُ صَـــحابَتي بِصُـــدورِ نَبْلِـــي

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة ن ب ل، مرجع سابق، 26/14.
2-ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، مادة نبل، مرجع سابق، 538/2.

النَّبْلِ: و شاهده قول حمزة بن عبد المطلب:

فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا مَطَايَا وَ عَقْلُنَا مَدى عَرَضِ النَّبْلِ

النَّبْلِ: نحو قول أبي جهل في سرية حمزة:

فَوَرَّعَني مَجْدِي عَنْهُمْ وَ صُحْبَتِي وَ قَدْ وَازَرُوني بالسُّيوفِ وَ بِالنَّبْلِ

سَهْمِ: قول سعد بن أبي وقاص في سرية عبيدة بن الحارث:

فَمَا يَعْتَدُّ رامٍ في عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يا رَسولَ اللهِ قَبْلي

و-3- الرماح: جاء في لسان العرب: رمح: الرمح: من السلاح معروف، الرماح، وجمعه أرماح...ورمحه يرمحه رمحا: طعنه بالرمح[1]

رُمْحٍ: و شاهده قول قطبة بن قتادة في قتل مالك بن زافلة في سرية مؤتة:

طَعَنْتُ ابنَ زافِلَةَ بْنَ الإراشِ بِرُمْحٍ مَضَى فيهِ ثُمَّ انْحَطَمْ

الرِّمَاحِ: قول حسان بن ثابت في سرية مؤتة:

بالبيضِ حينَ تُسَلُّ مِنْ أغْمادِها ضَرْبًا وَ إنْهالِ الرِّماحِ وَ عَلِّها

الرِّمَاحُ: و شاهده قول رجل من بني جذيمة:

أقاموا عَلَى أَقْضاضِنا يَقْسِمونَها وَ قَدْ ذَهَلَتْ فينا الرِّماحُ وَ عَلَّتِ

1-ابن منظور: لسان العرب، مادة ر م ح، مصدر سابق،365/5.

المبحث الثاني: الصورة البيانية

في شعر السرايا

- الصورة الاستعارية
- الصورة التشبيهية
- الصورة الكنائية

المبحث الثاني: الصورة البيانية في شعر السرايا

قبل أن أتناول مفهوم الصورة البيانية في شعر السرايا، يجدر بي أن أبين و أكشف خبايا علم البيان، و أثره في الأدب، و ما يحمله من قدرة في الكشف عن خلجات و أحاسيس الأديب؛ فهو الأداة السحرية التي تحيك جمال الأدب شكلا و مضمونا، ذلك أن علم البيان يشكل الخلفية الجمالية لمباحث الصورة.

يعد كتاب البيان و التبيين للجاحظ من أقدم الدراسات البلاغية التي تناولت هذا الموضوع _أي علم البيان_، و إن أصدق كلام فيه قول أبي هلال العسكري أنه : "كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة و الفقر اللطيفة و الخطب الرائعة و الأخبار ..... إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، و أقسام البيان و الفصاحة مبثوثة في تضاعيفه و منتشرة في أثنائه فهي مسألة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير"[1].

لما كان البيان عند الجاحظ: "هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"[2]، فإن كل دلالة على المعنى عنده بيان لأن الغاية هي الفهم و الإفهام و الكشف عما تجيش به النفس من أحاسيس، و انفعالات مختلفة حسب الظروف الزمانية و المكانية، باحثا عن تأدية المعنى المراد بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد.

يستفاد مما سبق: أن علم البيان هو: علم الأساليب التي يستعملها الأدباء للإبانة عن معانيهم[3].

و علم البيان يعد فرعا من فروع علم البلاغة يتناول طرق التصوير المختلفة للتعبير عن المعنى المراد بألوان توضيحية تعتمد على التجسيد و التشخيص انطلاقا مما تقع عليه العين من ماديات ملموسة، أو مما هو معقول غير خفي ويعد التشبيه في مقدمة تلك الأساليب عند الأدباء في كل عصر، و قد عبر عن هذه الحقيقة المبرد في قوله "التشبيه جار في كثير من كلام العرب حتى لو قال قائل: "هو أكثر كلامهم لم يبعد"[4].

1- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1952م،مج1، ص5.

2- الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ج1، ص75.

3- بداوي طبانة: علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثانية، ص36.

4- المبرد: الكامل في اللغة و الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 1997، ج3،ص68.

1- وظيفة البيان:

لكل لون من ألوان المعرفة غاية يسعى إليها، وقد بين أصحاب البيان عن الثمرة التي يجنونها من هذا العلم ومن ذلك تحقيقهم لهدفين اثنين:

أ- الهدف الديني: و هو الكشف عن أسرار و إعجاز القرآن و سر بلاغته، فهو معجز في أسلوبه وفي ما يتضمنه من معان و قيم إنسانية نقلت الأمة من الظلام إلى النور، كما تكشف دراسة البيان كذلك عن بلاغة رسول الله _صلى الله عليه و سلم_ من قول أو فعل أو تقرير، فلا يمكن الوقوف على تلك المعاني وأسرارها إلا بالسيطرة على علم البيان، و الخوض في أعماقه لكشف الدرر الثمينة التي يتضمنها أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[1].

ب- الهدف الثاني: يتجلى في الجانب الجمالي للأدب بالاطلاع على أسرار البلاغة و الفصاحة في منظوم الكلام و منثوره، و ما تختزنه نفس الأديب من إعجاب و تقدير و فخر و اعتزاز، و كل ما ينتاب النفس من مؤثرات خارجية و داخلية، فلا يمكن إدراك هذه الجوانب، و الخوض في أغوارها إلا إذا كان للباحث معرفة بسر و فصاحة الكلام، و كذلك لا يدرك و لا يميز بين الكلام البليغ الفصيح ،و الكلام الركيك الضعيف المبتذل كما أن علم البيان يرسم و يكشف الطريق للأدباء لما يوقفهم عليه من محاسن و جمال الفنون الأدبية، حتى تكون لهم نبراسا في أعمالهم الأدبية للوصول إلى الإجادة و الابتكار التي تتقبلها الأذواق و تتفاعل معها، كما أن من شأن علم البيان أن يبين المقاييس النقدية لنقاد الأدب التي تخدم عملهم النقدي، _لكي تبنى تلك الأحكام بدقة لأي عمل أدبي_، محللا الصورة البيانية بأنواعها و وجوهها المختلفة، و ما تحمله بين طياتها من نزعات و قيم اجتماعية و انسانية يؤمن بها الأديب _محاولا_ أن يؤثر في نفسية المتلقي[2].

1- بداوي طبانة: ينظر بتصرف، مرجع سابق، ص39-41.
2- المرجع نفسه، ص41-42.

2- مفهوم الصورة بشكل عام:

الشعر موسيقى النفس إذا خرجت منها دندنت برفق، أو قرعت طبول الآذان، مواكبة (الموسيقى) بذلك ما استقر في الأعماق، متخذا الصورة إطارا حيا في الكشف عما يلامسها، و ما يصاحبها من انفعالات، فلن نتذوق إبداعه و جماله إلا إذا بدأنا طريق السير نحوه، قال ميخائيل نعيمة: "الشعر هو ميل جارف و حنين دائم إلى أرض لم نعرفها، و لن نعرفها، هو انجذاب أبدي لمعانقة الكون بأسره و الاتحاد مع كل ما في الكون من جماد و نبات و حيوان، هو الذات الروحية تتمدد حتى تلامس أطرافها أطراف الذات العالمية"[1].

فعالم الشعر عالم جميل بحركاته المتعددة، و بألوانه المختلفة من خلال لغة لا تعترف بالحدود، و لا المنطق يسعى الشاعر وراء الفضاء المطلق و التمسك به عبر تجربته الشعرية، و بما جادت قريحته و موهبته في سبك الألفاظ، و التجانس بين التراكيب اللغوية، التي تحمل بين طياتها ما يتمخض في رحمها من خلجات، وأحاسيس الشاعر.

يرى الشاعر الأشياء و الظواهر من خلال ذاته و معاناته في وجدانه، فيعبر عنها تعبيرا صادقا، بما تتمخض عنه التجربة من صور شعرية تحدث أثرا عميقا في نفسية المتلقي، متوسلا في ذلك الكلمة والأسطورة والرمز و الإيقاع و الصورة، و هذا ما يؤكده أدونيس في كتابه مقدمة الشعر العربي بأن الشعر: "يأتي مفاجئا غريبا عدو المنطق و الحكمة و العقل ندخل معه إلى حرم الأسرار و يتحد بالأسطوري العجيب السحري"[2].

إذن الشعر أو الشاعر يسعى إلى بيان كنه الأشياء، و ما تخفيه بالشعور و الحدس و التفاعل مع الظاهرة أو الفكرة التي يعيشها يقول سيد قطب: "لأن الفكر لا يجوز أن يدخل العالم الشعري إلا متقنعا غير سافر متلفعا بالمشاعر و التصورات و الظلال ذائبا في وهج الحس و الانفعال ..... ليس له أن يلج هذا العالم ساكنا باردا مجردا"[3].

1- ميخائيل نعيمة: الغربال، بيروت، الطبعة 15، 1991م، ص76-77.

2- أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، 1971، ص58.

3- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله و مناهجه، دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة، 1983م، ص68.

3- مفهوم الصورة:

3-1 لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور، مادة (ص و ر) الصورة في الشكل، و الجمع صور، و قد صوره فتصور، و تصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، و التصاوير: التماثيل، قال: "ابن الأثير": الصورة ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها، و على معنى حقيقة الشيء و هيئته و على معنى صفته، و يقال صورة الفعل كذا و كذا أي هيئته، و صورة كذا و كذا أي صفته"[1].

3-2 اصطلاحا: يصعب تحديد و تعريف ماهية الصورة تحديدا دقيقا لأنها تعد جزءا من الفنون فمجالها رحب و واسع يكره القيود، و لعل هذا هو السر في تعدد مفاهيم الصورة، و تباينها بين النقاد بتعدد اتجاهاتهم، و منطلقاتهم الفكرية و الفلسفية و التأملية، يقول أحمد علي دهمان: "مفهوم الصورة الشعرية ليس من المفاهيم البسيطة السريعة التحديد، و إنما هناك عدد من العوامل التي تدخل في تحديد طبيعتها: كالتجربة والشعور و الفكر و المجاز و الإدراك و التشابه و الدقة..... فهي من القضايا النقدية الصعبة، و لأن دراستها (الصورة) لابد أن توقع الدارس في مزالق العناية بالشكل أو بدور الخيال أو بدور موسيقى الشعر كما هو في المدارس الأدبية"[2]، وعليه فإن الصورة الشعرية تشكل تجاوزا للأشكال البلاغية التي كان الشاعر يستند إليها في أقاويله الشعرية ، كما أنها أي الصورة قد تستند إلى فكرة ليست بحاجة إلى تجسيد أو إحساس وشعور يبلور موقفا خياليا.

1- ابن منظور: لسان العرب، ، مادة ص.و.ر ، 7/ 473.

2- أحمد علي دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهاجا و تطبيقا، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، الطبعة الأولى 1986م، ص269-270.

3-3 مفهوم الصورة عند القدماء:

لقد عني النقاد القدماء بالصورة عناية كبيرة و فائقة، إذ لا تزال الصورة الشعرية عندهم موضوعا مخصوصا بالمدح و الثناء، و مقياسا لجمال الشكل في النص الأدبي، فهذا أرسطو يميزها عن باقي الأساليب بالتشريف فيقول: "و لكن أعظم الأساليب حقا هو أسلوب الاستعارة..... و هو آية الموهبة"[1] ، أما أبو هلال العسكري يعلنها صراحة: "الألفاظ أجساد و المعاني أرواح"[2].

أما الجاحظ فيرى: "أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي، و البدوي و القروي، و إنما الشأن في إقامة الوزن، و تخير اللفظ، و سهولة المخرج، و كثرة الماء، و في صحة الطبع، و جودة السبك، و إنما الشعر صياغة و ضرب من التصوير"[3]، فالجاحظ يرى أن الشعر فن مصنوع من التصوير، وملائمة الألفاظ للمعاني.

3-4 مفهوم الصورة عند الغربيين:

يعرف سي دي لويس الصورة على أنها: "رسم قوامه الكلمات المشحونة بالأحاسيس و العاطفة"[4].

فالصورة عنده تعني الأداة التي يعبر بها الشاعر عن تجربته الشعرية، و أساسها إقامة علاقات جديدة بين الكلمات يطرح فيها دلالات جديدة في إطار من الانسجام.

و يعرف الشاعر الفرنسي "بيار ريفاردي" الصورة بأنها: "إبداع ذهني صرف، و هي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة بين حقيقتين واقعيتين تتفاوتان في البعد قلة و كثرة، و لا يمكن إحداث صورة المقارنة بين حقيقتين واقعيتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى العقل"[5].

فالصورة عند بيار إبداع ذهني يعتمد أساسا على الخيال، و العقل وحده هو الذي يدرك علاقاتها.

1- أرسطو: فن الشعر، ترجمة محمد شكري عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص128.

2- أبو هلال العسكري: الصناعتين، مصدر سابق، مج1، ص161.

3- الجاحظ: الحيوان، تحقيق يحي الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت، مج3، ص408.

4- سي دي لويس: الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي و آخرين، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، 1982م، ص23.

5- مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م، ص237.

3-5 مفهوم الصورة عند العرب المحدثين:

اتخذت الصورة الشعرية مفهوما واسعا في العصر الحديث، و هذا نتيجة لاحتكاك الثقافة العربية بالثقافة الغربية. حيث يرى أحمد الزيات الصورة بأنها: "إبراز المعنى العقلي أو الحسي في صورة محسوسة، و هي خلق المعنى و الأفكار المجردة، أو الواقع الخارجي ـمن خلال النفسـ خلقا جديدا"[1].

و يعرفها أحمد الشايب بأنها: "المادة التي تتركب من اللغة بدلالتها اللغوية و الموسيقية، و من الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه و الاستعارة و الكناية و حسن التعليل"[2].

و هي عند عبد القادر القط: "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة و إمكاناتها في الدلالة، و التركيب، و الإيقاع، و الحقيقة، و المجاز، و الترادف، و التضاد، و المقابلة، و التجانس، و غيرها من وسائل التعبير الفني"[3]. فلم يعد إذا مفهوم الصورة مقتصرا على الجانب البلاغي بل اتسع إلى الجانب الشعوري الوجداني، إلا أن مصطلح الصورة الشعرية لم يستعمل إلا حديثا، فهو عند مصطفى ناصف يستعمل للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي مؤكدا ذلك بقوله: "إن لفظ الاستعارة إذا أحسن إدراكه قد يكون أهدى من لفظ الصورة"[4].

بعد هذا السرد لمفهوم الصورة، سيقف البحث عند الصورة البيانية في شعر السرايا لجلاء جمالياتها، ومظاهر تأثيرها في المتلقي، ومدى قدرتها على أن تغوص في أعماق نفسيته، وهنا تظهر قدرة الشاعر في التلاعب بالألفاظ لينسج صورة بيانية تستطيع أن تحلق في أفاق عالية لتصل إلى قلب المتلقي بيسر وسهولة ،و تصبح جزءا من نفسه

1- أحمد الزيات: دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1967م، ص62.

2- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973م، ص284.

3- عبد القادر القط: اتجاه وجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ص391.

4- مصطفى ناصف: الفنون الأدبية، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، ص3-5.

في الدفاع عن تلك الفكرة بكل ما تحمله من قيم انسانية و اجتماعية تعكس نفسية الشاعر وما تحمله من مشاعر مختلفة.

أولا: الصورة الاستعارية في شعر السرايا و البعوث:

أ–لغة: عرفها ابن منظور بقوله: "و الاستعارة فإن قول العرب فيها: هم يتعاورون العواري و يتعوّرونها بالواو، كأنهم أرادوا تفرقة بين ما تردد من ذات نفسه، و بين ما يردد، قال و العارية منسوبة إلى العارة، و هو اسم من الإعارة. تقول أعرته الشيء و أعيره إعارة و عارة"[1].

ب– اصطلاحا: عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه، و تجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه، و تجريه عليه تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته و قوة بطشه، فتدع ذلك و تقول رأيت أسدا"[2].

ج– نماذج من الصورة الاستعارية في شعر السرايا:

من أمثلة الصورة الاستعارية ما نتلمسه في سرية يوم الرجيع، أين وقف حسان _رضي الله عنه_ في عزة المؤمن باكيا خبيبا _رضي الله عنه_ الذي صلب بمكة قائلا:

يـــا عـــينُ جُـــودي بِـــدَمْعٍ مِنْـــكِ مُنْسَـــكِبِ و ابْكـــي خُبَيْبًـــا مَـــعَ الفِتْيـــانِ لَمْ يَـــؤُبِ

ففي قول الشاعر: "يا عين جودي" استعارة مكنية حيث ذكر المشبه، و هو العين، و حذف المشبه به الإنسان، و ذكر إحدى مميزاته و خصائصه أداة النداء "يا".

من خلال هذا اللون البياني نستشف شخصية مؤمنة بالرسالة الإسلامية تأثرت باستشهاد الرجل العظيم خبيب، حيث جسد هذه المعاني في صورة محسوسة مخاطبا عينه أن تسخى بدموع حارة على بكاء خبيب _رضي

1– ابن منظور: لسان العرب، ، مادة (ع.و.ر)، مصدر سابق،545/9.

2– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه محمد رشيد رضا، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2001م، ص60.

الله عنه_ ، كما عملت هذه الصورة على كشف و توضيح الأحاسيس التي غمرت الشاعر، و هو حزنه و ألمه على فراق خبيب.

و مما زاد الصورة جمالا و أثرا في نفوس السامعين، أنها تتميز بقوة و تأكيد تلك الانفعالات التي ألمت بالشاعر من خلال الألفاظ، و دلالتها النفسية المعبرة عن تجرعه كأس الحزن _لوعة و أسى_ لفراق صاحبه مازجا أحاسيسه بما يصف بصدق، و إخلاص عن تلك العاطفة الإيمانية من خلال تلك الصورة التي تعكس تلك التجربة الشعرية، و ما يعانيه الشاعر من ألم الفراق.

يتابع حسان التعبير عن حبه و اهتمامه بصاحبه خبيب _رضي الله عنه_ فيصوره بأنه يعلو بين الأنصار بأخلاقه العالية، و خلاله الطيبة قائلا:

صَقْرًا تَوَسَّطَ فِي الأنصارِ مَنْصِبَهُ سَمْحَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ

جاءت الصورة تصريحية، حيث حذف المشبه (خبيب) و ذكر المشبه به (صقرا)، و هذا يعكس خيال الشاعر، و قدرته على التعبير عن تلك التجربة الشعرية التي عاشها في وجدانه، مشبعا بالأحاسيس و الانفعالات التي تحمل للمرثي الاحترام و التقدير، فشكل هذه المعاني في قالب محسوس يتحرك أمام الناظر، و هنا يظهر الشاعر مدى تأثره بأسلوب القرآن الكريم الذي يعتمد على التصوير البلاغي، و كأن الأمور تتحرك أمام الإنسان.

كذلك عمد الشاعر إلى توضيح هذه المعاني حتى يتمكن من الوصول إلى قلب المتلقي ليتأثر بها و يحملها و يدافع عنها، كما خلقت هذه الصورة قوة و تأكيدا لهذه المعاني لملائمتها و تناسقها، و انعكاسها لنفسية الشاعر من خلال صدق و قوة عاطفته في شدة تعلقه بخبيب.

في البيت السادس حلق الشاعر بخيال واسع إلى آفاق بعيدة، مشيدا و مفتخرا بعظمة، و قوة قبيلة خبيب، معبرا عن تلك الانفعالات في وعاء من الاستعارة التصريحية، حيث حذف المشبه و هم (الرجال) و ذكر المشبه به و هم (الأسود) فقال:

فيها أسودُ بَني النَّجَّارِ تَقْدُمُهُمْ شُهْبُ الأَسِنَّةِ في مُعْصَوْصِبٍ لجِبِ

لقد استطاع الشاعر بقدرته البلاغية و تمكنه من أداته التعبيرية أن يخلق لنا من خياله تلك الصورة، وتمكن من تجسيد تلك المعاني المعنوية التي تعيش في صدره في صورة محسوسة و متحركة أمام الناظر، و هذا يمثل قوة الشاعر البلاغية، حيث جعلها أكثر تأثيرا و انفعالا في نفوس الآخرين.

كما عملت هذه الصورة على تأكيد، و تقوية تلك المعاني من أجل أن تنقش تلك الأحاسيس لدى المتلقي، معتمدا على ألفاظ توحي و تعبر عن دلالتها النفسية و انعكاسها على عاطفة الشاعر بقوة و صدق حيث مزج تلك الانفعالات بما يصف.

يواصل حسان بن ثابت حديثه عن يوم الرجيع، و لكن هذه المرة هاجيا بني لحيان[1] إذ يقول:

إنْ سَـــرَّكَ الغَـــدْرُ صِـــرْفًا لا مِـــزاجَ لَـــهُ ... فـــاتِ الرَّجيـــعَ فَسَـــلْ عَـــنْ دارِ لَحْيـــانِ
قَـــوْمٌ تَواصـــوا بأَكْـــلِ الجـــارِ بَيْـــنَهُمْ ... فالكَلْـــبُ و القِـــرْدُ و الإنســـانُ مِـــثْلانِ
لـــوْ يَنْطِـــقُ التِّـــيسُ يَوْمًـــا قـــامَ يَخْطُـــبُهُمْ ... و كـــانَ ذَا شَـــرَفٍ فـــيهِمْ و ذا شـــانِ

ففي البيت الأول جاءت الصورة مكنية (سرك الغدر) حيث ذكر المشبه (الغدر)، و حذف المشبه به (الإنسان)، و ذكر أهم خصائصه و مميزاته، و هو السرور.

ففي هذه القطعة الشعرية يلمز الشاعر بني لحيان سائلا إياهم عن مدى سرورهم و فرحهم بهذا النصر الذي حققوه في يوم الرجيع، فهو في الحقيقة إحساس لا طعم فيه و لا ذوق له.

و من أمثلة التصوير الاستعاري الوارد في شعر السرايا ما جاء في قصيدة أبي بكر الصديق، و التي استهلها بمقدمة طللية ،وقف فيها الشاعر أمام آثار طيف سلمى، و هي مؤرقة لأمر قد حدث في عشيرتها، ثم انتقل بعد ذلك إلى لب الموضوع. ذلك أن قبيلة لؤي قد تفرقت و ابتعدت عن الإسلام، علما أن الرسول الكريم قد أبلغهم بقيمة تلك الرسالة السامية، إلا أنهم أشاروا عليه صلى الله عليه وسلم بالرحيل و عدم المكوث بينهم ، بل هربوا

1- بني لحيان: ينتسبون إلى قبيلة هذيل العدنانية.

منه كما تهرب النسوة المحجرة رغم ما يربطه بينه و بينهم من صلة دم و رحم، فقد أصروا على ترك التقوى والإيمان، و لقد لجأ الشاعر إلى التصوير البياني على سبيل الإستعارة المكنية للتعبير عن هذا الواقع بقوله :

فَكَـــمْ قَـــدْ مَتَتْنـــا فـــيهِمُ بِقَرابَـــةٍ وَ تَـــرْكُ التُّقَـــى شَـــيْءٌ لَهُـــم غَيْـــرُ كـــارِثِ

حيث شبه "التقى" بشيء مادي محسوس من خصائصه أن يترك أو لا يترك، فحذف المشبه به "الشيء المادي"، و رمز له بشيء من خصائصه و هو "الترك".

هذه الصورة البيانية جسدت المعنى المعنوي، و هو "التقوى" بشيء مادي ملموس، و بهذا استطاع الشاعر أن يضع لمسة بلاغية على المعنى، كما عبرت الصورة عن جملة من الإحساسات و الانفعالات النفسية من كره وبغض للمشركين، و إيمان عميق بالعقيدة الاسلامية و الدفاع عنها، معبرا بصدق عن قوة عاطفته الدينية التي تعكس ظلالها تلك الصورة، إلى جانب تلك الألفاظ المشبعة بقوة الإيمان، كذلك تكتسي هذه الصورة لوحة فنية أخرى تظهر جلية في كشف و توضيح تلك القيم الدينية و نقلها إلى المتلقي، و ما يصاحبها من تأثير و تفاعل معا.

في بيت آخر من هذه القصيدة تظهر صورة بيانية أخرى قائمة على الاستعارة المكنية في قوله:

وَ إِنْ يَرْكَبُـــوا طُغْيـــانَهُمْ وَ ضَـــلالَهُمْ فَلَـــيْسَ عَـــذابُ اللهِ عَـــنْهُمْ بِلابِـــثَ

حيث شبه الطغيان و الضلال بشيء مادي كالحيوان يركب أو لا يركب، فحذف المشبه، و رمز له بإحدى مميزاته و هو الركوب، هذه الصورة أبانت عن عمق إيمان الشاعر، و تفاعله مع الرسالة المحمدية هاجيا قريشا لطغيانها و ضلالها، و تلك مشاعر و أحاسيس استطاع الشاعر أن يوضحها و يجلي معانيها من خلال هذا الرسم البياني، فكأنها تبدو متحركة أمام القارئ. و هذا هو التصوير الحسي المأخوذ من أسلوب القرآن الكريم الذي يعتمد على التصوير الحركي، فيتأثر بها السامع أو القارئ، كما نجد أيضا أن هذه المعاني و الأفكار قد صبت في

قوالب من الألفاظ ميسورة الفهم، معبرة عن صدق عاطفة الشاعر، حيث استطاع بقوته و بلاغته أن يعبر عنها إلى جانب أنها تمتاز بالإيحاء و الإيجاز مما يكسب الأسلوب قوة و تأثيرا.

مع شاعر آخر عبد الله بن رواحة، الذي جادت قريحته الشعرية بصورة بيانية صور بها تلك الخيول، والتي صارت لفرط سرعتها يغطيها الغبار، فأصبح و كأنه الحزام الذي يربط به وسطها فيقول:

فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسَ و الغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ

هذا البيت يطلعنا على لون بياني في غاية الجمال و التأثير، يتمثل في استعارة مكنية، حيث شبه "أعنتها" أي القيود بشيء مادي، فحذف المشبه به و رمز له بشيء من خصائصه و لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية وفي ضوء هذه الصورة نستطيع أن نبين قدرة الشاعر، و قوة بلاغته التعبيرية في تجسيد وتشخيص تلك المعاني المتمثلة في اعتزازه و فخره بتلك الخيول و قوة انطلاقها مثيرة الغبار حولها، و كأنه حزام في وسطها.

كما عمدت الصورة إلى نقل هذه المشاعر التي عاشها الشاعر إلى المتلقي، و مما يجدر الإشارة إليه أنها عملت على تقوية و تأكيد تلك المعاني، و هذا وليد قدرة و تمكن الشاعر من سيطرته على أداته التعبيرية والوصول إلى قلب القارئ، كما ظهرت قدرة الشاعر في أنه استطاع أن يمزج تلك الأحاسيس بألفاظ موحية ومعبرة عن دلالتها اللغوية بصدق من خلال تلك الصورة عن هذه التجربة الشعورية التي عاشها في وجدانه.

ثانيا: الصورة التشبيهية في شعر السرايا و البعوث:

أ- التشبيه لغة:

التشبيه: التمثيل، (أشبه) فلانا و (شابهه)، و اشتبه عليه الشيء، و (الشَبه) أو (الشِبه) ضرب من **** يقال كوز شَبَه و شِبه بمعنى[1]. وعرفه ابن منظور بقوله: هو التمثيل أو المماثلة، يقال: شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثلته تمثيلا ، والشبه و الشبه و الشبيه : المثل [2] ، فهو يعني التمثيل و المماثلة .

1- الرازي: مختار الصحاح، تحقيق أيمن عبد الرزاق الشوا، ط1، دار الفيحاء، دمشق، 2008م مادة (شبه) ص232.

2 - ابن منظور : لسان العرب ، مادة ش ب ه، مصدر سابق، 23/7.

ب- التشبيه اصطلاحا:

إن التشبيه في اصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف، و هذه التعاريف، وإن اختلفت لفظا فإنها متفقة في المعنى، فابن رشيق يعرفه بقوله: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه و شاكله من جهة واحدة، أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم "خد كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه و خضرة كمائمه"[1].

أما أحمد مصطفى المراغي فعرف التشبيه بقوله: "إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة الكاف و ما في معناهما لغرض فائدة"[2]

وللتشبيه فوائد جمة؛ فهو يزيد المعنى وضوحا و يكسبه تأكيدا، و لهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، و لم يستغن أحد منهم عنه، و قد جاء عند القدماء و أهل الجاهلية، و من كل جيل ما يستدل به عن شرفه و فضله و موقعه من البلاغة لكل لسان[3]، فهو أقدم الوسائل الجمالية التي استخدمها الإنسان في حياته اليومية ، وفي إبداعه الفني ، فهو موجود في اللغة الحرفية و اللغة المنحرفة أي المعجمية والفنية ، وهذا يدل على على الوعي الكبير الذي تمتع به الإنسان ، إذ شعر بانفصاله عن الطبيعة و المشاهدات ، فراح يربط بين الأشياء ويبني علاقة أواصر فيما بينها قائمة على جزئيات متشابهة.[4]

نماذج من الصورة التشبيهية في شعر السرايا:

تطالعنا صور تشبيهية في سرية عبيدة بن الحارث لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، و التي مطلعها: أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث، حيث وظف الشاعر الصورة التشبيهية بتنوع ، حيث جاء في البيت الرابع تشبيه مؤكد في قوله:

1- ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، مصدر سابق، 286/1.

2- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان و المعاني و البديع، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2000م، ص259.

3- أبو هلال العسكري: الصناعتين، مصدر سابق، ص243.

4- أحمد ياسوف: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، دار المكتبي ، سوريا ،ط2، 2006، ص138.

إذا مـــا دَعَوْنـــاهُمْ إلى الحَـــقِّ أَدْبَـــرُوا وَ هَـــرُّوا هَريـــرَ الـــمُحْجِراتِ اللَّواهِـــثِ

فقد اعتمد على ذكر المشبه " وهروا "، و أسند إليه المشبه به "هرير المحجرات اللواهث"، مع حذف أداة الشبه.

من خلال هذه الصورة نستطيع أن نحس أو نلمس إحساس الشاعر، و قوة إيمانه المطلق بالحق المبين مجليا بذلك صورة بيانية قائمة على التشبيه المؤكد الذي يثير الإنتباه، و يحرك الإحساس، كما يعمد هذا اللون البياني إلى إيضاح الفكرة، و تجسيد المعنى المعنوي في صورة محسوسة، إلى جانب أنه أكثر بلاغة في الكلام، إذ لا تخفى مكانته في زيادة المعنى رفعة ووضوحا ،كما اتكأ الشاعر في بيت آخر من القصيدة على تشبيه مرسل فيقول :

فـــإنْ يَرْجِعُـــوا عَـــنْ كُفْـــرِهِمْ وَ عُقُـــوقِهِمْ فَمـــا طَيِّبـــاتُ الحِـــلِّ مِثْـــلَ الـــخَبائِثِ

حيث بين أن تلك الأعمال الصالحة لا تتشابه و الأعمال الخبيثة، فذكر المشبه "طيبات الحل"، و المشبه به "الخبائث"، و أداة التشبيه "مثل"، وحذف وجه الشبه، فهو تشبيه قائم على المقارنة من أجل تأكيد و تثبيت الفكرة التي يؤمن بها الشاعر، و هو الإيمان بمعين القرآن، فهي صورة بيانية مأخوذة من الواقع و الأحداث التي جرت في الساحة إبان صدر الدعوة المحمدية، و التي انبرى كثير من الشعراء للدفاع عنها .

يواصل الشاعر بخياله الواسع رسم صورة بيانية أخرى قائمة على تشبيه تام فقال :

فَـــأُوْلِي بِـــرَبِّ الرَاقِصـــاتِ عَشِـــيَّةً حَـــرَاجيجُ تُحْـــدَى في السَّـــريحِ الرَّثائِـــثِ
كَـــأُدْمِ ظِبـــاءٍ حَـــوْلَ مَكَّـــةَ عُكَّـــفٍ يَـــرِدْنَ حِيـــاضَ البِئْـــرِ ذاتِ النَّبائِـــثِ

حيث ذكر أركانه الأربعة من المشبه "حراجيج" التي تحدي الإبل في سيرها، و المشبه به "أدم ضباء"، و وجه الشبه "حول مكة عكف"، و أداة التشبيه "الكاف"، و قد اعتمد الشاعر على هذا اللون من التشبيه الحسي ليعبر عن تجربته الشعرية الواقعية بصدق موضحا تلك الفكرة التي اختمرت في وجدانه، وعاشها بصدق.

تقوم التشبيهات على ضروب مختلفة، منها تشبيه به حركة، كما اعتمدها الشاعر، و الاعتكاف حول مكة، أي حمايتها و صيانتها من أعداء الدعوة الإسلامية، فذكر المشبه "حراجيج" و أسند اليه المشبه به "أدم ضباء"، و ذكر أداة التشبيه "الكاف"، إلى جانب بيان وجه الشبه و هو "العكف"، و هذا ما يثير الذهن و يحرك الإحساس عند السامع و القارئ، و هنا يتمكن الشاعر من نقل تجربته الشعرية بصدق، وهذا من سمات الشعر العربي صدق التجربة الشعرية .

يمكن أن نبين أكثر أن هذه الصورة البيانية تجلي و توضح الفكرة لكل من السامع و القارئ، و التأثير فيهما لحمل راية الإسلام و الدفاع عنه، إلى جانب تقوية و تأكيد الفكرة التي يؤمن بها الشاعر، كذلك نستطيع أن نلمس الحس البلاغي الذي اعتمد عليه الشاعر و هو من سمات الأدب العربي الذي يهتم به النقاد في الشكل و المضمون .

في قتل كعب بن الأشرف قال حسان بن ثابت:

وَ لَقَدْ رَأَيْتُ بِبَطْنِ بَدْرٍ مِنْهُمُ ... قَتْلَى تَسُحُّ لها العُيونُ وَ تَدْمَعُ
فَأَبْكي فَقَدْ أَبْكَيْتَ عَبْدًا راضِعًا ... شِبْهَ الكُلَيْبِ إلى الكُلَيْبَةِ يَتْبَعُ
وَ لَقَدْ شَفَى الرَّحْمنُ مِنَّا سَيِّدًا ... وَ أَهانَ قَوْمًا قاتَلوهُ وَ صُرِّعُوا

في هذه الأبيات جعل حسان بن ثابت كعب بن الأشرف عبدا وضيعا يشبه الكليب؛ فهذه الصورة تعكس إحساس و مشاعر الشاعر في تهكمه و سخريته من كعب، معتمدا في تلك الصورة على وزن فعيل، و هذا قمة التحقير، راسما بذلك مدى كراهيته و ازدرائه تلك الشخصية في صورة تشبيه مرسل، و ما يصاحبها من فضول لمعرفة هذه الشخصية المهترئة، إلى جانب هذا فإن كل لفظ يعبر عن مدى كراهية الشاعر و حقده.

و في قطعة أخرى يخلد حسان صورة الأبطال الأقوياء في سيرهم نحو الظفر برؤوس الكفر و العناد بقوله:

للهِ دَرُّ عِصابَةٍ لاقَيْتُهُمْ ... يا ابْنَ الحُقَيْقِ وَ أَنْتَ يا ابْنَ الأَشْرَفِ
يَسْرونَ بالبيضِ الخِفافِ إليكُمُ ... مَرَحًا كأُسْدٍ في عَرينٍ مُغْرَفِ

ففي قول الشاعر:

يَسْـــرونَ بـــالبيضِ الخِفـــافِ إلـــيكُمُ مَرَحًـــا كأُسْـــدٍ في عَـــرينٍ مُغْـــرَفِ

تشبيه تام حيث شبه هؤلاء الجند و هم يسيرون ليلا حاملين سيوفهم كأسود تمشي وسط غابة كثيفة الأشجار دون جزع، أو خوف، ذاكرا أداة التشبيه (الكاف) و وجه الشبه (دون خوف).

في هذه الصورة يعظم الشاعر هذه القوة، و هي حاملة سيوفها يحدوها الإيمان العميق لتحقيق النصر المبين فالصورة ترسم عقيدة الشاعر المؤمن بأحاسيسه و مشاعره، إلى جانب قوة تأثيرها في ذهن السامع أو القارئ لتنقل إليه تلك التجربة الشعرية بصدق و إيمان، كذلك تعمل هذه الصورة على تفعيل قوة و تأكيد المعنى، و إجلاء وإيضاح الفكرة إلى جانب كشف سرها و جمالها البلاغي.

يتراءى لنا تشبيه تام آخر في يوم الرجيع عند استشهاد خبيب _رضي الله عنه_ حيث رسمت أنامل الشاعر حسان بن ثابت هذه الصورة بقوله:

مـــا بـــالُ عيْنَيْـــكَ لا تَرْقـــا مَـــدامِعُها سَـــحًّا علـــى الصَّـــدْرِ مِثْـــلَ اللُّؤْلُـــؤِ القَلِـــقِ
علـــى خُبَيْـــبٍ فَـــتَى الفِتْيـــانِ قَـــدْ عَلِمُـــوا لا فَشِـــلٍ حـــينَ تَلْقـــاهُ و لا نَـــزِقِ

ففي هذه الصورة نستطيع أن نضع أصابعنا على تشبيه تام يتمثل في المشبه (الدموع) و المشبه به (اللؤلؤ) وأداة التشبيه (مثل) و وجه الشبه (القلق)، فحسان يخاطب عينيه بأن دموعها حين بكت خبيبا لم تكن قادرة عن التعبير من شدة الحزن الذي انتابه في استشهاده.

لقد استطاعت هذه الصورة البيانية أن تكشف و تجلي الحزن الذي ملأ غمار قلب الشاعر، كما استطاعت أن تؤكد و تقوي تلك الأحاسيس التي تتضمنها الصورة مؤثرة في المتلقي فتفاعل معها. و استجاب لها كذلك بينت عن قوة و تمكن الشاعر من السيطرة على الألفاظ التي تعبر عن دلالتها اللغوية، الحزن، الألم، الأرق فهي تعكس ظلال عاطفته بقوة و صدق ،كما بينت هذه الصورة مدى تمكن الشاعر و قدرته على التلاعب بالألفاظ و نقل تجربته الشعرية في أسلوب بلاغي مؤثر.

يتواصل إبداع الشاعر بخياله الواسع في حبك صورة تشبيهية بليغة مقلوبة و هو يرثي خبيبا _رضي الله عنه_ إذ يقول:

فيهـــا أســـودُ بَـــني النَّجَّـــارِ تَقْـــدُمُهُمْ شُـــهْبُ الأَسِـــنَّةِ في مُعْصَوْصِـــبٍ لجِـــبِ

فقد شبه الشاعر "الأسنة" في شدة لمعانها تحت بريق أو أشعة الشمس كالشهب اللامعة في دجى الليل وهنا تتجلى قيمة و بلاغة هذا التشبيه عند نقاد الأدب العربي.

حيث جعل الشاعر المشبه و المشبه به كأنهما شيء واحد، فهي تعكس قوة الشاعر في سبك هذه الصورة البيانية، حيث وضع صورة رجال بني النجار و هم مدججون بسيوفهم تحت أشعة الشمس كالشهب لا يعتريهم خوف و لا جزع من الأعداء بل يتسابقون نحو العدو، و بكل شجاعة و إقدام.

كما كشفت هذه الصورة عما تحمله من دلالات نفسية تثبت و تؤكد تلك المعاني التي تطرق إليها الشاعر و هي الإقدام و الشجاعة معبرا بذلك عن عاطفة قوية و صادقة، متمكنا من أداته التعبيرية حيث أن كل لفظ يحمل دلالته أي (الحزن)، فهو أكثر بلاغة و إيجازا و تأثيرا، و هذا ما يحمده نقاد الأدب.

في صورة تشبيهية أخرى شهر حسان بن ثابت _رضي الله عنه_ سيف شعره هاجيا هذيلا فيما صنعوا بخبيب _رضي الله عنه_ إذ يقول:

قَـــوْمٌ تَواصـــوا بأَكْـــلِ الجـــارِ بَيْـــنَهُمْ فالكَلْـــبُ و القِـــرْدُ و الإنســـانُ مِـــثْلانِ

هنا تشبيه مرسل مجمل، فقد شبه الشاعر بني لحيان بالكلب و القرد و الإنسان الوضيع ذاكرا أداة التشبيه (مثلان)، و حاذفا وجه الشبه، و هنا تمكن حسان بقدرته و سيطرته على اللغة أن يصور بني لحيان بهذه الوضاعة كاشفا القناع عن تلك الصفات اللاإنسانية التي يتحلون بها، فهم أشباه الكلاب و القرد.

لقد عبرت هذه الصورة عن الأحاسيس و المشاعر التي يكنها الشاعر لبني لحيان من سخرية و تهكم وكراهية، معبرا بقوة و صدق عن تلك التجربة الشعرية بأسلوب بلاغي مؤثر.

ثالثا: الصورة الكنائية في شعر السرايا و البعوث:

أ- الكناية لغة: أن تتكلم بشيء و تريد غيره، و قد كنيت لكذا عن كذا[1].

ب- الكناية اصطلاحا: يعرف الإمام عبد القادر الجرجاني بقوله: "هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود فيومئ به إليه يجعله دليلا عليه"[2].

و عرفها القزويني بقوله: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"، كقولك (فلان طويل النجاد) أي: طويل القامة[3].

و يعرفها الأستاذ فايز الداية بقوله: "إن الصورة الكنائية تقوم على نوع آخر من الحيوية التصويرية، فهناك أولا: المعنى أو الدلالة المباشرة الحقيقية ثم يصل القارئ أو السامع إلى (معنى المعنى)، و هي العلاقة الأعمق فيما يصل إلى التجربة الشعورية و الموقف"[4]، فالصورة عند المحدثين طريقة للتعبير بالصورة، تحمل في طياتها معاني الخفاء و الستر.

ج- أقسام الكناية: و تنقسم الكناية من حيث المكنى إلى ثلاثة أقسام:

ج-1- كناية الصفة: و هي التي يطلب بها نفس الصفة و المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة و أمثالها لا النعت[5].

1- الرازي: مختار الصحاح، مادة (كنى)، مصدر سابق، ص394.

2- عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص60.

3- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2010، ص241.

4- فايز الداية: جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، دمشق، و دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية 1996م، ص141-143.

5- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، د ت،ص212.

ج–2– كناية الموصوف: و هي التي يطلب بها نفس الموصوف و الشرط هنا تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه، و ذلك ليحصل الانتقال منها إليه[1].

ج–3– كناية النسبة: و يراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه[2].

د– نماذج من الصورة الكنائية في شعر السرايا:

د–1 الكناية عن صفة:

في سرية عبيدة بن الحارث يخلق الشاعر أبو بكر الصديق في آفاق عالية و بخيال واسع ، و يبتكر صورة بيانية على أساس الكناية إذ يقول أبو بكر الصديق:

وَ نَحْـــنُ أُنـــاسٌ مِـــنْ ذُؤابَـــةٍ غَالِـــبٍ لَنـــا العِـــزُّ مِنْهَـــا في الفُـــرُوعِ الأَثائِـــثِ

حيث ظهرت قدرة الشاعر في صب معانيه في قالب بلاغي مؤثر على شكل صورة بيانية، و هي كناية عن صفة العزة و الإباء، ففي هذا اللون البياني الذي خلق جوا من حب الاستطلاع في النفس لمعرفة ما يتحلى به قوم الشاعر من مجد و سمو، فأخذ الشاعر بأيدينا إلى ما يتصف به هؤلاء القوم من رفعة و سؤدد مبالغا في المعنى والتعبير الكنائي له من القوة و التأكيد لإثبات ما لم يتحقق له في اللفظ الموضوع له.

كما عمد الشاعر في هذه الصورة إلى خلق نوع من الحياة و الحركة مجسدة في تلك المعاني، و أبرزها في صورة حسية مما أدى إلى تأكيدها و رسوخها في النفس و الاستجابة و التفاعل معها، وقد أبانت هذه الصورة عن قوتها البلاغية في كشف و إجلاء تلك القيم الإنسانية التي أراد الشاعر أن يبرزها، و هو الفخر و الاعتزاز معبرا عن ذلك بعاطفة قوية جياشة كمرآة صادقة تعكس ظلالها تلك الأحاسيس التي أحس بها الشاعر، و مكنته من توظيف الألفاظ و مجانستها و اتساقها لتعبر عن انفعالاته بدلالتها اللغوية.

1– عبد العزيز عتيق: علم البيان، مرجع سابق ص215.
2– بداوي بطانة، علم البيان،مرجع سابق، ص240.

في ظل نشوب الحرب التي دارت بين المسلمين و المشركين ،و إلى جانب السيف كان للشعر دور في إذكاء الحرب التي دارت بين المعسكرين، و لعل كعب بن الأشرف هو واحد من شعراء المشركين الذين ساهموا في هجاء المسلمين، و التحريض عليهم حيث يقول:

طَلْــقِ اليَــدَيْنِ إذا الكَواكِــبُ أَخْلَفَــتْ حَمَّــالِ أَثْقــالٍ يَســودُ وَ يَرْبَــعُ

فقد جاشت عاطفة الشاعر فعبر عن لوعته و حزنه لما آل إليه مصير مهلكهم من حتف على يد المسلمين معبرا عن ذلك بلون بياني في شكل كنائي عن صفة الكرم و الجود للممدوح، فعبر عن ذلك بـ "طلق اليدين" وهذا يعكس قوة الشاعر في التعبير عن المعنى الكنائي بما قد لا يتحقق في التعبير المباشر باللفظ الموضوع له فاستطاع أن يؤكد ذلك بالدليل و الحجة، و هذا سر جمال الصورة البيانية، كذلك ساهمت هذه الصورة في توضيح و إجلاء تلك المعاني التي اختمرت في ذهن الشاعر مما جعلها أكثر تأثيرا في النفس.

كذلك تمكن الشاعر من أن يجسد هذا المعنى في صورة متحركة تزخر بالحياة، و هذا ما زادها بلاغة و قوة و إيجازا، فقد أضفت على المعنى جمالا و زادته قوة، و استطاع الشاعر بذلك أن يحقق الأهداف البلاغية المرجوة المتمثلة في تأكيد و تقوية تلك المعاني و أثرها في النفس الإنسانية.

و ها هو حسان ينبري مرة أخرى في دفاعه عن رسالة الإسلام شاهرا سلاح الشعر في وجه العدو، محرضا ابن أبي براء على عامر بن الطفيل بقوله:

بَــــني أُمِّ البَنــــينَ أَلَمْ يَــــرُعْكُمْ وَ أَنْــتُم من ذَوَائب أَهــلِ نَـجْــــدِ
تَهَكُّــــمُ عــــامِرٍ بِــــأَبي بَــــراءٍ لِيُــخْــفِــرَهُ و مَــا خَــطَــأُ كَـعَـمْــــدِ
أَلا أَبْلِــــغْ رَبيعَــــةَ ذا المســــاعِي فَــمَــا أَحْــدَثْتَ في الحَــدَثَــانِ بَـعْــدِي
أَبــــوكَ أَبُــــو الحُــــروبِ أبــــو بَــــراءٍ و خَــالُــك مَــاجِــدُ حَكَمُ بن سَـعْــدِ

فالصورة الكنائية لم تكن في منأى عن شعر حسان و اهتمامه، بل كانت موضع اهتمامه و عنايته، رغم أن شغله الشاغل ليس فقط الناحية البلاغية أو غيرها في شعره ، إنما اهتمامه كان منصبا على الدفاع عن الدعوة والوقوف في وجه المشركين[1].

في هذه الأبيات تسفر الكناية عن وجهها في قوله: و أنتم من ذؤاب أهل نجد كناية عن الشرف و العزة والرفعة لأهل نجد، فالصورة البيانية كشفت عن تلك المميزات التي امتاز بها أهل نجد، فتمكن الشاعر من خلال تلك الأحاسيس أن يحيل تلك المعاني و الأفكار إلى صور متحركة مجسدة مما خلق فيها إثارة، و تحريكا لذهن المتلقي، ليكشف الشاعر سر الحالة النفسية التي عاشها.

يمكن أن نشير أيضا أن هذه الصورة قد كشفت عن تلك الأفكار و المعاني التي أشربها الشاعر، و من هنا يتلقاها المتلقي بيسر و سهولة، معتنقا لها و مدافعا عنها، و هذه رسالة الشاعر التي تتمثل في قوة التأثير و نقل تلك الأحاسيس، و التعبير عن ذلك بعاطفة قوية و صادقة .

كما تتجلى في آخر القطعة صورة كنائية عن الإقدام و الشجاعة في قوله أبوك أبو الحروب أبو براء. حيث استطاع الشاعر أن يسرح بخياله الواسع في رسم تلك اللوحة الزيتية التي تبدو للناظر، و كأنها حقيقية، وفي هذا تتمثل قوة و براعة الشاعر، التي تتخذ الألفاظ أدوات تعبر بها عن البطولة و الإقدام و الشجاعة في خوض المعارك، ونتيجة لهذا الجهد كانت الصورة البيانية مرآة صادقة تنعكس من خلالها تلك الحالة النفسية التي عاشها الشاعر، و مما زاد هذه الصورة قوة و بلاغة تلك الألفاظ التي توحي و تعبر عن عاطفة الشاعر ،و هي احترام وتقدير أم البنين.

و بحس مرهف بكى حسان بن ثابت قتلى بئر معونة و خص بالذكر المنذر بن عمرو ــرضي الله عنهــ قائلا:

عَلَـــى قَتْلَـــى مَعونَـــةَ فَاسْـــتَهِلِّي بِـــدَمْعِ العَـــيْنِ سَـــحًّا غَيْـــرَ نَـــزْرِ

1- أمين أحمد حميدوش: الصورة الفنية في شعر الهجاء لدى شعراء الدعوة في صدر الإسلام، رسالة أعدت لنيل درجة الدبلوم في اللغة العربية و آدابها الجامعة اللبنانية-طرابلس، 2002م، ص149.

عَلـــى خَيْـــلِ الرَّســـولِ غَـــداةَ لاقَـــوْا وَ لاقَـــــتْهُمْ مَنايـــــاهُمْ بِقَـــــدْرِ

ففي قوله: "بدمع العين سحا" كناية عن صفة، و هي الإخلاص و الوفاء بدموع غزيرة.

هذه الصورة تألق حسان بصبه تلك المعاني المؤثرة و الأحاسيس الصادقة في قالب بياني متمثلا في صورة بيانية تعبر عن كثرة البكاء على شهداء بئر معونة و عن إخلاصه و وفائه لهم ، وقد استطاع بقدرته و تمكنه من اللغة أن يصب هذه الانفعالات في قالب محسوس، ناقلا تجربته بيسر و سهولة إلى المتلقي.

السر في جمال هذه الصورة، أنها كشفت تلك المعاني التي عاشها الشاعر مجليا عاطفته الصادقة بقوة وهي إجلال و تعظيم هؤلاء الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الدعوة، ومما زاد الصورة قوة و بلاغة ذلك الحقل الدلالي لتلك الألفاظ "خيل الرسول"، "منياهم بقدر"، التي توحي و تشير إلى قوة و إيمان الشاعر بتلك الرسالة السامية.

د-2-كناية عن موصوف:

إذا كانت الصورة البيانية وليدة الخيال، فالتجربة الشعرية هي المحرك لها، حيث تألق الشاعر أبو بكر الصديق في سرية عبيدة بن الحارث في دفاعه عن الإسلام بإبداع صورة كنائية في قوله:

إذا مـــــا دَعَوْنـــــاهُمْ إلى الحَـــــقِّ أَدْبَـــــرُوا وَ هَـــــرُّوا هَريـــــرَ الـــــمُحْجِراتِ اللَّواهِـــــثِ

هي كناية عن موصوف، و هو الإسلام في قوله "الحق"، وقد أثارت هذه الصورة في النفس الإحساس والانفعال للكشف عن هذا الحق، و ما خلفته هذه الصورة يظهر جليا في تأكيد و تقوية تلك المعاني، و هو يعكس قدرة الشاعر على الإبداع و الخلق في ثوب بلاغي مؤثر.

و مما تجدر الإشارة إليه أيضا أن هذه الصورة قد تمكنت من تجسيد و تشخيص تلك المعاني الإسلامية والقيم الروحية في صورة محسوسة تزخر بالحياة و الحركة مما يؤدي إلى ثباتها في النفس، و العمل على إجلاء

وإيضاح تلك الأحاسيس من خلال التجربة الشعرية التي أراد الشاعر أن يعبر من خلالها عن هذا الإحساس المفعم بالإيمان.

كذلك أظهرت هذه الصورة أن عاطفة الشاعر معبرة عن صدقها و قوتها المشبعة بالروح الإسلامية، فكل لفظ يرمي و يشير إلى دلالته اللغوية الموحية إلى إيمانه المطلق بهذه الرسالة.

في بكاء كعب بن الأشرف لقتلى القليب تميز بغضبه و كرهه للدين الإسلامي بصورة كنائية متمثلة في قوله:

قُتِلْتْ سَراةُ النّاسِ حَوْلَ حِياضِهِمْ لا تَبْعَدُوا إنَّ الملوكَ تُصْرَّعُ

يؤكد البيت غضب الشاعر و كرهه للدين الإسلامي و تحريضه على غزو المسلمين باكيا أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر مصورا ذلك في قالب من الكناية عن موصوف "حول حياضهم" و هو قتلهم حول ديارهم، معبرا عن مدى حزنه و ألمه، وقد أكدت هذه الصورة المبالغة في المعنى، كما عملت هذه الصورة على تجسيد المعنى بشكل يزخر بالحياة و الحركة و هذا ما زادها رسوخا و تأكيدا في النفس ، كما أن الصورة عكست عاطفة الشاعر بأسلوب أكثر بلاغة و إيجازا في الكلام، تعبيرا عن أحاسيس الحزن و الألم مما زادها قوة أكثر وتأثيرا في النفس.

من قلب المعاناة يضعنا حسان بن ثابت، و بحس مرهف أمام صورة بيانية متمثلة في كناية عن موصوف في قوله:

وَ كائِنْ قَدْ أُصيبَ غَداةَ ذاكُمْ مِنَ أَبْيَضَ ماجِدِ مِنْ سِرِّ عَمْرِو

فقوله: "من أبيض ماجد" كناية عن موصوف، ألا و هو السيف، فالشاعر نقل إلينا هذا المشهد في صورة بيانية متحركة و مجسدة لتلك المعاني في حركة دؤوب لها قدرة و أثر في نقل هذه التجربة، متحركة بأبعاد نفسية مشبعة بجملة من القيم الدينية و الإنسانية المؤثرة في نفسية السامع أو القارئ.

و مما زاد هذه الصورة جمالا أنه صبها في قالب بلاغي مؤثر، معبرا بصدق عن قوة عاطفته الجياشة وبألفاظ ذات نغمة موسيقية تنبع من قوة إيمان الشاعر، موحية و معبرة عن تلك المعاني و المبادئ النبيلة التي اتصف بها الشاعر فهي تسري في عروق دم الشاعر، و كأنها الشريان الحيوي الذي ينبض بتلك الحياة.

في قصيدة لحسان بن ثابت و هو يبكي جعفر بن أبي طالب نقف على صورة بيانية في قوله:

وَ لَقَـــدْ بَكَيْـــتُ وَ عَـــزَّ مَهْلِـــكُ جَعْفَـــر حِـــبِّ النَـــبِيِّ علـــى البَرِيَّـــةِ كُلّهـــا

إلى أن قال:

بَعْـــدَ ابْـــنِ فاطمـــةَ المبـــارَكِ جَعْفَـــرٍ خَـــيْرِ البَرِيَّـــةِ كُلِّهـــا وَ أَجَلِّهـــا

حيث جادت قريحة الشاعر في التعبير عن تجربته الشعرية، و بإحساس مرهف هذه الصورة البيانية ، المتمثلة في كناية عن موصوف "ابن فاطمة المبارك"، و هو رثاء جعفر بن أبي طالب.

فالشاعر بقوة إيمانه و بحزنه البالغ استطاع أن يصب هذه الانفعالات التي تجيش في صدره، مبرزا قوة أداته التعبيرية عن تلك المعاني، و ما يصاحبها من مشاعر، ذلك أن التعبير عن المكنى عنه أقوى بلاغة من اللفظ الموضوع له، كما عملت هذه الصورة على تجسيد المعنى المعنوي في صورة محسوسة تزخر بالحياة و الحركة و الحيوية فكان ذلك أدعى لتأكيدها و اثباتها و نقلها إلى المتلقي مع ما يصاحبها من استجابة و انفعال و مشاركة.

كذلك يمكن أن نشير إلى مدى أهمية هذه الصورة في كونها جلت و بينت الفكرة التي اختمرت في ذهن الشاعر، أي مدى حزنه على موت جعفر، فنقلت أحاسيس الشجن بيسر و سهولة.

و بمقدورنا بعد الدراسة أن نخلص إلى أن الصورة البيانية :هي التي تجلي و تكشف تلك الانفعالات والأحاسيس، و هي التعبير الصادق عن التجربة التي عاشها الشاعر، و تمخضت في تلك الألفاظ و تناسقها في تشكيل صورة بيانية مؤثرة تنقل التجربة بيسر و سهولة إلى المتلقي، فيتأثر بها و يدافع عنها و تصبح جزءا من عقيدته.

إن سر جمال الصورة الاستعارية: هي تجسيد المعنى المعنوي في صورة محسوسة، و هذا ما يزيد التعبير بلاغة و التصوير وضوحا، و القصيد سحرا و عذوبة، فهي تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، و من خصائصها التشخيص و التجسيد للمعنويات، و بث الحركة و الحياة، و النطق في الجماد، و المبالغة في إبراز المعنى المتوهم إلى الصورة المشاهدة.

أما الصورة التشبيهية، فلها عظيم الأثر في النطق عن المعاني و الأفكار و حملها عبر الصور و الأخيلة لتوضيح المدلول المعنوي و تقريبه إلى الأذهان، فتسمو به من واقع الحال إلى سعة الفضاء، فالتشبيه ينتقل بالمتلقي من الشيء نفسه إلى شيء يماثله أو يشبهه فيزيد المعنى وضوحا و يكسبه تأكيدا، و لذلك كان التشبيه أروع في النفس و أدعى إلى إعجابها و اهتزازها.

و السر في بلاغة الكناية أنها تعطي في الكثير من الأحايين الحقيقة مقترنة بالواقع، و هي أبلغ من الحقيقة فتأتي في ثوب بلاغي مؤثر من خلال توليد الأفكار و المعاني في صور محسوسة تنبض بالحياة مما يزيد الصورة أكثر جمالا و تأثيرا.

المبحث الثالث: موسيقى شعر السرايا

- الموسيقى الداخلية
- الموسيقى الخارجية

المبحث الثالث: موسيقى شعر السرايا

الموسيقى نغم تطرب له الأذن، و هي ذات تأثير نفسي تهز المشاعر و الوجدان، عندما يسمعها الإنسان فتثير في نفسه موجة من الإحساس تدفعه إلى التفاعل و الانسجام مع هذه النغمة، و قد يكون منبعها من خلال اهتزاز الأوتار الموسيقية على يد فنان ماهر تنساب من بين أنامله موسيقى ذات نغمة مؤثرة آسرة للقلوب، و قد يكون مصدرها هذا الكون و ما يحمله من أسرار الحياة "فكل ظاهرة كونية لها إيقاعها المؤثر تجعل من تجاذب جزئيات الكون بعضها بالبعض الآخر حركة إيقاعية"[1].

فحفيف الأشجار، و تغريد الطيور، و خرير المياه، و السحب المتنقلة، و ما يصاحبها من هبوب الرياح وسقوط الأمطار عناصر في هذا الكون ، ومن تآلفها تنبثق موسيقى الحياة، و أما موسيقى الكلمة الساحرة فتعبر عن تجربة الشاعر التي عاناها في وجدانه ليعبر بصدق عن تلك الحالة النفسية فيلبس الكلمة ثوبا من وجدانه وأحاسيسه ويحولها إلى حركة موسيقية عذبة تطرب لها الأذن و هذا ما يعكس قوة بيانها و إيحائها في قالب شعري يقول ابراهيم أنيس: "الشعر من الفنون الجميلة مثل التصوير و النحت و الموسيقى و هو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة و يستثير المشاعر و الوجدان، و هو جميل في تخير كلماته، جميل في تراكيب كلماته، جميل في توالي مقاطعه و انسجامها بحيث تتردد و تكرر بعضها فتسمعه الآذان موسيقى و نغما، فالشعر صورة جميلة من صور الكلام"[2].

من هنا ندرك الدور الذي تلعبه تلك التراكيب، و انسجام الأفكار و دلالة الألفاظ و ترتيبها، وتوالي الأصوات اللغوية في صنع ما يسمى بالموسيقى الدا خلية.

1- صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر العربي بين الثبات و التطور، مكتبة الخانجي القاهرةط3، 1993 م،ص11.
2- ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010، ط4، ص9.

1- الموسيقى الداخلية:

أ- التصريع:

يعرف ابن رشيق التصريع بأنه: "ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه و تزيد بزيادته... واشتقاق التصريع من مصراعي الباب و لذلك قيل لنصف البيت "مصراع" كأنه باب القصيدة و مدخلها، وقيل بل هو من الصرعين و هما طرفا النهار... و سبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور و لذلك وقع في أول الشعر"[1].

إن هذا اللون من المحسنات البديعية يكون ذا تأثير بالغ عندما ينساب على لسان الشاعر دون تكلف أو تصنع و يتجلى ذلك في قدرة الشاعر على توظيف هذا اللون البديعي ليكسب الكلام نغمة إيقاعية، معبرا بصدق و بإحساس مرهف عما يجيش في صدره، و هذا يعكس قدرة الشاعر، و سيطرته على أداته التعبيرية، فيتسلل الشاعر إلى قلب المتلقي بيسر و سهولة متفاعلا مع الشاعر، كذلك يعمد هذا اللون إلى خلق احساس بإيقاع نغمة البيت من بدايته و يتجلى ذلك من حرفي العروض و الضرب.

التصريع عند ابن الأثير بمنزلة السجع في الشعر، حيث يقول: "و اعلم أن التصريع في الشعر بمنزلة السجع... وفائدته في الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها، و شبه البيت المصرع بباب له مصراعان متشاكلان، و قد فعل ذلك القدماء و المحدثون، و فيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام فأما إذا كثر التصريع في القصيدة، فلست أراه مختارا إلا أن هذه الأصناف من التصريع و الترصيع و التجنيس و غيرهما إنما يحسن منها في الكلام ما قل و جرى مجرى الغرة من الوجه، أو كان كالطراز من الثوب، فأما إذا تواترت و كثرت فإنها لا تكون مرضية لما فيها من أمارات الكلفة"[2].

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و آدابه: مصدر سابق، 1/173-174.

2- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر و توزيع المكتبة العصرية، بيروت، 1995 .237/1

نماذج من التصريع في شعر السرايا:

اهتم القدامى بهذا اللون البديعي في استهلال قصائدهم، فقال ابن قتيبة: "ربما صرعوا أبياتا أخرى بعد البيت الأول و ذلك يكون من اقتدار الشاعر و سعة بحره و أكثر من يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر"[1]، و من ذلك قوله[2]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَ مَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَينَ الدُخُولِ فَحَوْمِلِي

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال:

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّلِ وَ إِنْ كُنْت قَدْ أَزمعْت صَرمي فَأَجْمِلي

ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات فقال:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَوِيلُ أَلَا انجَلِي بِصُبحٍ وَ مَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

والظاهرة نفسها يمكن ملاحظتها في شعر أبي بكر الصديق، حيث قال في سرية عبيد بن الحارث:

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمى بِالبِطاحِ الدَّمائِثِ أَرِقْتَ وَ أَمْرٍ في العَشيرةِ حادِثِ
تَرَى مِنْ لُؤيٍّ فُرْقَةً لا يَصُدُّهَا عَنِ الكُفْرِ تَذْكيرٌ وَ لا بَعْثُ باعِثِ
رَسولٌ أَتاهُمْ صادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ وَ قالُوا: لَسْتَ فِينَا بِماكِثِ

في هذه المقطوعة تمكن الخليفة أن يرسم لوحة زيتية أدواتها الألفاظ مشيدا بسرية عبيد بن الحارث مستهلا قصيدته بالتصريع شأنه شأن القدامى، و ذلك لتحقيق تلك النغمة الموسيقية المنبعثة من عروض و ضرب البيت الشعري الذي استهل به قصيدته، إذ صير الشاعر مصراع البيت الأول و جعله مشابها لقافيته محققا قوة التأثير في نفسية المتلقي، و معبرا عن قوة و تأكيد المعنى، و إجلاء و وضوح الفكرة، إلى جانب قدرته و سيطرته على أداته التعبيرية في الكشف عن خلجات نفسه و هو الاعتزاز و الإيمان برسالة الرسول.

1- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق و تعليق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع بيروت، د ت، ص 86.
2- شرح ديوان امرئ القيس، دار صادر بيروت، د ت، ص29-49.

كذلك سار حسان بن ثابت على خطى القدامى في استهلال قصيدته ببيت يتجلى فيه التصريع، أي توافق العروض و الضرب بحروف متشابهة، و قافية واحدة، و هذا لجلب اهتمام المتلقي، فقال يرثي خبيبا رضي الله عنه:

يـا عـينُ جُـودي بِـدَمْعٍ مِنْـكِ مُنْسَـكِبِ و ابْكـي خُبَيْبًـا مَـعَ الفِتْيـانِ لمْ يَـؤُبِ

استهل حسان بن ثابت قصيدته بهذا اللون البديعي ليضفي على القصيدة نغمة حزينة –إيقاعية مؤثرة– في بكائه على خبيب، فالقصيدة من البحر البسيط وظف فيها الصورة البيانية على شكل استعارة مكنية لتجود عينه بالبكاء و تكون سخية بدموعها على خبيب، إلى جانب ذلك فإن هذا اللون قد عمل على تأكيد المعنى و إجلاء الفكرة، فدخلت قلب المتلقي بيسر و سهولة متأثرا و منفعلا بتجربة الشاعر و هذا ما يرمي إليه الشعر.

نجد هذا اللون عند كعب بن مالك في رثائه لشهداء مؤتة، فوظف هذا اللون البديعي في مستهل قصيدته شأنه شأن الشعراء القدامى فقال:

نـامَ العيـونُ وَ دَمْـعُ عَيْنِـكَ يَهْمُـلُ سَـحًا كَمـا وَكَـفَ الطِّبـابُ المِخْضِـلُ

فمن خلال هذا التصريع بين العروض و الضرب —يهمل– و —المخضل– تمكن الشاعر من أن يخلق توازنا و انسجاما بين صدر البيت و عجزه، إلى جانب النغمة الإيقاعية المؤثرة التي تجذب انتباه المتلقي، مما يدفعه إلى مواصلة تتبع القصيدة، لما تحمله من معان تتمثل في التأثر الواضح لاستشهاد ثلة من خيرة رجال المسلمين.

ب– الجناس:

إن الشق الثاني من النغمة الإيقاعية في شعر السرايا هو الجناس.

ب–1–الجناس لغة:

الجناس و المجانسة و التجنيس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس، فالجناس مصدر جانس، و كذلك المجانسة والتجنيس مصدر جنس، و التجانس مصدر تجانس، و الجنس في اللغة الضرب، و هو أعم من النوع، تقول: هذا

النوع من ضرب هذا أي من جنسه، فالجنس من كل شيء ما ترجع إليه الأنواع إليه، قال ابن سيده: و الجمع أجناس و جنوس[1].

ب-2-الجناس اصطلاحا:

عرفه ابن جني: "أن يتفق اللفظان و يختلف أو يتقارب المعنيان"[2].

و قال الخطيب القزويني: "الجناس بين اللفظين، و هو تشابهما في اللفظ"[3].

و قد اختلف البلاغيون اختلافا كبيرا في الجناس فقسموه إلى أقسام متعددة، و سموا النوع الواحد بأسماء كثيرة متضاربة أحيانا مما يقلق القارئ و يوقعه في حيرة من أمره، و مع هذا فإنه بصورة عامة ينقسم إلى تام و غير تام[4].

ففي الجناس التام تتفق اللفظتان في كل شيء عدا المعنى[5]، أي في أربعة شروط، الشكل، و النوع، و العدد و الترتيب، و هو نادر الوقوع، و إذا ما تم كان له أن يرد عفويا مؤديا للمعنى، فإن تأثيره سيكون بالغا[6]، من ذلك قوله تعالى: "**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**"[7].

فالساعة الأولى تعني يوم القيامة، و الساعة الثانية تعني الزمن أو الوقت.

أما الجناس الناقص فهو أن يتفق اللفظان في بعض الأمور المتقدمة في الجناس التام[8]، من الشكل، و النوع و العدد، و الترتيب، من ذلك قوله تعالى: "**ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ اِلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ**"[9]، و موطن القوة في الجناس غير التام، أن الانسان قد يفرح دون أن يمرح، لأن المرح إنما هو المظاهر

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة "جنس"، مصدر سابق، 2 /451-452.
2- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، مج2، ص48.
3- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص288.
4- محمد الواسطي: ظاهر البديع عند القراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، دار نشر المعرفة، الرباط، ط1، 2003، ص152.
5- محمد علي سلطاني، البلاغة العربية في فنون البديع و البيان، ط1، 2014م، دار العصماء، سوريا، ص51.
6-المرجع نفسه، ص52.
7- سورة الروم: الآية 55.
8- محمد علي سلطاني، مرجع سابق، ص54.
9- سورة غافر، الآية 75.

السلوكية للفرح، أي أن كلمة "تمرحون" تشكل تتمة أساسية لحال المتحدث عنهم و ليست مرادفة، فجاء الجناس هنا وسيلة لإغناء المعنى و ليس غاية لتزيين الكلام[1].

نماذج من الجناس في شعر السرايا:

من أمثلة ما جاء في شعر السرايا من الجناس التام ما جاء على لسان كعب بن مالك حين قال:

فَلَـــوْ حَـــبْلاً تنـــاوَلَ مِـــنْ عُقَيْـــلٍ لَمَـــــدَّ بِحَبْلِهـــــا حَـــــبْلاً مَتِينـــــا

فالشاعر يسخر من بني جعفر بن كلاب مشيدا بعقيل و بذمتهم و بأمانتهم، فالكلمة الأولى "حبلا" تعني: العهد و الذمة و الأمانة، و أما الثانية "حبلا" فهي تعني الحبل و هو ما يشد أو يربط به، و هذا ما أكسب الكلام نغمة موسيقية مؤثرة إلى جانب توضيح المعنى و إجلاء الفكرة و تأكيد و تقوية المعنى.

و من أمثلة الجناس الناقص قول خبيب بن عدي حين قدم للقتل:

إلى اللهِ أشْـــــكي غُـــــرْبَتي ثُمَّ كُـــــرْبَتي وَ مـــا أَرْصَـــدَ الأحـــزابُ لي عنْـــدَ مَصْـــرَعي

فالجناس الناقص تجلى في تينك الكلمتين: "غربتي" و "كربتي"، فالكلمة الأولى "غربتي" تعني الإحساس بالوحشة و الثانية "كربتي" تعني المصيبة، و هذا ما أضفى على الكلام نغمة موسيقية مؤثرة بالإضافة إلى إجلاء ووضوح الفكرة و تأكيد و تقوية المعنى.

و كذلك قول حسان بن ثابت يهجو هذيل لغدرهم:

أَجَـــــرْتُمْ فَلَمّـــــا أَنْ أَجَـــــرْتُمْ غَـــــدَرْتُمُ و كنْـــــتُمْ بِأكْنـــــافِ الرَّجيـــــعِ لهاذِمـــــا

فالشاعر هنا يسخر و يهجو قبيلة هذيل لغدرهم و عدم وفائهم بالعهد، فانساب الجناس على لسانه دون تكلف، مما أضفى على البيت رونقا و حسنا من الإيقاع و تجلى ذلك في "أجرتم" بمعنى حماية القبيلة لمن لجأ إليها

1- محمد علي سلطاني، مرجع سابق، ص55.

و "غدرتم" و تعني خيانة العهد، و من خلال هذا اللون نرى أن المعنى يتسرب إلى عمق نفسية المتلقي بفضل نغمة موسيقية مؤثرة إلى جانب تأكيد و توضيح الفكرة.

يواصل حسان بن ثابت هجاءه لهذيل بقصيدة أخرى قائلا:

وَ نُوقِـــعَ فـــيهِمْ وَقْعَـــةً ذاتَ صَـــوْلَةٍ يُـــوافي بهـــا الرُّكْبـــانُ أَهْـــلَ المواسِـــمِ

يتمثل الجناس هنا بين الفعل و الاسم "نوقع" و "وقعة" و هذا ما يسمى بالجناس المستوفي و هو ما كان ركناه من نوعين مختلفين من أنواع الكلمة بأن يكون أحدهما اسما و الآخر فعلا، أو بأن يكون أحدهما حرفا والآخر اسما أو فعلا[1]. فقد جادت قريحة الشاعر بهذا المحسن البديعي فأكسب البيت نغمة إيقاعية مؤثرة إلى جانب تأكيد و تقوية المعنى و إجلاء و وضوح الفكرة.

ج- الطباق:

ج-1-الطباق لغة:

هو الموافقة، يقال طبقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد و هي الجمع بين الشيئين[2].

ج-2-الطباق اصطلاحا:

هو أن تجمع بين متضادين[3]، و عرفه التّنوخي بأنه: "هو الجمع بين لفظين متضادين في المعنى داخل الكلام"[4].

1- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص200.

2- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، 1952، ص307.

3- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص423.

4- محمد التنوخي: الجامع في علوم البلاغة المعاني البيان البديع، دار العزة و الكرامة للكتاب، وهران، ط1، 2013، ص209.

و قد يكون اللفظان: اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين.

- اسمين، نحو قوله تعالى: "**هُوَ الْاَوَّلُ وَالاٰخِرُ**"[1] و هما الأول، و الآخر.
- فعلين، كقوله تعالى: "**ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ**"[2] يموت و يحي.
- حرفين، كقوله تعالى: "**وَلَهُنَّ مِثْلُ اَلذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**"[3] الجار و المجرور لهن و عليهن.
- مختلفين، كقوله تعالى: "**أَوَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَـٰـهُ**"[4] ميتا و أحييناه.

ج-3- أنواع الطباق:

و للطباق نوعان: طباق إيجاب و طباق سلب.

1- **طباق إيجاب** : وهي" ما صرح فيه بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا".[5]

2- **طباق سلب** : وهي " ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا".[6]

وسلبا".[6]

نماذج من الطباق في شعر السرايا:

و على ضوء ذلك نستطيع أن نبين وجه هذا المحسن المعنوي (الطباق) في شعر السرايا و أثره في المعنى.

قال عبد الله بن الزبعرى السهمي:

نُقِيمُ بِهَا اِصْعَارَ مَنْ كَانَ مَائِلًا وَ نَشْفِي الذُّحُولَ عَاجِلًا غَيْرَ لَابِثِ

فهو يرد على الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، بأن سيوفهم تأخذ بالثأر حالا و بدون تردد أو خوف من خلال الطباق الإيجابي المتمثل في الكلمتين "عاجل" و "لابث"، وأثره يكشف ويجلي المعنى مؤكدا تلك الفكرة التي

1- سورة الحديد، الآية 3.
2- سورة الأعلى، الآية 13.
3- سورة البقرة: الآية 228.
4- سورة الأنعام: الآية 122.
5- عبد العزيز عتيق: علم البديع، مرجع سابق، ص 77.
6- المرجع نفسه، ص 77.

تختمر في ذهن الشاعر، إلى جانب إكساب الكلام نغمة موسيقية تؤثر في المتلقي فتتسرب الفكرة إلى أعماق نفسه ويصبح عاملا فعّالا في نقل تلك الفكرة التي آمن بها الشاعر.

و في سرية حمزة إلى سيف البحر يقول:

أَلا يـــا لَقَـــوْمِي لِلـــتَّحَلُّمِ وَ الجَهْـــلِ و لِلـــنَّقْصِ مِـــنْ رَأيِ الرِّجـــالِ وَ لِلْعَقْـــلِ

هنا يفتخر حمزة بقومه مبرزا حلمهم و رزانتهم وثباتهم في وقت السلم و ما يتحلون به في ساحة الحرب من قوة وإقدام متخذا من الطباق الإيجابي في قوله: "التحلم" و "الجهل" وسيلة لتأكيد و تقوية المعنى، و توضيح وبيان الفكرة، إلى جانب النغمة الموسيقية المؤثرة التي تؤثر في المتلقي، فيستجيب لتجربة الشاعر و يتفاعل معها.

كما يتجلى ذلك المحسن المعنوي في قوله حسان، و هو يهجو هذيلا:

فَـــــلا والله مـــــا تَـــــدْري هُـــــذيْلٌ أَصـــــافٍ مـــــاءُ زَمْـــــزَمَ أمْ مَشـــــوبُ

فهنا يسخر الشاعر من هذيل بعدم معرفتها ماء زمزم متخذا من الطباق الإيجابي بين كلمتين "صاف" و"مشوب" وسيلة ليوضح و يجلي الفكرة و ليؤكد على المعنى، و يكسب البيت نغما و إيقاعا ذا أثر في نفسية المتلقي.

و يظهر هذا اللون من المحسنات المعنوية عند عباس بن مرداس في قوله:

دَعِـــي عَنْـــكِ تَقْـــوالَ الظَّـــلالِ كَفَـــى بِنـــا لِكَـــبْشِ الـــوَغَى في اليَـــوْمِ وَ الأمْـــسِ ناطِحًـــا

هنا يرد الشاعر على تلك المرأة التي يُقال لها "سلمى" بأن تترك ما سمعته من حولها من ضلال و كذب، بل يؤكد لها أن سيد الحروب كان صنديدا بالأمس و حتى اليوم، فاستطاع من خلال موهبته و إحساسه المرهف أن يبدع طباقا بين كلمتي "اليوم" و "الأمس" دون تكلف أو تصنع، فحقق ما كان يرجوه و هي النغمة الموسيقية الداخلية.

د- الضرورة الشعرية:

يعرفها محمد علي سلطاني بقوله: " هي ما يجوز للشاعر دون الناثر، وذلك مراعاة لأمرين:

- أولاهما وقوعه بين ضائقتي الوزن والقافية والتزامه بهما.

- وثانيهما إرضاء إحساسه في إيثاره لفظة دون أخرى وإن كانت الأخرى تؤدي المعنى ويستقيم معها الوزن دون ضرورة، غير أنه يفضّل الأولى مع ارتكاب الضرورة .. لأن غايته في الأصل هو التعبير الصادق عما في نفسه سواء أكان له مندوحة عن الضرورة أم لا. هذا في عُرف علماء الشعر الأقدمين"[1].

و تعرف الضرورة الشعرية كذلك باسم الجوازات الشعرية التي هي من حق الشاعر دون غيره- انطلاقا من مبدأ – تحدث عنه نقاد الأدب العربي القديم حيث قرروا أنه يحق للشاعر ما لا يحق لغيره، فله الحق في تنوين الممنوع من الصرف أو جره بالكسرة، أو حذف حرف المد، أو حذف الهمزة أو تسكينها إذا كانت متحركة، وذلك من أجل السير على منوال بحر القصيدة، وكذلك تبين جمال وأثر الصورة الشعرية التي تعبر عن خيال الشاعر.

هذه الضرورات الشعرية منها ما هو حسن مقبول، ومنها ما هو مستقبح ممجوج، ومنها ما هو وسط بين الاثنين، لكن كلما أكثر الشاعر منها أصبح شعره ضعيفا من جانب الشكل والذي يؤثر على المعنى سلبا.

نماذج من الضرورة الشعرية في شعر السرايا:

من أمثلة الضرورات الشعرية في شعر السرايا ما قاله حمزة رضي الله عنه في سرية سيف البحر:

فَيـــــالَ لُـــــؤَيٍّ لا تُطيعُـــــوا غُـــــواتَكُمْ وَ فيئـــوا إلى الإســـلامِ وَ المـــنْهَجِ السَّـــهْلِ

فقد ألزمت الضرورة الشعرية على حذف حرف المد "آ" في "فيَالَ" حتى يستقيم له وزن البحر الطويل ويحدث نغمة موسيقية متناغمة.

1- محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، سوريا، الطبعة 1، 2008، ص 202-203.

وقال حسّان بن ثابت يهجو بني لحيان :

إنْ سَــرَّكَ الغَــدْرُ صِــرْفًا لا مِــزاجَ لَــهُ فــاتِ الرَّجيــعَ فَسَــلْ عَــنْ دارِ لَحْيــانِ

في هذا البيت حذف الشاعر همزة القطع من الفعل "فات" وبعد الحذف نلاحظ استقامة وزن البيت تماشيا مع بحر القصيدة، وهو البحر الطويل.

وقال حسّان يهجو هذيلا أيضا:

ســالتْ هُــذَيْلٌ رَســولَ اللهِ فاحِشَــةً ضَــلَّتْ هُــذَيْلٌ بمــا ســالتْ وَ لمْ تُصِــبِ

هنا حذف الشاعر الهمزة المتحركة في كلمة "سالت" نظرا للضرورة الشعرية وذلك من أجل تحقيق التوازن الموسيقي في البيت المبني على بحر البسيط.

نجد ذلك أيضا عند خبيب بن عدي حين قُدّم للقتل قائلا :

فَــذَا العَــرْشِ صَــبِّرْني عَلَــى مــا يُــرادُ بي فَقَــدْ بَضَــعُوا لحْمــي وَ قَــدْ يــاسَ مَطْمَعــي

في هذا البيت حذف الشاعر الهمزة المتحركة من "يئس" وأصبحت "ياس" وهذا للضرورة الشعرية لتحقيق النغمة الموسيقية المتمثلة في وزن بحر القصيدة.

وقال حسّان بن ثابت يرثي خبيبا :

فيهــا أســودُ بَــني النَّجَّــارِ تَقْــدُمُهُمْ شُــهْبُ الأَسِــنَّةِ في مُعْصَوْصِــبٍ لجِــبِ

هنا تتجلى الضرورة الشعرية في قوله : "معصوصب"، والأصل "معصوصبة"، فتم ترخيمها وهذا للضرورة الشعرية حتى يستقم وزن بحر القصيدة الطويل.

2- الموسيقى الخارجية:

تعتبر الموسيقى غذاء لروح الإنسان فيسمو بنفسه إلى آفاق الإنسانية متحليا برهافة الحس و رقة الشعور ومتحليا بالقيم الجمالية و الأخلاقية النبيلة، و الموسيقى تصقل ملكة الذوق فيستطيع أن يحلل و يناقش ما في

النص من عناصر الجمال متساميا بالأدب إلى آفاق عالية، وقد اتخذت الموسيقى أشكالا مختلفة، ومن ذلك ما نلاحظه على الشعر، يقول صابر عبد الدايم: "فإذا كانت كلمة "الشعر" نفسها تدل على "الغناء" فإن نشأة الشعر العربي كانت مصاحبة للنغم، ففي العصر الجاهلي اقترن الشعر بإيقاع خطوات الإبل و بخاصة إيقاع بحر الرجز، و حين نستنطق التاريخ الأدبي نجد أن الصلة وثيقة بين الحداء و الشعر في تطور تركيبته و توفيق أوزانه وتقسيم أعاريضه، لأن أوزان الشعر التي نظم فيها شعراء الجاهلية تنتظم فيها الأعاريض جميعا مع حركة من حركات الإبل في السرعة و الأناة"[1].

السؤال الذي يطرح نفسه هنا، أين تكمن تلك الموسيقى الخارجية في شعر السرايا و أثرها الجمالي؟.

إنها تكمن في قول القدامى عندما عرفوا الشعر: بأنه الكلام الموزون المقفى، فالشعر في نظرهم لا تقوم له قائمة إلا إذا اعتمد على ركن الموسيقى، فهي العمود الفقري للشعر العربي، و التي تتألف من بحور الشعر و القافية و الروي، و من خلال هذا النسيج تنبعث تلك النغمة الموسيقية، التي يتمكن من خلالها الشاعر أن يصل إلى قلب و وجدان المتلقي بيسر و سهولة، و هذا سر جمالها و رونقها.

تأخذ الموسيقى أشكالا مختلفة حسب الحالة النفسية للشاعر، فهي الرافعة التي تحمل تجربة الشاعر ومعاناته بصدق و إخلاص ليستمتع بها الصغار و الكبار بما تحمله من جمال الجرس الموسيقي، قبل أن يدرك ما في النص من جمال الأخيلة و الصور، و إلى جانب ذلك فإن عنصري الوزن و القافية يتجلى دورهما في تسييج عناصر القصيدة و وحدتها.

كما تجدر الاشارة إلى أن القدماء لم يكتفوا بدراسة أوزان الشعر العربي وقوافيه، وإنما ربط بعضهم بين أوزان الشعر وأغراضه، فجعل لبعض الأغراض أوزانا معينة تلائمها؛ أي أن الوزن يعكس الحالة النفسية للشاعر ومن هؤلاء حازم القرطاجني، فقال: "لما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنه ما يقصد به البهاء والتفخيم، وما يقصد الصغار والتحقير، وجب أن تحاكي تلك

1- صابر عبد الدايم، موسيقى الشعر بين الثبات و التطور، مرجع سابق، ص17.

المقاصد ما يناسبها من أوزان ويخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كل مقصد، وكانت شعراء اليونان تلزم لكل غرض وزنا يليق به ولا تتعداه إلى غيره"[1].

إلى أن يقول: "فالعروض الطويل نجد فيه بهاء وقوة، ونجد للبسيط سباطة وطلاوة، ونجد للكامل جزالة وحسن اطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة، وللمتقارب سباطة وسهولة، وللمديد رقة ولينا مع رشاقة، وللرمل لينا وسهولة ولما في المديد والرمل من اللين كان أليق بالرثاء ... وما جرى مجراه بغير ذلك من أغراض الشعر"[2].

ليس هذا التقسيم مما اختص به القدماء، وإنّما اعتنقه بعض المعاصرين انطلاقا من العلاقة بين الموسيقى والشعر، فهي علاقة عضوية حميمية لا يمكن انفصال الجزء عن الكل حيث يربط بعض الدارسين بين عاطفة الشاعر وبين الوزن الشعري الذي يختاره لتجربته الشعرية، وإن كان هذا القول قد دار حوله نقاش وجدل حتى يومنا هذا بين مؤيد ومعارض، ومن بين المناصرين لهذا المذهب إبراهيم أنيس حيث ربط الوزن الشعري بعاطفة الشاعر، فقال: "على أننا نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه، فإذا قيل وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية، ومثل هذا الرثاء الذي قد ينظم ساعة الهلع والفزع لا يكون عادة إلا في صورة مقطوعة قصير لا تكاد تزيد أبياتها على عشرة، أما تلك المراثي الطويلة فغلب الظن أنها نظمت بعد أن هدأت ثورة الفزع واستكانت النفوس باليأس والهم المستمر"[3].

و سنقوم من خلال دراستنا لبعض أشعار السرايا بتحليل أوزان البحور ودراسة القافية من جميع جوانبها وبيان حرف الروي فيها.

1- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981، ص266.
2- المصدر نفسه، ص 269.
3- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي، مرجع سابق، ص 166-167.

أ- البحر :

هو الوزن الخاص الذي على مثاله يجري الناظم، والبحور ستة عشر، وضع الخليلُ أصول خمسة عشر منها وزاد عليها الأخفش[1] الأوسط بحرا آخر سمّاه (المتدارك)، فحينئذ تكون ستة عشر[2]، وهي ثلاثة أقسام :

ثلاثة منها (الطويل، المديد، البسيط) تعرّف بالممتزجة لاختلاط جزء خماسي (فعولن أو فاعلن) مع جزء سباعي (مستفعلن أو متفاعلن).

وأحد عشرَ تسمى سباعية وهي : الوافر-الكامل- الهزَج- الرّجز- الرّمل- السريع- المنسرح-الخفيف- المضارع- المقتضب -المجتث. وسبب تسميتها بالسباعية أنها مركبة من أجزاء سباعية في أصل وضعها.

وبحران يعرفان بالخماسيين وهما: المتقارب والمتدارك.

وجميع البحور لا تخرج موازينها عن التفاعيل المتقدمة[3].

ولكون الوزن: "الروح التي تكهرب المادة الأدبية وتصيرها شعرا، فلا شعر من دونه مهما حشد الشاعر من صور وعواطف، لا بل إن الصورة والعواطف لا تصبح شعرية بالمعنى الحق إلا إذا لمستها أصابع الموسيقى، ونبض في عروقها الوزن"[4]، وأن البحر الطويل؛ معروف برحابته وامتداده ورصانته[5]، لذلك نجد أن ما يقارب ثلث الشعر العربي القديم قد نظم عليه، حيث يقول إبراهيم أنيس: "إن البحر الطويل قد نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزانا لأشعارهم، ولا سيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن. وهو لكثرة مقاطعه يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة ... ثم نرى كلا من الكامل والبسيط يحتل المرتبة الثانية في نسبة الشيوع، وربما جاء بعدهما كل من الوافر والخفيف، وتلك هي البحور الخمسة

1 – هو سعيد بن مسعدة، تلميذ سيبويه، فقدا زاد هذا الوزن وسماه المتدارك لأنه تدارك به ما فات الخليل. انظر : أحمد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ص 34.

2 – هذا هو الشائع عند دارسي علم العروض، وقد وصلنا كتاب العروض للأخفش ولم يتضمن هذا البحر، وقد ورد في كتاب مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي جـ 1 ص 242 أن الخليل بن أحمد هو الذي اخترع المتدارك، وأنه نظم قصيدتين من هذا الوزن فاستخرج المحدّثون منها وزنا أسموه بأسماء مختلفة منها المتدارك والمخلع والمحدث.

3 – أحمد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، تحقيق حسن عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2010، ص 34.

4 – نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار النهضة، مصر، ط1، 1967، ص 193.

5 – عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر، بيروت، ط2، 1970، 362/1.

التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء، ويكثرون النظم منها، وتَأْلَفُهَا آذان الناس في بيئة اللغة العربية"[1].

المتلقي لشعر السرايا والبعوث يجد شعراءها لم يخرجوا عن البحور التي اكتشفها فيما بعد خليل ابن أحمد الفراهيدي، و قد قمنا بدراسة إحصائية لمدونة شعر السرايا، فخلصنا إلى النتائج التالية:

يأتي في مقدمة هذه البحور البحر الطويل بنسبة 47.8%، البسيط بنسبة 13.2%، الكامل بنسبة 12.7، الوافر بنسبة 12.5%، الرجز بنسبة 6.7%، المتقارب بنسبة 4.6%، و الخفيف بنسبة 2.3%.

أ-1- بحر الطويل:

سمي بهذا الاسم لأنه أطول بحور الشعر، حيث يبلغ عدد حروفه ثمانية و أربعين حرفا، كما يقع في أوائل أبياته الأوتاد ثم تليها الأسباب، و الوتد أطول من السبب، و تفعيلاته هي[2]:

فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعيلن

و هو أكثر البحور استعمالا و شيوعا في الشعر العربي القديم فليس بين بحور الشعر ما يضارع البحر الطوير في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن[3]، و لم يخرج شعراء السرايا عن هذه القاعدة، فجل أشعارهم ركبت البحر الطويل.

ففي سرية عبيدة بن الحارث يقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه متهددا و متوعدا الذين ناصبوا الدعوة الاسلامية العداء، و وقفوا في وجهها فاحتضن الشاعر البحر الطويل لرحابته و امتداده و رصانته، فقال:

فَـــأُوْلِي بِـــرَبِّ الرَاقِصـــاتِ عَشِـــيَّةً حَـــرَاجيجُ تُحْـــدَى في السَّـــريحِ الرَّثائِـــثِ
كَـــأُدْمِ ظِبـــاءٍ حَـــوْلَ مَكَّـــةَ عُكَّـــفٍ يَـــرِدْنَ حِيـــاضَ البِئْـــرِ ذاتِ النَّبائِـــثِ
لَـــئِنْ لَـــمْ يُفيقُـــوا عـــاجِلاً مِـــنْ ضَـــلالِهِمْ وَ لَسْـــتُ إذا آلَيْـــتُ قَـــوْلاً بِحانِـــثِ
لَتَبْتَـــدِرَنْهُمْ غـــارَةٌ ذاتُ مَصْـــدَقٍ تُحَـــرِّمُ أَطْهـــارَ النِّســـاءِ الطَّوامِـــثِ

1 - براهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965، ص179.
2- الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي، تحقيق الحساني عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1994، ص22.
3- براهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي، مرجع سابق، ص58.

تُغــادِرُ قَتْلَــى تَعْصِــبُ الطَّيْــرُ حَــوْلَهُمْ وَ لا تَــرْأفُ الكُفَّــارَ رَأْفَ ابــنِ حــارِثِ
فَــأَبْلِغْ بَــنِي سَــهْمٍ لَــدَيْكَ رِسَــالَةً وَ كُــلَّ كَفُــورٍ يَبْتَغِــي الشَّــرَ باحِــثِ
فَــإِنْ تَشْــعَثُوا عِرْضِــي عَلَــى سُــوءِ رَأْيِكُــمْ فَــإِنِّي مِــنْ أَعْرَاضِــكُمْ غَيْــرُ شــاعِثِ

و في الفخر يمتطي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه جواد الشعر متغنيا في البحر الطويل، ناقلا من خلاله ما يختلج في صدره من معاني العزة و الكرامة و الشجاعة و الإقدام، و معبرا عن روح الإسلام بما يحمله من معان سامية أخذت بيد المجتمع إلى آفاق بعيدة، و في الوقت نفسه متأسفا على قومه لابتعادهم عن الحق وركونهم للضلال فيقول:

بِــــأَمْرِ رَســــولِ اللهِ أَوَّلُ خــــافِقٍ عَلَيْــهِ لِــواءً لَمْ يَكُــنْ لاحَ مِــنْ قَبْلِــي
لِــواءٌ لَدَيْــهِ النَّصْــرُ مِــنْ ذِي كَرامَــةٍ إِلَــهٍ عَزِيــزٍ فِعْلُــهُ أَفْضَــلُ الفِعْــلِ
عَشِــيَّةَ ســارُوا حاشِــدينَ وَ كُلُّنــا مَراجِلُــهُ مِــنْ غَــيْظِ أَصْــحابِهِ تَغْلــي
فَلَمَّــا تَراءَيْنــا أَنــاخُوا فَعَقَّلُــوا مَطايــا وَ عَقْلُنــا مَــدى عَــرَضِ النَّبْــلِ
فَقُلْنــا لَهُــمْ حَبْــلُ الإِلــهِ نَصــيرُنا وَ مــا لَكُــمْ إِلاَّ الضَّــلالَةَ مِــنْ حَبْــلِ
فَثــارَ أَبُــو جَهْــلٍ هُنالِــكَ باغِيًــا فَخــابَ وَ رَدَّ اللهُ كَيْــدَ أَبِي جَهْــلِ
وَ مــا نَحْــنُ إِلاَّ فِي ثَلاثِــينَ رَاكِبًــا وَ هُــمْ مائتــانِ بَعْــدَ واحــدةٍ فَضْــلِ
فَيــالَ لُــؤَيٍّ لا تُطيعُــوا غُــواتَكُمْ وَ فيئــوا إِلى الإِســلامِ وَ المــنْهَجِ السَّــهْلِ
فَــإِنِّي أَخــافُ أَنْ يُصَــبَّ عَلَــيْكُمْ عَــذابٌ فَتَــدْعُوا بِالنَّدامَــةِ وَ الثُّكْــلِ

يتصدر خبيب بن عدي المشهد، و هذا في يوم الرجيع، متخذا بحر الطويل لكي يظهر تلك الأحاسيس والمشاعر في ثوب يعكس مظاهر تلك النفسية التي تؤمن بقضاء الله و قدره عليه فقال:

إلى اللهِ أَشْــكو غُــرْبَتِي ثُمَّ كُــرْبَتِي وَ مــا أَرْصَــدَ الأحــزابُ لي عِنْــدَ مَصْــرَعي
فَــذَا العَــرْشِ صَــبِّرْنِي عَلَــى مــا يُــرادُ بي فَقَــدْ بَضَــعُوا لَحْمــي وَ قَــدْ يــاسَ مَطْمَعــي
وَ ذَلِــكَ في ذاتِ الإِلــهِ وَ إِنْ يَشَــأْ يُبــارِكْ عَلــى أَوْصــالِ شِــلْوٍ مُمَــزَّعِ
وَ قَــدْ خَــيَّرُوني الكُفْــرَ وَ المــوتُ دُونَــهُ وَ قَــدْ هَمَلَــتْ عَيْنــاي مــنْ غــيْرِ مَجْــزَعِ
وَ مــا بي حِــذَرُ المــوْتِ إِنِّي لَمَيِّــتٌ وَ لكــنْ حَــذاري جَحْــمُ نــارٍ مُلَفَّــعِ
فــوالله مــا أرجــو إذا مــت مســلما علــى أيِّ جَنْــبٍ كــان في الله مَصْــرَعي
فَلَسْــتُ بِمُبْــدٍ لِلْعَــدُوِّ تَخَشُّــعًا و لا جَزَعًــا إِنِّي إلى الله مَرْجعــي

أ-2- بحر البسيط:

سمي بسيطا، لأن الأسباب انبسطت في أجزائه و تفاعيله هي[1]:

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن

هذه السعة في تفعيلات بحر البسيط جعلته يستوعب العديد من الأغراض والمضامين على غرار المدح والهجاء والفخر والرثاء[2]، وفي سرية الرجيع انفعل حسان تجاه هذيل لما غدرت بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فصب جام غضبه عليها، متخذا بحر البسيط وسيلة للتعبير عن تلك التجربة التي عنها في وجدانه، فقال يرثي خبيبا:

ما بالُ عيْنَيْكَ لا تَرْقا مَدامِعُها سَحًّا على الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ القَلِقِ
على خُبَيْبٍ فَتَى الفِتْيانِ قَدْ عَلِمُوا لا فَشِلٍ حينَ تَلْقاهُ و لا نَزِقِ
فاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزاكَ اللهُ طيْبَةً وَ جَنَّةَ الخُلْدِ عنْدَ الحورِ في الرُّفَقِ
ماذا تقولونَ إن قالَ النَّبِيُّ لَكُمْ حينَ الملائكةُ الأبْرارُ في الأُفُقِ
فِيمَ قَتَلْتُمْ شهيدَ اللهِ في رَجُلٍ طاغٍ قَدْ أَوْعَثّ في البُلْدانِ و الرُّفَقِ

يواصل حسان تفاعله، فتنساب الكلمات على لسانه بيسر وسهولة، كأنها نبع فياض، لأنه يعبر عن تجربة صادقة يحس بها الشاعر، فاتخذ من بحر البسيط خارطة طريق للتعبير عن تهجمه وتهكمه لهذيل، فقال:

إنْ سَرَّكَ الغَدْرُ صِرْفًا لا مِزاجَ لَهُ فاتِ الرَّجيعَ فَسَلْ عَنْ دارِ لَحْيانِ
قَوْمٌ تَواصوا بأكْلِ الجارِ بَيْنَهُمْ فالكَلْبُ و القِرْدُ و الإنسانُ مِثْلانِ
لَوْ يَنْطِقُ التِّيسُ يَوْمًا قامَ يَخْطُبُهُمْ و كانَ ذَا شَرَفٍ فيهمْ و ذا شانِ

1- انظر: الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي، مصدر سابق، ص39.

2- عيسى بودوخة : الصورة الفنية في شعر الفتوحات في صدر الإسلام، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم، إشراف أ/د عبدالملك بومنجل، كلية الآداب و اللغات، قسم الأدب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة1، 2017-2018، ص251

و في مشهد مهيب يودع الرسول صلى الله عليه و سلم عبد الله بن رواحة والصحب الكرام عند خروجهم إلى مؤتة، فيمدحه بن رواحة بأبيات من بحر البسيط:

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبيتَ مُوسى وَ نَصْرًا كالَّذي نُصِرا
إنّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ نافِلَةً ... اللهُ يَعْلَمُ أنّي ثابِتُ البَصَرِ
أَنْتَ الرَّسولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوافِلَهُ ... وَ الوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ القَدَرُ

أ-3- بحر الكامل:

سمي كاملا لتكامل حركاته و هي ثلاثون حركة، ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره، و تفعيلاته هي[1]:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ... متفاعلن متفاعلن متفاعلن

باستقراء مدونة شعر السرايا حل بحر الكامل في المرتبة الرابعة بنسبة 12.7%، و تراوحت أغراضه بين الفخر و الرثاء و المدح، يقول حسان بن ثابت و هو يبكي خبيبا و أصحابه في يوم الرجيع بأبيات من بحر الكامل:

صَلّى الإلهُ على الّذينَ تتابعوا ... يَوْمَ الرَّجيعِ فَأَكْرِموا وَ أَثيبُوا
رأْسُ السَرِيَّةِ مَرْثَدٌ وَ أَميرهمْ ... و ابْنُ البُكَيْرِ أَمامهُمْ وَ خَبيبُ
و ابنٌ لطارِقَ و ابنُ دَثْنَةَ مِنْهُمُ ... وافاهُ ثَمَّ حِمامُهُ المِكْتوبُ
و العاصِمُ المقْتولُ عِنْدَ رَجيعِهِمْ ... كَسَبَ المعالي إنَّهُ لَكسوبُ
مَنَعَ المقادَةَ أَنْ يَنالوا ظَهْرَهُ ... حَتَّى يُجالِدَ إنَّه لَنجيبُ

ومن شواهد وزن بحر البسيط في الفخر يقول حسان بن ثابت راسما صورة الأبطال وهم يقطعون رؤوس الشرك والضلال:

للهِ دَرُّ عِصابَةٍ لاقَيْتُهُمْ ... يا ابْنَ الحُقَيْقِ وَ أَنْتَ يا ابْنَ الأَشْرَفِ

1- الخطيب التبريزي: الكافي في العروض و القوافي، مصدر سابق، ص58.

يَسْـــرونَ بـــالبيضِ الخِفـــافِ إلـــيكُمُ مَرَحًـــا كأُسْـــدٍ في عَـــرينٍ مُغْـــرَفِ
حَـــتَّى أَتَـــوْكُمْ في مَحَـــلِّ بِلادِكُـــمْ فَسَـــقَوْكُمُ حَتْفًـــا بِبِـــيضٍ ذُفَّـــفِ
مُسْتَنْصِـــرينَ لِنَصْـــرِ ديـــنِ نَبِـــيِّهِمْ مُسْتَصْـــغِرينَ لِكُـــلِّ أَمْـــرٍ مُجْحِـــفِ

بكى كعب بن مالك شهداء مؤتة بكاء الأخ إخوته، والأب بنيه. فعبر اته تنهمر من عينيه انهمار الماء من القربة ، وهمومه حرمت عليه النوم، فهو يراقب النجوم، فلا يراها تتحرك، ويتحسس الضلوع، فيتوهم أن فيها حريقا لا ينطفئ. وكل ما يعروه من أرق و فرق، ووجوم وحرق ناجم عن مفارقة أبطال مؤتة الذين اعتقبوا راية النبي واحدا إثر واحد، وهم يرفعونها بسواعدهم الأيدة لئلا تسقط هيبة المسلمين على أرض المعركة[1]، متخذا بحر الكامل ليصب فيه تلك المعاني و المشاعر التي يعاني منها الشاعر فقال:

نـــامَ العيـــونُ وَ دَمْـــعُ عَيْنِـــكَ يَهْمُـــلُ سَـــحًّا كَمـــا وَكَـــفَ الطِّبـــابُ المِخْضِـــلُ
في لَيْلَـــــةٍ وَرَدَتْ عَلَـــــيَّ هُمومُهـــــا طَـــــوْرًا أَخِـــــنُّ و تـــــارَةً أَتَمَلْمَـــــلُ
وَ اعْتـــــادِني حُـــــزْنٌ فَبِـــــتُّ كـــــأَنَّني بِبَنـــــاتِ نَعْـــــشٍ و السِّـــــماكِ مُوَكَّـــــلُ
وَ كأَنَّمـــــا بَـــــيْنَ الجَـــــوانِحِ وَ الحَشـــــا ممّـــــا تَـــــأَوَّبَني شِـــــهابٌ مُـــــدْخَلُ
وَجْـــدًا علـــى النَّفَـــرِ الّـــذين تَتـــابعوا يَوْمًـــا بمؤتـــةَ أُسْـــنِدوا لمْ يُنْقلـــوا
صَـــلَّى الإلـــهُ علـــيْهِمُ مـــنْ فِتْيَـــةٍ وَ سَـــقَى عِظـــامَهُمُ الغَمـــامُ المسْـــبِلُ
صـــبَروا بمؤْتَـــةَ للإلـــهِ نُفوســـهُمْ حَـــذَرَ الـــرَّدى وَ مخافَـــةً أنْ يَنْكُلـــوا
فَمضَـــوْا أمـــامَ المسْـــلمينَ كـــأنَّهُمْ فُنُـــقٌ عَلَـــيْهِنَّ الحَديـــدُ المرْفَـــلُ
إذْ يَهْتَـــدونَ بجَعْفَـــرٍ وَ لِوائِـــهِ قُـــدَّامَ أوَّلِهِـــمْ فَـــنِعْمَ الأوَّلُ
حـــتَّى تَفَرَّجَـــتِ الصُّـــفُوفُ وَجَعْفَـــرٌ حَيْـــثُ التَقَـــى وَعْـــثُ الصُّـــفوفِ مُجَـــدَّلُ

1- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعراء في النبوة والخلافة الراشدة ، دار الفكر، دمشق، ط2،2007،ص73.

أ-4- بحر الوافر:

سمي وافرا لتوفر حركاته لأنه ليس في الأجزاء أكثر حركات من مفاعلتن، و ما يفك منه و هو متفاعلن وتفاعيله هي[1]:

مفـــــاعلتن مفـــــاعلتن فعـــــولن مفـــــاعلتن مفـــــاعلتن فعـــــولن

هذا البحر من أكثر البحور مرونة يشتد و يرق كيفما تشاء و أجود ما يكون في الفخر و الرثاء[2].

فمن ذلك قول سعد بن أبي وقاص و هو يفتخر بشجاعته و اقدامه:

أَلا هَـــــلْ أَتَـــــى رَســـــولَ اللهِ أنِّي حَمَيْـــتُ صَـــحابَتي بِصُـــدورِ نَبْلِـــي
أَذودُ بِـــــها أَوائِلَهُـــــمْ ذِيـــــادًا بِكُـــلِّ حُزونَـــةٍ وَ بِكُـــلِّ سَـــهْلِ
فَمـــــا يَعْتَـــــدُّ رامٍ في عَـــــدُوٍّ بِسَـــهْمٍ يـــا رَســـولَ اللهِ قَبْلـــي
وَ ذَلِـــكَ أَنَّ دينَـــكَ ديـــنُ صِـــدْقٍ وَ ذُو حَـــقٍّ أَتَيْـــتَ بِـــهِ وَ عَـــدْلِ
يُنَجِّـــى المؤمنـــونَ بِـــهِ وَ يُخْـــزَى بِـــهِ الكُفّـــارُ عِنْـــدَ مَقـــامِ مَهْـــلِ
فَمَهْـــلاً قَـــدْ غَوَيْـــتَ فـــلا تَعِبْـــنِي غَـــوِيَّ الحَـــيِّ وَيْحَـــكَ يـــا ابْـــنَ جَهْـــلِ

في بئر معونة يبكي حسان بن ثابت الشهداء المغدور بهم و يخص بالذكر المنذر بن عمرو ، صابا مشاعر الحزن و الأسى في بحر الوافر فيقول:

عَلَـــى قَتْلَـــى مَعونَـــةَ فَاسْـــتَهِلِّي بِـــدَمْعِ العَـــيْنِ سَـــحًّا غَيْـــرَ نَـــزْرِ
عَلـــى خَيْـــلِ الرَّســـولِ غَـــداةَ لاقَـــوْا وَ لاقَـــتْهُمْ مَنايـــاهُمْ بِقَـــدْرِ
أَصـــابَهُمُ الفَنـــاءُ بِعَقْـــدِ قَـــوْمٍ تُخُـــوِّنَ عَقْـــدُ حَـــبْلِهِمُ بِغَـــدْرِ
فَيـــا لَهْفـــي لِمُنْـــذِرٍ إِذْ تَـــوَلَّى وَ أَعْنَـــقَ في مَنِيَّتِـــهِ بِصَـــبْرِ
وَ كـــائِنْ قَـــدْ أُصـــيبَ غَـــداةَ ذاكُـــمْ مِـــنَ أَبْـــيَضَ ماجِـــدٍ مِـــنْ سِـــرِّ عَمْـــرِو

1- الخطيب التبريزي: الكافي في العروض و القوافي، مصدر سابق، ص51.
2- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري و القافية، بيروت، ط4، 1974، ص84.

أ-5- بحر الرجز:

سمي رجزا لأنه يقع فيه ما يكون على ثلاثة أجزاء، و تفاعيله هي[1]:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

حل بحر الرجز في المرتبة الخامسة بنسبة 6.7% في شعر السرايا، والحاجة كانت ماسة لهذا النوع لصلاحيته و مناسبته لمواقف الارتجال، لكونه من أنسب البحور الملائمة لمثل هذه المواقف التي تستدعي القول على البديهة للإثارة حماس المتحاربين و شحذ هممهم[2]، و به يحرص الشاعر على مواصلة الاقبال على الجهاد راضيا محتسبا يقول عبد الله بن رواحة:

يـــا نفـــسُ إلاَّ تُقْتلـــي تمُـــوُتِي هـــذا حِمـــامُ المِـــوْتِ قَـــدْ صَـــليتِ
وَ مـــا تَمَنَّيْـــتِ فَقَـــدْ أُعْطيـــتِ إنْ تَفْعَلـــي فِعْلَهُمـــا هُديـــتِ

كما أن سهولة هذا البحر و ملاءمته لمناخ الحرب المتسم بضيق الوقت و عنف الأحداث هو أحد الدوافع لاتجاه الشعراء الفرسان إلى هذا النوع من الوزن، يقول عاصم بن ثابت:

مـــا عِلَّـــتي وَ أنـــا جَلْـــدٌ نابِـــلُ وَ القَـــوْسُ فيهـــا وَتَـــرٌ عُنابِـــلُ
تَـــزِلُّ عَـــنْ صَـــفْحَتِها المِعابِـــلُ المِـــوْتُ حَـــقٌّ وَ الحيـــاةُ باطِـــلُ
وَ كُـــلُّ مـــا حَـــمَّ الإلـــهُ نـــازِلُ بِـــالمَرْءِ وَ المِـــرْءُ إلَيْـــهِ آئِـــلُ

إنْ لَمْ أُقَـــاتِلْكُمُ فـــأُمِّي هابِـــلُ

1- انظر: الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي،مصدر سابق، ص77.
2- عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعتها، مرجع سابق، 233/1

ب– القافية :

للقافية أهميتها في موسيقى الشعر العربي، فالشعر لا تكتمل صورته الحقيقية بمجرد الوزن فقط، بل لابد من وجود القافية معه، فهما متكاملان لا يستقيم أحدهما دون الآخر، يقول ابن رشيق عنها : "هي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية"[1]، والقافية ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة[2]، وبالتالي فهي جزء هام من الوزن الشعري للبيت، بل هي التي تحدد نهاية وزن إيقاعه[3].

وقد تنبه القدماء إلى أهمية القافية في الدلالة فاعتبروها خصوصية وميزة تخص العرب وحدهم، وبهم احتذت الأمم في أشعارها ونظرا لصلة القافية بالشعر وما تضفيه عليه غدا الكشف عنها كشفا عن جوهر الشعر وأجمل ما فيه فأشعر بيت تقوله العرب "ما أوله دليل على قافيته"[4]، فالقافية هي أحد أسس النظم التي يقوم عليها اسم القصيدة المقفاة.

ويرى عبد الله الطيب: "أن الشاعر العربي إنما عمد إلى القافية فقرنها بالوزن ليضفي عليه صبغا نغميا، متى اصطبغ الوزن به صار أكثر تهيؤا لأداء ما يختلج في صدره من معان. وإن جاز لنا أن نشبه أبعاد الوزن ونسبه الزمانية برنات متناسبة، فإن موقع القافية من هذه الرنات شبيه بموقع الكثافة من رنات الموسيقا، مثلا الشدة التي تشد عليها أوتار العود في قطعة ما؛ وللزيادة في توضيح المعنى نضرب لك أخرى: خذ دقات الطبل و دقات القدم على الأرض، والنقر على النحاس، والنقر على قرع مكفإ على وجه الماء، والصفير المتلاحق على هيئة دقات، كل أولئك لهن طبائع صوتية متباينة، أو قل لهن كثافات صوتية متباينة؛ وإذا فرضنا الشبه الزمني فيهن جميعا، واحد وليس فيه أدنى تفاوت. وهذا التناسب الزمني المجرد أشبه شيء بأعاريض الشعر الكامنة وراء إرزام الشاعر"[5].

1 – ابن رشيق: العمدة، مصدر سابق 151/1.

2 – ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص 233.

3 – وجدان المقداد: الشعر العباسي والفن التشكيلي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق،2011م، ص305.

4– صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر بين الثابت و التطور ، مرجع سابق، ص151.

5– عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعتها، مرجع سابق، 825/3.

اختلف العرضيون في تحديد الأصوات التي تكوّن القافية، فذهب الأخفش[1] إلى أن القافية آخر كلمة في البيت، ورآها غيره " حرف الروي"، كما اختلفوا كذلك في تحديد القافية، فمن قائل إنها بعض كلمة، و آخر بأنها كلمة تامة، و كلمتان، و أشهر الأقوال و أرجحها بأنها آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع المتحرك الذي قبل الساكن. أو هي آخر كلمة في البيت أجمع[2].

ب-1- تواتر حروف الروي لدى شعراء السرايا:

قسم ابراهيم أنيس حروف الهجاء التي تقع رويا في الشعر العربي إلى أربعة أقسام حسب نسبة شيوعها فيه فقال: "و حين نستعرض الشعر العربي قديمه و حديثه نلحظ أن معظم حروف الهجاء مما يمكن أن يقع رويا ولكنها تختلف في نسبة شيوعها، فوقوع الراء رويا كثير شائع في الشعر العربي، في حين أن وقوع الطاء قليل أو نادر، و يمكن أن تقسم حروف الهجاء التي تقع رويا إلى أقسام أربعة حسب نسبة شيوعها في الشعر العربي:

أ- حروف تجيء رويا بكثرة و إن اختلفت نسبة شيوعها في أشعار الشعراء و تلك هي: الراء، اللام، الميم النون، الباء، الدال، السين، العين.

ب- حروف متوسطة الشيوع و تلك هي: القاف، الكاف، الهمزة، الحاء، الفاء، الياء، الجيم.

ج- حروف قليلة الشيوع و هي: الضاء، الطاء، الهاء، التاء، الصاد، الثاء.

د- حروف نادرة في مجيئها رويا: الذال، الغين، الخاء، الشين، الزاي، الظاء"[3].

و لقد قمت بترتيب حروف الروي التي استعملها شعراء السرايا، فلاحظت أن هذه الحروف الواردة في روي أشعارهم، هي أيضا كثيرة الشيوع في أشعار العرب، و هذا حسب النتائج التي وصل إليها ابراهيم أنيس السالفة الذكر، فحروف اللام و الراء و الميم و الباء و الدال و النون نالت أكبر نسبة عند شعراء السرايا، فوردت في أشعارهم 245 مرة بما يعادل 56.84%، و ربما يعود السر في شيوع هذه الحروف أكثر من غيرها في الشعر

1 - الأخفش: أبو الحسن: كتابي القوافي، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، 1970، ص 8.

2- انظر: الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي، مصدر سابق، ص149.

3- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص234-235.

العربي إلى ليونتها و طبيعتها[1]، فإن هذه الحروف –اللام و الميم و النون و الراء على الأقل- أكثر الأصوات الأصوات الساكنة وضوحا و أقربها إلى طبيعة الحركات[2].

ب-2- خصائص القوافي لدى شعراء السرايا:

كما يبدو من خلال الإحصاء، نلاحظ أن شعراء السرايا قد استعملوا القوافي الأكثر استخداما لدى شعراء العرب، و هو ما يعرف بقوافي الذلل و هي: الباء و التاء و الدال و الراء و العين و الميم و الياء المتبوعة بألف الإطلاق ،و النون في غير التشديد[3]، و لقد حل في المرتبة الأولى اللام بـ 65 مرة ثم الراء بـ 58 مرة، فالعين بـ 57 مرة، فالباء بـ 43 مرة، فالميم بـ 36 مرة، فالدال بـ 31 مرة، فالنون بـ 12 مرة، فالسين بـ 6 مرات.

أما بالنسبة لقوافي الحوش و هي: الثاء، و الخاء، و الذال، و الشين، و الظاء، و الغين[4]، فلم يرد منها في شعر السرايا إلا حرف واحد و هو: الثاء في قصيدة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، و نقيضتها لعبد الله بن الزبعرى، في سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ، و هذه النتيجة التي توصلت إليها تتفق مع ما لاحظه عبد الله الطيب حيث قال: "و أما الخاء فما دخلت شعرا إلا أفسدته، و الذال على قبحها قد استعملها كثير من المحدثين الأوائل، و أحسبه أن جرهم إلى هذا الخطل حرصهم على استعمال "بغداد"، و "كلواذ"، و "ناباذ"، و شبه ذلك من أسماء المواضع الذالية في قوافي الشعر..."[5].

أما القوافي النفر و هي الصاد، و الزاي، و الضاد، و الطاء، و الهاء الأصلية، و الواو[6]، فكان اتجاه شعراء السرايا إليها محدودا جدا، و لم يستخدموا إلا الهاء، بذلك لم يخرج الشعراء عن المألوف و المعهود في القافية، فهو

1- سعد بوفلاقة: شعر الصحابة، مرجع سابق، ص230.

2- محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية التونسية، 1981، ص46.

3- عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعتها، مرجع سابق، 46/1.

4-المرجع نفسه: 62/1.

5- المرجع نفسه،63/1..

6- المرجع نفسه، 159.

يخضع في الجملة، لقاعدة "الوحدات الثلاث" التي كانت تتحكم في النظم العربي: وحدة البحر و وحدة القافية ووحدة البناء في شكل عمودي[1].

ب–3– أقسام القافية:

و قد قسم علماء العروض القافية إلى مطلقة و مقيدة، يقول إبراهيم أنيس: "يجيء الروي في الشعر العربي متحركا أو ساكنا و قد قسم القدماء القافية تبعا لذلك إلى قسمين:

- **مطلقة:** و هي التي يكون فيها الروي متحركا[2].

القافية المطلقة، فهي كثيرة الانتشار في شعر السرايا حيث وردت على لسان الشعراء في جل أشعارهم ومن أمثلة ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ:

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمى بِالبِطاحِ الدَّمائِثِ أَرِقْتَ وَ أَمْرٍ في العَشيرةِ حادِثِ

و قول حمزة رضي الله عنه في سريته إلى سيف البحر:

أَلا يا لَقَوْمِي لِلتَّحَلُّمِ وَ الجَهْلِ و لِلنَّقْصِ مِنْ رَأيِ الرِّجالِ وَ لِلْعَقْلِ

و قول عبد الله بن جحش في سريته إلى نخلة:

تَعُدُّونَ قَتْلاً في الحَرامِ عَظيمَةً وَ أَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ راشِدُ

و قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في سرية قتل كعب بن الأشرف:

أَبْكاهُ كَعْبٌ ثُمَّ عُلَّ بِعَبْرَةٍ مِنْهُ وَ عاشَ مُجَدَّعًا لا يَسْمَعُ

و قول عاصم بن ثابت في سرية الرجيع:

ما عِلَّتي وَ أنا جَلْدٌ نابِلُ وَ القَوْسُ فيها وَتَرٌ عُنابِلُ

1– سعد بوفلاقة، شعر الصحابة، مرجع سابق، ص229.

2– إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص246.

و قول عبد الله بن رواحة في سرية بئر معونة:

رَحِـــمَ اللهُ نـــافِعَ بْـــنَ بُـــدَيْلٍ رَحْمَـــةَ المُبْتَغـــي ثَـــوابَ الجِهـــادِ

و قول عبد الله بن رواحة في سرية مؤتة:

جَلَبْنـــا الخَيْـــلَ مِـــنْ أَجَـــإٍ وَ فَـــرْعٍ تُغَـــرُّ مِـــنَ الحَشـــيشِ لَهـــا العُكـــومُ

- **مقيدة:** و هي التي يكون فيها الروي ساكنا"[1].

أما القافية المقيدة، فقد جاءت في أشعار السرايا قليلة جدا، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قبيل استشهاده في سرية مؤتة:

أقْسَـــمْتُ يـــا نَفْـــسُ لَتَنْزِلِنَّـــهْ لَتَنْـــزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّـــهْ
إنْ أَجْلَـــبَ النّـــاسُ وَ شَـــدُّوا الرَّنَّـــهْ مـــا لِي أَراكِ تَكْـــرهينَ الجَنَّـــهْ
قَـــدْ طالمـــا قَـــدْ كُنْـــتِ مُطْمَئِنَّـــهْ هَـــلْ أَنْـــتِ إلاَّ نُطْفَـــةٌ في شَـــنّهْ

كما جاءت على لسان قطبة بن قتادة في قتله مالك بن زافلة:

طَعَنْـــتُ ابـــنَ زافِلَـــةَ بْـــنَ الإراشِ بِـــرُمْحٍ مَضَـــى فيـــهِ ثُمَّ انْحَطَـــمْ
ضَـــرَبْتُ علـــى جِيـــدِهِ ضَرْبَـــةً فمـــالَ كَمـــا مـــالَ غُصْـــنُ السَّـــلَمْ
وَ سُـــقْنا نِســـاءَ بـــني عَمِّـــهِ غَـــداةَ رَقُـــوقَيْنِ سَـــوْقَ النَّعَـــمْ

و وردت كذلك في سرية خالد بن الوليد بعد فتح مكة إلى بني جذيمة من كنانة حيث قال غلمة من بني جذيمة يقال لهم بنو مساحق يرتجزون، حين سمعوا بخالد، فقال أحدهم:

قَـــدْ عَلِمَـــتْ صَـــفْراءُ بَيْضـــاءُ الإطِـــلْ يحوزُهـــا ذو ثَلّـــةٍ وَ ذو إبِـــلْ

لأُغْنِـــيَنَّ اليَـــوْمَ مـــا أغْـــنى رَجُـــلْ

1- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مرجع سابق، ص246.

و قال آخر:

أَقْسَمْتُ ما إنْ حادِرٌ ذُو لِبْدَهْ ... شَثْنُ البَنانِ في غَداةٍ بَرْدَهْ

جَهْمُ المحَيَّا ذُو سِبالٍ وَرْدَهْ ... يُرْزِمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَ جَحْدَهْ

ضارٍ بِتَأْكَالِ الرِّجالِ وَحْدَهْ ... بِأَصْدَقَ الغَداةَ مِنّي نَجْدَهْ

الخاتمـــة

الخاتمة:

الحمد الله و كفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ثم أما بعد:

بعد هذه الرحلة الممتعة مع شعر السرايا: جمعا و دراسة للموضوعات و التشكيل الجمالي، الذي واكب مرحلة مهمة من مراحل الدعوة الإسلامية، حيث سجل خصوصيتها بكل صدق و أمانة، فكان الشعر رجع صدى لتلك المرحلة الاستثنائية من تاريخ الإسلام المجيد، و لقد توزعت أشعار السرايا على الوقائع و الأحداث فسجلتها مما جعل منها وثائق تاريخية مهمة، في كشف مشاعر المسلمين، و هم ينافحون و يدافعون عن دينهم فسار سلاح الشعر جنبا إلى جنب مع سلاح المعركة في هذه الحقبة.

وقد جاءت الأطروحة مقسمة على ثلاثة فصول؛ فالفصل الأول تناول: المهاد التاريخي ومدونة شعر السرايا، أما الفصل الثاني: فتعرض إلى الجانب الموضوعاتي في شعر السرايا، و الفصل الثالث جاء تحت عنوان: التشكيل الجمالي في شعر السرايا.

بعد هذه الدراسة أسفر البحث عن جملة من النتائج:

- يعتبر شعر السرايا وثيقة تاريخية مهمة، لفترة هي من أهم المراحل التاريخية الحساسة في حياة الأمة الإسلامية في صراعها مع أهل الزيغ و الضلال، فهو صورة ناطقة لحياة تلك الأمة.

- أصبح الشعر رسالة سامية ذا أهداف نبيلة، الغاية منه نصرة الإسلام، و محاربة الشرك، فسلاح الكلمة لا يقل شأنا عن سلاح الحرب، و لذا سارا جنبا إلى جنب في هذه المرحلة.

- اختلاط شعر هذه المرحلة بعضه ببعض، حيث تجد القطعة الشعرية تنسب لأكثر من شاعر، وانكار أهل العلم بالشعر أن هذا الشعر ينسب لهذا الشاعر، كما حدث مع أبي بكر و حمزة و حسان رضي الله عن الصحابة أجمعين.

- موقف الإسلام من الشعر جاء منسجما مع تعاليم الدين الجديد، فلم يرفض الشعر على إطلاقه، ولم يقبله على علاته، فقد ذم شعرا معينا و توعد شعراء بعينهم و هم الذين يؤذون الرسول صلى الله عليه وسلم

والمؤمنين، وأما الذين دافعوا عن الإسلام، وذادوا عن حياضه، وترسموا الأخلاق الفاضلة و القيم العالية فهذه الطائفة التي يجلها الإسلام.

- يمثل شعر السرايا جزء من موروثنا و تراثنا الأدبي و لذا يجب الاهتمام به من حيث الدراسة و التحليل فهو أغنى المعجم اللغوي و الشعري بمفردات و مصطلحات و تراكيب جديدة.

- غلب على شعر السرايا المقطوعات الشعرية القصيرة، و التي تكون في بعض الأحيان بيتين أو بيتا واحدا لطبيعة الظروف المحيطة بالشاعر، فيستدعي منه السرعة و الارتجال.

- تخلي معظم شعراء السرايا عن المقدمة التقليدية، وبخاصة الطللية منها، لطبيعة الظروف التي أملتها البيئة الإسلامية الجديدة.

- و من خلال الدراسة الفنية ظهر لي، كيف لعب الإسلام دورا كبيرا في صبغ نفسية شعراء المسلمين بمعاني الدين الجديد، حيث تأثروا به، و أفادوا منه، و هذا ما ظهر جليا على أشعارهم، كما رسم لهم الخطوط العريضة في كتابة الشعر و التغني به.

- انبهار شعراء المسلمين ببلاغة القرآن الكريم و روعة بيانه ، فتأثروا بألفاظه و أساليبه، وعملوا على الاقتباس من آياته ، والاستشهاد بها في أشعارهم ، مما أسبغ عليها وضاءة وجمالا.

- لعب الشعر دوره في استنهاض الهمم لدى شعراء الإسلام للدفاع عنه، و منافحة خصومه و التصدي لهم في كل الأشعار التي نظموها.

- كما أن هناك بعض النتائج مبثوثة في ثنايا البحث، و نكتفي بإيراد هذا القدر من النتائج، آملين أن نكون قد توصلنا فيه إلى الإجابة عن الإشكالية المطروحة في البحث، و حسبي أني اجتهدت، أما التوفيق فمن عند الله.

تمت الرسالة بحمد الله و عونه، فالحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المخلوقات، وعلى آله و صحبه و من سار على دربه إلى يوم الدين.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 2010.

- أبو داود: السنن، اعتنى به مشهور بن حسن، مكتبة المعارف، السعودية، ط1، دت.

- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر و توزيع المكتبة العصرية، بيروت، 1995.

- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث و الأثر، أشرف عليه علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ.

- أحمد إبراهيم الشريف: مكة و المدينة في الجاهلية و عهد الرسول، دار الفكر العربي.

- أحمد الزيات: دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1967.

- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973.

- أحمد علي دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهاجا و تطبيقا، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1986.

- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان و المعاني و البديع، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2000م.

- أحمد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، تحقيق حسن عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2010.

- أحمد ياسوف: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، دار المكتبي ، سوريا ،ط2، 2006.

- الأخفش: أبو الحسن: كتابي القوافي، تحقيق عزة حسن، وزارة الثاقفة، دمشق، 1970.

- أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، 1971.

- أرسطو: فن الشعر، ترجمة محمد شكري عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.

- الأصفهاني: الأغاني، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، مصر، دت.

- الاصفهاني : معجم ألفاظ القران الكريم ، تحقيق عدنان داودي ،دار القلم ، دمشق ،ط2، 2004.

- أمين أحمد حميدوش: الصورة الفنية في شعر الهجاء لدى شعراء الدعوة في صدر الإسلام، رسالة أعدت لنيل درجة الدبلوم في اللغة العربية و آدابها، الجامعة اللبنانية-طرابلس، 2002.

- بداوي طبانة: علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثانية.

- البخاري: الصحيح، تحقيق أحمد زهوة و أحمد عناية، دار الكتاب العربي، لبنان، 2011.

- الترمذي: السنن، اعتنى به مشهور بن حسن، مكتبة المعارف، السعودية، ط1، دت.

- الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة.

- الجاحظ: الحيوان، تحقيق يحي الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت.

- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، مج2، ص48.

- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد ط2، 1994.

- ابن الجوزي: صفوة الصفوة، تحقيق إبراهيم رمضان و سعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981.

- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1995.

- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مكتبة دار السلام الرياض، ط8، 2000.

- حسين جمعه: الرثاء بين الجاهلية و الاسلام، دار و مؤسسة رسلان، سوريا، 2017.

- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عصام محمد الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.

- الخطيب التبريزي، الكافي في العروض و القوافي، تحقيق الحساني عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1994.

- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2010.

- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003.

- راجي الأسمر: ديوان أبي بكر الصديق، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت-لبنان، ط3، 2007

- الرازي: مختار الصحاح، تحقيق أيمن عبد الرزاق الشوا، ط1، دار الفيحاء، دمشق، 2008.

- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ط5، 1981.

- الزرقاني: شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، ضبطه و صححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1996.

- الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002.

- زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب ، مكتبة الدراسات الادبية ، دار المعارف مصر ، 1961.

- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت-لبنان، ط1، 2006.

- سامي مكي العاني: الاسلام و الشعر، سلسة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت عالم المعرفة، 1996.

- سامي مكي العاني: ديوان كعب بن مالك، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966.

- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، دط، دت.

- ابن سعد: الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001.

- سعد بوفلاقة: شعر الصحابة، دراسة موضوعية فنية، منشورات مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات، عنابة-الجزائر، 2007.

- سعد بوفلاقة : شعر النساء في صدر الاسلام و العصر النبوي، دار المناهل، بيروت-لبنان، ط1، 2007.

- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، المطبعة السعودية بمصر، القاهرة.

- سليمان بن عبد الرحامن الزهير: الحركة الأدبية في المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و الخلفاء الراشدين ،ط2،1996.

- السهيلي: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 2008.

- ابن سيد: عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، تحقيق محمد العيد الخطراوي و محيي الدين متو، دار ابن كثير، بيروت، دط، دت.

- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2014.

- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله و مناهجه، دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة، 1983م.

- سي دي لويس: الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي و آخرين، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، بغداد، 1982.

- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1998.

- الشايب أحمد: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1998.

- شرح ديوان امرئ القيس، دار صادر بيروت، د ت، ص29-49.

- شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، ط7.

- صابر عبد الدايم: موسيقى الشعر بين الثبات و التطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1993.

- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري و القافية، بيروت، ط4، 1974.

- صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002.

- الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، دت.

- الطحاوي : شرح معاني الأثار، تحقيق محمد زهري النجار، و محمد سيد جاد الحق، دار عالم الكتب، ط1، 1994.

- ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

- عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1980.

- عبد الرحمان الشناوي و محمود الرضواني: الأدب في صدر الاسلام و بني أمية، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الدراسات الأدبية، 2018.

- عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004.

- عبد الرحمان خليل ابراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه و سلم، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1971.

- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، د ت.

- عبد القادر القط: اتجاه وجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

- عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي و الأموي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1979.

- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق عليه محمد رشيد رضا، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2001.

- عبد الله الحامد: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، ط2، 1981.

- عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعتها، دار الفكر، بيروت، ط2، 1970.

- عبد الهادي الفكيكي: الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، منشورات التميز للنشر و التوزيع، سوريا، ط1، 1996.

- علي أحمد الخطيب :فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2004.

- علي بن برهان الدين الحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المطبعة الأزهرية مصر، ط3، 1932.

- علي الجرجاني :كتاب التعريفات ، دار الرشاد، القاهرة.

- علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، عرض وقائع و تحليل أحداث، دار الأندلس الجديدة للنشر و التوزيع، شير مصر، ط1، 2008.

- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه – أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الفكر دمشق، ط2، 2007.

- غازي طليمات و عرفان الأشقر: الشعر في عصر النبوة و الخلافة الراشدة، دار الفكر دمشق، ط1، 2007.

- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة: وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط3، 2011.

- فايز الداية: جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، دمشق، و دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م.

- أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1952.

- ابن قتيبة : الشعر والشعراء : تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآثار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1،2010

- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق و تعليق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع بيروت، دت.

- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق ابراهيم أطفيش، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر، 1967.

- ابن القيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد، شرح و تعليق عبد العزيز بن باز و محمد حامد الفقي، دار ابن الجوزي القاهرة، ط2، 2012.

- ابن كثير: البداية و النهاية، تحقيق علي محمد و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، دت.

- ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، 1976.

- ابن الكلبي: الأصنام، تحقيق عبد القادر أحمد و أحمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، دت.

- المبرد: الكامل في اللغة و الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 1997.

- المبرد: كتاب التعازي و المراثي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1996.

- مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.

- محمد التنوخي: الجامع في علوم البلاغة المعاني البيان البديع، دار العزة و الكرامة للكتاب، وهران، ط1، 2013.

- محمد النويهي: ثقافة النقد الأدبي، مكتبة الخانجي و دار الفكر، بيروت، ط2، 1969.

- محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية التونسية، 1981.

- محمد الواسطي: ظاهر البديع عند القراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، دار نشر المعرفة، الرباط، ط1، 2003.

- محمد بن محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن و السنة، دار القلم، دمشق، ط2، 1992.

- محمد حجازي: شعر المعارك من البعثة النبوية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب القديم، جامعة باتنة، معهد اللغة و الأدب العربي، 1990.

- محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، ط11، 2008.

- محمد سهيل طقوش: التاريخ الإسلامي (الوجيز)، دار النفائس، بيروت، ط6، 2016.

- محمد سيد طنطاوي: السرايا الحربية في العهد النبوي، الزهراء للإعلام العربي، قسم النشر مدينة نصر–القاهرة، 1990.

- محمد علي سلطاني، البلاغة العربية في فنون البديع و البيان، دار العصماء، سوريا، ط1، 2014.

- محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، سوريا، الطبعة 1، 2008.

- محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ط6، 1983.

- محمد مهداوي : شعر الغزوات أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أغراضه وخصائصه الفنية ، ديوان المطبوعات الجا معية،2009.

- محمود شاكر: موسوعة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

- المسعودي: التنبيه و الإشراف، طبع في مدينة ليدن، 1893.

- مسلم: الصحيح، تحقيق أحمد زهوة و أحمد عناية، دار الكتاب العربي، لبنان، 2010.

- مصطفى ناصف: الفنون الأدبية، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983.

- مندور معاليقي: أدب عرب الجاهلية والإسلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2012.

- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق مجدي فتحي السيد، و ياسر سليمان أبو شادي، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دط، دت.

- منير محمد الغضبان: المنهج الإعلامي للسيرة النبوية، دار الوفاء، المنصورة-مصر، ط1، 2007.

- ميخائيل نعيمة: الغربال، بيروت، الطبعة 15، 1991م.

- نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار النهضة، مصر، ط1، 1967.

- نايف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، دار النفائس للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1990.

- النسائي: السنن، اعتنى به مشهور بن حسن، مكتبة المعارف، السعودية، ط1، دت.

- نوري حمودي القيسي: شعر الحرب في عصر الرسالة، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1982.

- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق سعيد محمد لحام، دار الفكر، بيروت، 2012م.

- ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة و النشر، 1981م.

- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، 1952.

- واضح الصمد: أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1994.

- وجدان المقداد: الشعر العباسي و الفن التشكيلي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011.

- وليد قصاب: ديوان عبد الله بن رواحة و دراسة في سيرته و شعره، دار العلوم للطباعة و النشر، ط1، 1987.

- وهبة الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الاسلامي، دار الفكر بدمشق، ط3، 1998.

- يحي الجبوري: الإسلام و الشعر، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1964.

- يحي جبوري: ديوان العباس بن مرداس السلمي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1991.

- يحي الجبوري: الشعر الجاهلي، خصائصه و فنونه، مؤسسة الرسالة بيروت، ط5، 1986.

- يحي الجبوري: شعر عبد الله بن الزبعري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981.

ثانيا: الرسائل الجامعية:

- حميد قبايلي: شعر غزوات النبي صلى الله عليه و سلم، جمع و دراسة في الرؤية و الأداة، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الأدب العربي القديم، إشراف أ/د حسن كاتب، كلية الآداب و اللغات، قسم الأدب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة 1. 2013-2014.

- عيسى بودوخة: الصورة الفنية في شعر الفتوحات في صدر الإسلام، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم، إشراف أ/د عبدالملك بومنجل، كلية الآداب و اللغات، قسم الأدب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة1، 2017-2018.

- محمد حجازي: شعر المعارك من البعثة النبوية إلى نهاية الخلافة الراشدة، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب القديم، إشراف أ/د عبد الله شيخ عووضه، جامعة باتنة، معهد اللغة و الأدب العربي، 1990.

ثالثا: المجلات والدوريات:

- محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية التونسية، 1981.

- محمد بن الهادي المباركي :شعر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم دراسة تحليلية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية ، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، السعودية ردمد7278-1658، جمادى الآخرة 1437هـ.

الفهارس

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ-ح
الفصل الأول: المهاد التاريخي و مدونة شعر السرايا	
المبحث الأول: المهاد التاريخي	9
الوضع الديني	9
الوضع الإجتماعي	11
الوضع السياسي	13
الوضع الاقتصادي	15
الوضع الأدبي	17
المبحث الثاني: مدونة شعر السرايا	20
سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ	20
ما قيل من شعر في سرية عبيدة بن الحارث	21
سرية حمزة رضي الله عنه إلى سيف البحر	24
ما قيل من شعر في سرية حمزة رضي الله عنه إلى سيف البحر	25
سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة	27
ما قيل من شعر في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة	28
سرية زيد بن حارثة إلى القردة	29
ما قيل من شعر في سرية زيد بن حارثة إلى القردة	30

سرية قتل كعب بن الأشرف	31
ما قيل من شعر في سرية قتل كعب بن الأشرف	32
سرية يوم الرجيع في سنة ثلاث هجرية	37
ما قيل من شعر في سرية الرجيع سنة ثلاث هجرية	37
سرية بئر معونة	46
ما قيل من شعر في سرية بئر معونة	47
سرية مؤتة	50
ما قيل من شعر في سرية مؤتة	51
سرية خالد بن الوليد بعد فتح مكة إلى بني جذيمة	63
ما قيل من شعر في سرية خالد بن الوليد بعد فتح مكة إلى بني جذيمة	64
سرية خالد بن الوليد ليهدم العزى	70
ما قيل من شعر في سرية خالد بن الوليد ليهدم العزى	70
سرية رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة	71
ما قيل من شعر في سرية رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة	71
سرية أوطاس	72
ما قيل من شعر في سرية أوطاس	73
سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح	76
ما قيل من شعر في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح	76
سرية زيد بن حارثة إلى جذام	77

ما قيل من شعر في سرية زيد بن حارثة إلى جذام 77

سرية زيد بن حارثة بني فزارة و مصاب أم قرفة 79

ما قيل من شعر في سرية زيد بن حارثة بني فزارة و مصاب أم قرفة 79

سرية عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي 80

ما قيل من شعر في سرية عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي 80

سرية عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم 81

ما قيل من شعر في سرية عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم 81

سرية عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب 84

ما قيل من شعر في سرية عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب 85

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك 86

ما قيل من شعر في سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك 86

سرية عمير بن عدي الخطمي لعصماء بنت مروان 87

ما قيل من شعر في سرية عمير بن عدي الخطمي لعصماء بنت مروان 87

الفصل الثاني: الجانب الموضوعاتي في شعر السرايا

المبحث الأول شعر السرايا و علاقته بالحرب 88

1- الشعر و موقف الإسلام منه 88

1-1 موقف القرآن الكريم من الشعر 90

1-2- موقف الرسول صلى الله عليه و سلم من الشعر 93

2- مفهوم السرايا و أهدافها 96

2-1 مفهوم السرية 96

2-2 أهداف السرايا 99

3- مواكبة شعر السرايا للحرب 101

المبحث الثاني: أغراض شعر السرايا 114

1- الفخر 114

1-1 الفخر لغة 114

1-2 الفخر اصطلاحا 115

1-3 نماذج من الفخر في شعر السرايا 116

2- الرثاء 119

2-1 الرثاء لغة 119

2-2 الرثاء اصطلاحا 119

2-3 نماذج من الرثاء في شعر السرايا 120

3- الهجاء 124

3-1 الهجاء لغة 124

3-2 الهجاء اصطلاحا 124

3-3 نماذج من الهجاء في شعر السرايا 125

4- النقائض 128

4-1 النقائض لغة 128

4-2 النقائض اصطلاحا 128

3-4 نماذج من النقائض في شعر السرايا 129

5- أغراض أخرى 132

الفصل الثالث التشكيل الجمالي في شعر السرايا

المبحث الأول: المعجم الدلالي في شعر السرايا 135

1- ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم في شعر السرايا 135

أ- تعريف الاقتباس 135

التعريف لغة 135

التعريف اصطلاحا 136

ب- أنواع الاقتباس 136

ب-1 الاقتباس النصي 136

ب-2 الاقتباس الإشاري 137

2- ألفاظ الحرب 143

أ- لفظ القتال 144

ب- لفظ الحرب 146

ج- لفظ الضرب 147

د- لفظ الطعن 149

هـ- لفظ الغارة 150

و- لفظ السلاح 151

و-1 السيف 151

و-2 النبال و السهام	152
و-3 الرماح	153
المبحث الثاني: الصورة البيانية في شعر السرايا	154
1- وظيفة البيان	155
أ- الهدف الديني	155
ب- الهدف الثاني	155
2- مفهوم الصورة بشكل عام	156
3- مفهوم الصورة	157
3-1 الصورة لغة	157
3-2 الصورة اصطلاحا	157
3-3 مفهوم الصورة عند القدماء	158
3-4 مفهوم الصورة عند الغربيين	158
3-5 مفهوم الصورة عند المحدثين	159
أولا: الصورة الاستعارية في شعر السرايا و البعوث	160
أ- الصورة الاستعارية لغة	160
ب- الصورة الاستعارية اصطلاحا	160
ج- نماذج من الصورة الاستعارية في شعر السرايا	160
ثانيا: الصورة التشبيهية في شعر السرايا و البعوث	164
أ- التشبيه لغة	164

ب- التشبيه اصطلاحا 165

ج- نماذج من الصورة التشبيهية في شعر السرايا 165

ثالثا: الصورة الكنائية في شعر السرايا و البعوث 170

أ- الكناية لغة 170

ب- الكناية اصطلاحا 170

ج- أقسام الكناية 170

ج-1 كناية الصفة 170

ج-2 كناية الموصوف 171

ج-3 كناية النسبة 171

د- نماذج من الصورة الكنائية في شعر السرايا 171

د-1 الكناية عن صفة 171

د-2 كناية عن موصوف 174

المبحث الثالث: موسيقى شعر السرايا 178

1- الموسيقى الداخلية 179

أ- التصريع 179

نماذج من التصريع في شعر السرايا 180

ب- الجناس 181

ب-1 الجناس لغة 181

ب-2 الجناس اصطلاحا 182

نماذج من الجناس فس شعر السرايا	183
ج- الطباق	184
ج-1 الطباق لغة	184
ج-2 الطباق اصطلاحا	184
ج-3 أنواع الطباق	185
نماذج من الطباق في شعر السرايا	185
د- الضرورة الشعرية	187
نماذج من الضرورة الشعرية في شعر السرايا	187
2- الموسيقى الخارجية	188
أ- البحر	191
أ-1 بحر الطويل	192
أ-2 بحر البسيط	194
أ-3 بحر الكامل	195
أ-4 بحر الوافر	197
أ-5 بحر الرجز	198
ب- القافية	199
ب-1 تواتر حروف الروي لدى شعراء السرايا	200
ب-2 خصائص القوافي لدى شعراء السرايا	201
ب-3 أقسام القافية	202

- قافية مطلقة 202
- قافية مقيدة 203
الخاتمة 205
قائمة المصادر و المراجع 207
فهرس الموضوعات 218

ملخص البحث:

إن موضوع شعر السرايا في عهد النبوة من المحاور الكبرى في الشعر إبان صدر الإسلام، و يأتي ملازما لشعر الغزوات، وهو يكتسب أهميته من طابع المرحلة التي قيل فيها، وهي مرحلة تغير جذري انقلبت فيها الموازين خصوصا بعد مجيء الإسلام بتعاليمه التي أحدثت خلخلة في قيم المجتمع آنذاك.

لقد واكب شعر السرايا هذه المرحلة و سجل خصوصيتها بكل صدق، و ترجم الأحداث، فعبر عن المشاهد التاريخية و صور المعارك و الجولات المختلفة، و سجل التدافع الحضاري بين قوى متعارضة و متناقضة وهذه واحدة من وظائف الشعر أو الشاعر في كل زمن ،و في كل عصر و مصر أن ينهض–الشعر و الأدب والفن عموما– بوظيفة التسجيل و التدوين ليبقى أثرا خالدا تتناقل معانيه و أفكاره الأجيال، و تتداوله في معارض الفخار و الجلال و بطولات الأجداد.

بناء على كل هذا كان موضوع بحثي: **شعر السرايا جمع و دراسة في موضوعات التشكيل الجمالي**

أما عن منهج الدراسة؛ فإني آثرت المنهج التكاملي في دراسته لمفردات البحث، حيث وظفت المنهج التاريخي في جمع الأشعار، و عرض الأحداث التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي في عرض بعض الظواهر التي كانت ترافق الشعراء، كما اعتمدت على المنهج التحليلي الموضوعي في استقصاء جماليات الصورة، و ألوانها حيث كان لاستخدام هذا المنهج دور بارز في هذه الدراسة، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي في رصد بعض الظواهر اللغوية المتعلقة بموسيقى شعر السرايا.

جاءت الأطروحة مقسمة على ثلاثة فصول: تناولت في كل فصل قضية من القضايا المطروحة في هذه الدراسة من خلال: شعر السرايا جمع و دراسة في الموضوعات و التشكيل الجمالي.

لقد خصصت **الفصل الأول**: للمهاد التّاريخي، و مدونة شعر السّرايا، حيث تطرقت في المهاد التاريخي إلى الوضع الديني، و الاجتماعي، و السياسي، و الاقتصادي، و الأدبي قبل البعثة النبوية الشريفة، كما تم جمع ما قيل من أشعار في السرايا.

أما **الفصل الثاني**: فقد جاء تحت عنوان: الجانب الموضوعاتي في شعر السرايا، و تناولت فيه الشعر وموقف الإسلام منه، و تعريف السرايا و أهدافها، ثم تطرقت إلى مواكبة الشعر للحرب، كما درست أغراض شعر السرايا: و تناولت فيها أهم مضامين و موضوعات شعر السرايا، و التي جاءت موزعة على المحاور والموضوعات التالية: أ-المدح، ب-الرثاء، ج-الهجاء، د-النقائض، هـ-أغراض أخرى.

الفصل الثالث: الموسوم بـ: التشكيل الجمالي في شعر السرايا، و تناولت فيه: **المعجم الدلالي في شعر السرايا**: و قمت فيه بـ: أ-دراسة ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم، وكيف كان القرآن الكريم رافدا مهما لدى شعراء المسلمين ب-ألفاظ الحرب من خلال أشعار السرايا.

كما تناولت فيه الصورة البيانية في شعر السرايا: ومهدت لذلك بتعريف الصورة عند العرب القدامى ثم العرب المحدثين، و انتهاء عند الغربيين ثم قمت بدراسة أنواع الصور البيانية على النحو التالي:

أ- الصورة التشبيهية، ب- الصورة الاستعارية، ج- الصورة الكنائية.

و قمت كذلك بدراسة **موسيقى شعر السرايا**:

أ- الموسيقى الداخلية، و تناولت بالدراسة: التصريع، الجناس، الطباق، و الضرورة الشعرية.

ب- الموسيقى الخارجية: البحر و القافية.

خاتمة: انتهت الأطروحة بخاتمة كانت نهاية رحلة شاقة و ممتعة ضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أردفتها بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت خلا البحث و الدراسة .

في الختام أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي يد العون و لو بالشيء اليسير.

الكلمات المفتاحية:

شعر السرايا – الصورة الشعرية – موسيقى الشعر – علاقة شعر السرايا بالحرب – أغراضه – المنهج التكاملي.

Abstract

The topic of Expedition poetry during the prophet era is one of the major axes of poetry at the beginning of Islam. It is connected to the conquest poetry and gained its importance from the epoch during which it was recited. This epoch was characterized by radical changes subsequent to the arrival of the prophet whose teachings disrupted the social values of the time. Expedition poetry faithfully recorded the specificity of the era and translated its events. It expressed historical scenes, battlefield images and different expeditions and recorded civilization conflicts between opposing and contradictory forces. It is one of the functions of poetry, literature and art throughout space and time to record these ideas which became an immortal heritage for generations to evoke instances of pride, grandness and ancestors' heroism.

Based on the aforementioned ideas, the research topic is thus "Expedition poetry: a collection and study of the esthetic formulation." The approach adopted to deal with the different variables of the study is the integrative approach which combines the historical approach devoted to the collection of poetry and exposing historical events, and the descriptive approach devoted to exposing some other phenomena related to poets. Besides, another approach is adopted and which plays a prominent role in the study which is the analytic objective approach used to investigate the aesthetics of images and their colours. The statistical approach is used to account for linguistic phenomena pertaining to musicality in Expedition poetry.

The thesis entitled "Expedition poetry: a collection and study of the themes and esthetic formulation" is divided into three chapters, each dealing with one of the main issues of the study.

The first chapter gives a historical background and introduces the corpus of the expedition poetry. The historical background deals with the religious, social, political, economical and literary situation before the prophet era and a collection of expedition poetry recited at that time.

The second chapter entitled 'Thematic aspects of Expedition poetry' deals with poetry and the attitude of Islam towards it, definition of 'expeditions' and their aims, the relation of Expedition poetry to wars, the objectives of Expedition poetry and its most important themes: praise, elegy, satire and opposition.

The third chapter entitled 'Esthetic formulation in Expedition poetry' deals with the semantic dictionary in such kind of poetry and covers the followings:

1- Borrowing from the Quran as a principal source for Muslim poet,
2- War terminology in expedition poems.

This chapter also deals with figure of speech in Expedition poetry, starting with a definition of the figure of speech as used by the ancient Arabs, then by the Westerners. Then the chapter unfolds on types of figures of speech: simile, metaphor and metonymy. It also deals with the musicality in Expedition poetry:

1- The internal musicality: rhyme, homonymy, alliteration and poetic necessity.
2- The external musicality: prosody and rhyme.

The conclusion ends with the major results obtained from this study followed by a list of sources and references used in this research.

At the end, I express my deepest gratitude to whoever offered me any kind of help.

Keywords: Expedition poetry, poetic image, musicality of poetry, relation of expedition poetry to war, aims of expedition poetry, integrative approach.

Résumé:
Le thème de la poésie des expéditions à l'époque du prophète est l'un des axes majeurs de la poésie au début de l'Islam. Elle est liée à la poésie des conquêtes et a gagné son importance de part la nature de l'époque où elle fut récitée. C'était une époque des changements radicaux subséquents à l'arrivée du Prophète dont les enseignements avaient bouleversé les valeurs sociales de l'époque.
La poésie des Expéditions est l'un des outils permettant de restituer fidèlement la spécificité de l'époque et de traduire ses événements.
Elle exprime des scènes historiques et des images liées aux batailles et aux différentes expéditions. Elle mémorise les conflits de civilisation entre des forces opposées et contradictoires. C'est l'une des fonctions de la poésie, de la littérature et de l'art à travers l'espace et le temps de garder trace de ces idées qui sont devenues un héritage immortel pour les générations futures évoquant la fierté, la grandeur et l'héroïsme des ancêtres.
A partir des idées susmentionnées, le sujet de recherche porte donc sur « La poésie des Expéditions: un recueil et une étude de la reformulation esthétique »
L'approche adoptée est l'approche intégrative qui combine l'approche historique servant à recueillir des poèmes et exposer des événements historiques, l'approche descriptive servant à décrire d'autres phénomènes de la poésie et l'approche analytique objective servant à déceler l'aspect esthétique des figures de styles qui occupent une place prépondérante dans l'étude.
L'approche statistique est utilisée pour rendre compte des phénomènes linguistiques relatifs à la musicalité dans la poésie des Expéditions.
La thèse intitulée «Poésie des Expéditions : recueil et étude sur les thèmes de la reformulation esthétique» est divisée en trois chapitres; chaque chapitre dédié à un aspect principal de l'étude.
Le premier chapitre est consacré au contexte historique et au corpus de poèmes des Expéditions. Il aborde, dans la première partie, la situation religieuse, sociale, politique, économique et littéraire avant l'arrivée du prophète, et introduit, en outre un recueil de poèmes dits poèmes des Expéditions.
Le deuxième chapitre intitulé "L'aspect thématique dans la poésie des Expéditions définit la poésie et explique le point de vue de l'islam envers ce genre de poésie, définit aussi les expéditions et explique leurs raisons d'être, clarifie la relation entre la poésie et la guerre, les objectives de la poésie des expéditions et les thèmes qu'elle aborde et qui sont divisés en quatre axes principaux : éloge, élégie, satire, et opposition.
Le troisième chapitre intitulé « La reformulation esthétique dans la poésie des expéditions» traite le répertoire sémantique dans la poésie des Expéditions. Il jette la lumière sur: 1) le phénomène de l'emprunt à partir du Coran et comment qu'il constitue une source importante pour les poètes musulmans, 2. La terminologie de guerre dans la poésie des expéditions. Il traite également des figures de styles dans ce genre de poésie. Une définition de la figure de style est d'abord donnée d'après les arabes anciens, les arabes modernes puis les occidentaux. Ensuite différentes types de figure de style sont étudiées telles que : la comparaison, la métaphore et la métonymie. Il jette la lumière aussi sur la musicalité dans la poésie des Expéditions: 1- la musicalité interne: les rimes, les homonymes, les allitérations et la nécessité poétique. 2- la musicalité externe: la prosodie et le rime.
La conclusion donne les résultats principaux de la présente recherche qui sont suivis d'une liste des sources et références utilisées.
Enfin, je voudrais exprimer mes sincères remerciements pour tous ceux qui m'ont apporté de l'aide.
Mots-clés: poésie des expéditions, image poétique, musicalité poétique, relation entre poésie des expéditions et la guerre, objectifs de la poésie des expéditions, approche intégrative.